كتاب شرح نهج البلاغة

الجزء العشرون

ابن ابي الحديد

هذا الكتاب

نشر إليكترونياً وأخرج فنّياً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إنشاء الله تعالى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الحمد لله الواحد العدل

٤٠٩

وَ قَالَ ع : مُقَارَبَةُ اَلنَّاسِ فِي أَخْلاَقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ إلى هذا نظر المتنبي في قوله:

و خلـــة في جلـــيس أتقيـــه بهـــا كيمـــا يـــرى أننـــا مـــثلان في الـــوهن

و كلمـــة في طريـــق خفـــت أعربهـــا فيهتـــدى لي فلـــم أقـــدر علـــى اللحـــن

و قال الشاعر:

و مـــا أنا إلا كالزمـــان إذا صـــحا صـــحوت و إن مـــاق الزمـــان أمـــوق

و كان يقال إذا نزلت على قوم فتشبه بأخلاقهم فإن الإنسان من حيث يوجد لا من حيث يولد و في الأمثال القديمة من دخل ظفار حمر.شاعر:

أحامقـــه حـــتى يقـــال ســـجية و لـــو كـــان ذا عقـــل لكنـــت أعاقلـــه

٤١٠

وَ قَالَ ع لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ وَ قَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلِ مِثْلِهَا لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً وَ هَدَرْتَ سَقْباً قال الشكير هاهنا أول ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى و يستحصف و السقب الصغير من الإبل و لا يهدر إلا بعد أن يستفحل هذا مثل قولهم قد زبب قبل أن يحصرم.و من أمثال العامة يقرأ بالشواذ و ما حفظ بعد جزء المفصل

٤١١

وَ قَالَ ع : مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ اَلْحِيَلُ قيل في تفسيره من استدل بالمتشابه من القرآن في التوحيد و العدل انكشفت حيلته فإن علماء التوحيد قد أوضحوا تأويل ذلك.و قيل من بنى عقيدة له مخصوصة على أمرين مختلفين حق و باطل كان مبطلا.و قيل من أومأ بطمعه و أمله إلى فائت قد مضى و انقضى لن تنفعه حيلة أي لا يتبعن أحدكم أمله ما قد فاته و هذا ضعيف لأن المتفاوت في اللغة غير الفائت

وَ قَالَ ع وَ قَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ لاَ حَوْلَ وَ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنَّا لاَ نَمْلِكُ مَعَ اَللَّهِ شَيْئاً وَ لاَ نَمْلِكُ إِلاَّ مَا مَلَّكَنَا فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا وَ مَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا معنى هذا الكلام أنه ع جعل الحول عبارة عن الملكية و التصرف و جعل القوة عبارة عن التكليف كأنه يقول لا تملك و لا تصرف إلا بالله و لا تكليف لأمر من الأمور إلا بالله فنحن لا نملك مع الله شيئا أي لا نستقل بأن نملك شيئا لأنه لو لا إقداره إيانا و خلقته لنا أحياء لم نكن مالكين و لا متصرفين فإذا ملكنا شيئا هو أملك به أي أقدر عليه منا صرنا مالكين له كالمال مثلا حقيقة و كالعقل و الجوارح و الأعضاء مجازا و حينئذ يكون مكلفا لنا أمرا يتعلق بما ملكنا إياه نحو أن يكلفنا الزكاة عند تمليكنا المال و يكلفنا النظر عند تمليكنا العقل و يكلفنا الجهاد و الصلاة و الحج و غير ذلك عند تمليكنا الأعضاء و الجوارح و متى أخذ منا المال وضع عنا تكليف الزكاة و متى أخذ العقل سقط تكليف النظر و متى أخذ الأعضاء و الجوارح سقط تكليف الجهاد و ما يجري مجراه.هذا هو تفسير قوله ع فأما غيره فقد فسره بشيء آخر قال

أبو عبد الله جعفر بن مُحَمَّد ع فلا حول على الطاعة و لا قوة على ترك المعاصي إلا بالله و قال قوم و هم المجبرة لا فعل من الأفعال إلا و هو صادر من الله و ليس في اللفظ ما يدل ما ادعوا و إنما فيه أنه لا اقتدار إلا بالله و ليس يلزم من نفي الاقتدار إلا بالله صدق قولنا لا فعل من الأفعال إلا و هو صادر عن الله و الأولى في تفسير هذه اللفظة أن تحمل على ظاهرها و ذلك أن الحول هو القوة و القوة هي الحول كلاهما مترادفان و لا ريب أن القدرة من الله تعالى فهو الذي أقدر المؤمن على الإيمان و الكافر على الكفر و لا يلزم من ذلك مخالفة القول بالعدل لأن القدرة ليست موجبة.فإن قلت فأي فائدة في ذكر ذلك و قد علم كل أحد أن الله تعالى خلق القدرة في جميع الحيوانات قلت المراد بذلك الرد على من أثبت صانعا غير الله كالمجوس و الثنوية فإنهم قالوا بإلهين أحدهما يخلق قدرة الخير و الآخر يخلق قدرة الشر

وَ قَالَ ع لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ تَعَالَى وَ قَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ اَلْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلاَماً دَعْهُ يَا عَمَّارُ فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ اَلدِّينِ إِلاَّ مَا قَارَبَهُ مِنَ اَلدُّنْيَا وَ عَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ لِيَجْعَلَ اَلشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ

المغيرة بن شعبة

أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة بل أكثر البغداديين يفسقونه و يقولون فيه ما يقال في الفاسق و لما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ص عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله ص مقلدا سيفا فقيل من هذا قيل ابن أخيك المغيرة قال و أنت هاهنا يا غدر و الله إني إلى الآن ما غسلت سوءتك.و كان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح و لا إنابة و نية جميلة كان قد صحب قوما في بعض الطرق فاستغفلهم و هم نيام فقتلهم و أخذ أموالهم و هرب خوفا أن يلحق فيقتل أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم فقدم المدينة فأظهر الإسلام و كان رسول الله

ص لا يرد على أحد إسلامه أسلم عن علة أو عن إخلاص فامتنع بالإسلام و اعتصم و حمي جانبه.ذكر حديثه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني قال كان المغيرة يحدث حديث إسلامه قال خرجت مع قوم من بني مالك و نحن على دين الجاهلية إلى المقوقس ملك مصر فدخلنا إلى الإسكندرية و أهدينا للملك هدايا كانت معنا فكنت أهون أصحابي عليه و قبض هدايا القوم و أمر لهم بجوائز و فضل بعضهم على بعض و قصر بي فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له و خرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم و هم مسرورون و لم يعرض أحد منهم علي مواساة فلما خرجوا حملوا معهم خمرا فكانوا يشربون منها فأشرب معهم و نفسي تأبى أن تدعني معهم و قلت ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا و ما حباهم به الملك و يخبرون قومي بتقصيره بي و ازدرائه إياي فأجمعت على قتلهم فقلت إني أجد صداعا فوضعوا شرابهم و دعوني فقلت رأسي يصدع و لكن اجلسوا فأسقيكم فلم ينكروا من أمري شيئا فجلست أسقيهم و أشرب القدح بعد القدح فلما دبت الكأس فيهم اشتهوا الشراب فجعلت أصرف لهم و أترع الكأس فيشربون و لا يدرون فأهمدتهم الخمر حتى ناموا ما يعقلون فوثبت إليهم فقتلتهم جميعا و أخذت جميع ما كان معهم.و قدمت المدينة فوجدت النبي ص بالمسجد و عنده أبو بكر و كان بي عارفا فلما رآني قال ابن أخي عروة قلت نعم قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله و أن مُحَمَّدا رسول الله فقال رسول الله ص الحمد لله فقال أبو بكر من مصر أقبلت قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك قلت كان

بيني و بينهم بعض ما يكون بين العرب و نحن على دين الشرك فقتلتهم و أخذت أسلابهم و جئت بها إلى رسول الله ص ليخمسها و يرى فيها رأيه فإنها غنيمة من المشركين فقال رسول الله أما إسلامك فقد قبلته و لا نأخذ من أموالهم شيئا و لا نخمسها لأن هذا غدر و الغدر لا خير فيه فأخذني ما قرب و ما بعد فقلت يا رسول الله إنما قتلتهم و أنا على دين قومي ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة فقال ع الإسلام يجب ما قبله قال و كان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا و احتوى ما معهم فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن حمل عمي عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.قال فذلك معنى قول عروة يوم الحديبية يا غدر أنا إلى الأمس أغسل سوءتك فلا أستطيع أن أغسلها فلهذا قال أصحابنا البغداديون من كان إسلامه على هذا الوجه و كانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به من لعن علي ع على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل و كان المتوسط من عمره الفسق و الفجور و إعطاء البطن و الفرج سؤالهما و ممالأة الفاسقين و صرف الوقت إلى غير طاعة الله كيف نتولاه و أي عذر لنا في الإمساك عنه و ألا نكشف للناس فسقه

إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة و الرد عليه

و حضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن مُحَمَّد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة و ستمائة ببغداد و عنده جماعة و أحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج فمر ذكر المغيرة بن شعبة و خاض القوم فذمه بعضهم و أثنى عليه بعضهم و أمسك عنه آخرون فقال

بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأي الأشعري الواجب الكف و الإمساك عن الصحابة و عما شجر بينهم فقد قال أبو المعالي الجويني إن رسول الله ص نهى عن ذلك و قال إياكم و ما شجر بين صحابتي و قال دعوا لي أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه و قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم و قال خيركم القرن الذي أنا فيه ثم الذي يليه ثم الذي يليه و قد ورد في القرآن الثناء على الصحابة و على التابعين و قال رسول الله ص و ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم و قد روي عن الحسن البصري أنه ذكر عنده الجمل و صفين فقال تلك دماء طهر الله منها أسيافنا فلا نلطخ بها ألسنتنا.ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا و بعدت أخبارها على حقائقها فلا يليق بنا أن نخوض فيها و لو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ص فيه و من المروءة أن يحفظ رسول الله ص في عائشة زوجته و في الزبير ابن عمته و في طلحة الذي وقاه بيده ثم ما الذي ألزمنا و أوجب علينا أن نلعن أحدا من المسلمين أو نبرأ منه و أي ثواب في اللعنة و البراءة إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف لم لم تلعن بل قد يقول له لم لعنت و لو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصيا و لا آثما و إذا جعل الإنسان عوض اللعنة أستغفر الله كان خيرا له ثم كيف يجوز للعامة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصة و أولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة و قادتها و نحن اليوم في طبقة سافلة جدا عنهم فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم أ ليس يقبح من الرعية أن تخوض في دقائق أمور الملك و أحواله و شئونه التي تجري بينه و بين أهله و بني عمه و نسائه و سراريه و قد كان

رسول الله ص صهرا لمعاوية و أخته أم حبيبة تحته فالأدب أن تحفظ أم حبيبة و هي أم المؤمنين في أخيها.و كيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه و بين رسوله مودة أ ليس المفسرون كلهم قالوا هذه الآية أنزلت في أبي سفيان و آله و هي قوله تعالى (عَسَى اَللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ اَلَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) فكان ذلك مصاهرة رسول الله ص أبا سفيان و تزويجه ابنته على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم و المشاجرة لم يثبت و ما كان القوم إلا كبني أم واحدة و لم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط و لا وقع بينهم اختلاف و لا نزاع.فقال أبو جعفر ﷺ قد كنت منذ أيام علقت بخطي كلاما وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضا و ردا على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي و أنا أخرجه إليكم لأستغني بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه فإني أجد ألما يمنعني من الإطالة في الحديث لا سيما إذا خرج مخرج الجدل و مقاومة الخصوم ثم أخرج من بين كتبه كراسا قرأناه في ذلك المجلس و استحسنه الحاضرون و أنا أذكر هاهنا خلاصته.قال لو لا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه كما أوجب موالاة أوليائه و ضيق على المسلمين تركها إذا دل العقل عليها أو صح الخبر عنها بقوله سبحانه (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) و بقوله تعالى (وَ لَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ اَلنَّبِيِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اِتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ) و بقوله سبحانه (لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً

غَضِبَ اَللَّهُ عَلَـيْهِمْ) و لإجماع المسلمين على أن الله تعالى فرض عداوة أعدائه و ولاية أوليائه و على أن البغض في الله واجب و الحب في الله واجب لما تعرضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين و لا البراءة منه و لكانت عداوتنا للقوم تكلفا و لو ظننا أن الله عزوجل يعذرنا إذا قلنا يا رب غاب أمرهم عنا فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنا معنى لاعتمدنا على هذا العذر و والياهم و لكنا نخاف أن يقول سبحانه لنا إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغب عن قلوبكم و أسماعكم قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي بمثلها ألزمتم أنفسكم الإقرار بالنبي ص و موالاة من صدقه و معاداة من عصاه و جحده و أمرتم بتدبر القرآن و ما جاء به الرسول فهلا حذرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غدا (رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا اَلسَّبِيلاَ) .فأما لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها و أوجبها أ لا ترى إلى قوله (أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اَللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اَللاَّعِنُونَ) فهو إخبار معناه الأمر كقوله (وَ اَلْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ) و قد لعن الله تعالى العاصين بقوله (لُعِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ) و قوله (إِنَّ اَلَّذِينَ يُؤْذُونَ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اَللَّهُ فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً) و قوله (مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً) و قال الله تعالى لإبليس (وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ اَلدِّينِ) و قال (إِنَّ اَللَّهَ لَعَنَ اَلْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً) .

فأما قول من يقول أي ثواب في اللعن و إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لم تلعن بل قد يقول له لم لعنت و أنه لو جعل مكان لعن الله فلانا اللهم اغفر لي لكان خيرا له و لو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك فكلام جاهل لا يدري ما يقول اللعن طاعة و يستحق عليها الثواب إذا فعلت على وجهها و هو أن يلعن مستحق اللعن لله و في الله لا في العصبية و الهوى أ لا ترى أن الشرع قد ورد بها في نفي الولد و نطق بها القرآن و هو أن يقول الزوج في الخامسة (أَنَّ لَعْنَتَ اَللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ اَلْكاذِبِينَ) فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة و أنه قد تعبدهم بها لما جعلها من معالم الشرع و لما كررها في كثير من كتابه العزيز و لما قال في حق القاتل (وَ غَضِبَ اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ) و ليس المراد من قوله وَ لَعَنَهُ إلا الأمر لنا بأن نلعنه و لو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه لأن الله تعالى قد لعنه أ فيلعن الله تعالى إنسانا و لا يكون لنا أن نلعنه هذا ما لا يسوغ في العقل كما لا يجوز أن يمدح الله إنسانا إلا و لنا أن نمدحه و لا يذمه إلا و لنا أن نذمه و قال تعالى (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اَللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اَللَّهُ) و قال (رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ اَلْعَذابِ وَ اِلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً) و قال عزوجل (وَ قالَتِ اَلْيَهُودُ يَدُ اَللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا) و كيف يقول القائل إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لم تلعن أ لا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه و أمر بعداوة أعدائه فكما يسأل عن التولي يسأل عن التبري أ لا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له تلفظ بكلمة الشهادتين ثم قل برئت

من كل دين يخالف دين الإسلام فلا بد من البراءة لأن بها يتم العمل أ لم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تـــــود عـــــدوي ثم تـــــزعم أنـــــني صـــديقك إن الـــرأي عنـــك لعـــازب

فمودة العدو خروج عن ولاية الولي و إذا بطلت المودة لم يبق إلا البراءة لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى و عصاته بألا يودهم و لا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي هذه الواسطة.و أما قوله لو جعل عوض اللعنة أستغفر الله لكان خيرا له فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره و لا قبل منه لأنه يكون عاصيا لله تعالى مخالفا أمره في إمساكه عمن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه و إظهار البراءة و المصر على بعض المعاصي لا تقبل توبته و استغفاره عن البعض الآخر و أما من يعيش عمره و لا يلعن إبليس فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر و إن كان يعتقد وجوب لعنه و لا يلعنه فهو مخطئ على أن الفرق بينه و بين ترك لعنة رءوس الضلال في هذه الأمة كمعاوية و المغيرة و أمثالهما أن أحدا من المسلمين لا يورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهه في أمر إبليس و الإمساك عن لعن هؤلاء و أضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم و تجنب ما يورث الشبهة في الدين واجب فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيرا للإمساك عن أمر هؤلاء.قال ثم يقال للمخالفين أ رأيتم لو قال قائل قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية و الحجاج بن يوسف فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما و لا أن نلعنهما و نعاديهما و نبرأ منهما هل كان هذا إلا كقولكم قد غاب عنا أمر معاوية و المغيرة بن

شعبة و أضرابهما فليس لخوضنا في قصتهم معنى.و بعد فكيف أدخلتم أيها العامة و الحشوية و أهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان و خضتم فيه و قد غاب عنكم و برئتم من قتلته و لعنتموهم و كيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في مُحَمَّد ابنه فإنكم لعنتموه و فسقتموه و لا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها مُحَمَّد المذكور و منعتمونا أن نخوض و ندخل أنفسنا في أمر علي و الحسن و الحسين و معاوية الظالم له و لهما المتغلب على حقه و حقوقهما و كيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندكم و لعن ظالم علي و الحسن و الحسين تكلفا و كيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة و برئت ممن نظر إليها و من القائل لها يا حميراء أو إنما هي حميراء و لعنته بكشفه سترها و منعتنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة و ما جرى لها بعد وفاة أبيها.فإن قلتم إن بيت فاطمة إنما دخل و سترها إنما كشف حفظا لنظام الإسلام و كيلا ينتشر الأمر و يخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربقة الطاعة و لزوم الجماعة.قيل لكم و كذلك ستر عائشة إنما كشف و هودجها إنما هتك لأنها نشرت حبل الطاعة و شقت عصا المسلمين و أراقت دماء المسلمين من قبل وصول علي بن أبي طالب ع إلى البصرة و جرى لها مع عثمان بن حنيف و حكيم بن جبلة و من كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل و سفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ و السير فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعد جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع و تحقق فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار

و البراءة من فاعله و من أوكد عرى الإيمان و صار كشف بيت فاطمة و الدخول عليها منزلها و جمع حطب ببابها و تهددها بالتحريق من أوكد عرى الدين و أثبت دعائم الإسلام و مما أعز الله به المسلمين و أطفأ به نار الفتنة و الحرمتان واحدة و الستران واحد و ما نحب أن نقول لكم أن حرمة فاطمة أعظم و مكانها أرفع و صيانتها لأجل رسول الله ص أولى فإنها بضعة منه و جزء من لحمه و دمه و ليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها و بين الزوج و إنما هي وصلة مستعارة و عقد يجري مجرى إجارة المنفعة و كما يملك رق الأمة بالبيع و الشراء و لهذا قال الفرضيون أسباب التوارث ثلاثة سبب و نسب و ولاء فالنسب القرابة و السبب النكاح و الولاء ولاء العتق فجعلوا النكاح خارجا عن النسب و لو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين.و كيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة و قد أجمع المسلمون كلهم من يحبها و من لا يحبها منهم أنها سيدة نساء العالمين.قال و كيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله ص في زوجته و حفظ أم حبيبة في أخيها و لم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ص في أهل بيته و لا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ص في صهره و ابن عمه ابن عفان و قد قتلوهم و لعنوهم و لقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان و هو خليفة منهم عائشة كانت تقول اقتلوا نعثلا لعن الله نعثلا و منهم عبد الله بن مسعود و قد لعن معاوية علي بن أبي طالب و ابنيه حسنا و حسينا و هم أحياء يرزقون بالعراق و هو يلعنهم بالشام على المنابر و يقنت عليهم في الصلوات و قد لعن أبو بكر و عمر سعد بن عبادة و هو حي و برءا منه و أخرجاه من المدينة إلى الشام و لعن عمر

خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة و ما زال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن و البراءة.قال و لو كان هذا أمرا معتبرا و هو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم فلا يلعنوا لأجل آبائهم فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين و أن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرة و قاتل الحسين و مخيف المسجد الحرام بمكة و أن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان و المحارب عليا ع في صفين.قال على أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله ص من حفظ رسول الله ص في أصحابه و رعاية عهده و عقده لم نعادهم و لو ضربت رقابنا بالسيوف و لكن محبة رسول الله ص لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يصنع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية و إنما أوجب الله رسول الله ص محبة أصحابه لطاعتهم لله فإذا عصوا الله و تركوا ما أوجب محبتهم فليس عند رسول الله ص محاباة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم و لا تغطرس في العدول عن التمسك بموالاتهم فلقد كان ص يحب أن يعادي أعداء الله و لو كانوا عترته كما يحب أن يوالي أولياء الله و لو كانوا أبعد الخلق نسبا منه و الشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام و عداوة من نافق و إن كان من أصحاب رسول الله ص و أن رسول الله ص هو الذي أمر بذلك و دعا إليه

و ذلك أنه ص قد أوجب قطع السارق و ضرب القاذف و جلد البكر إذا زنى و إن كان من المهاجرين أو الأنصار أ لا ترى

أنه قال لو سرقت فاطمة لقطعتها فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله و لا راقبها في حدود الله و قد جلد أصحاب الإفك و منهم مسطح بن أثاثة و كان من أهل بدر.قال و بعد فلو كان محل أصحاب رسول الله ص محل من لا يعادي إذا عصى الله سبحانه و لا يذكر بالقبيح بل يجب أن يراقب لأجل اسم الصحبة و يغضى عن عيوبه و ذنوبه لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن لما اتبع هواه فانسلخ مما أوتي من الآيات و غوى قال سبحانه (وَ اُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اَلَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ اَلشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ اَلْغاوِينَ) و لكان ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل لأن هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولا جليلا من رسل الله سبحانه.قال و لو كانت الصحابة عند أنفسها بهذه المنزلة لعلمت ذلك من حال أنفسها لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا و إذا قدرت أفعال بعضهم ببعض دلتك على أن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم هذا علي و عمار و أبو الهيثم بن التيهان و خزيمة بن ثابت و جميع من كان مع علي ع من المهاجرين و الأنصار لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة و الزبير حتى فعلوا بهما و بمن معهما ما يفعل بالشراة في عصرنا و هذا طلحة و الزبير و عائشة و من كان معهم و في جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي حتى قصدوا له كما يقصد للمتغلبين في زماننا و هذا معاوية و عمرو لم يريا

عليا بالعين التي يرى بها العامي صديقه أو جاره و لم يقصرا دون ضرب وجهه بالسيف و لعنه و لعن أولاده و كل من كان حيا من أهله و قتل أصحابه و قد لعنهما هو أيضا في الصلوات المفروضات و لعن معهما أبا الأعور السلمي و أبا موسى الأشعري و كلاهما من الصحابة و هذا سعد بن أبي وقاص و مُحَمَّد بن مسلمة و أسامة بن زيد و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و عبد الله بن عمر و حسان بن ثابت و أنس بن مالك لم يروا أن يقلدوا عليا في حرب طلحة و لا طلحة في حرب علي و طلحة و الزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين لأنهم زعموا أنهم قد خافوا أن يكون علي قد غلط و زل في حربهما و خافوا أن يكونا قد غلطا و زلا في حرب علي و هذا عثمان قد نفى أبا ذر إلى الربذة كما يفعل بأهل الخنا و الريب و هذا عمار و ابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لما ظهر لهما بزعمهما منه ما وعظاه لأجله ثم فعل بهما عثمان ما تناهى إليكم ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم و علم الناس كلهم و هذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في الغزو ها إني ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرق أصحاب مُحَمَّد في الناس فيضلوهم و زعم أنه و أبو بكر كانا يقولان إن عليا و العباس في قصة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين و ما رأينا عليا و العباس اعتذرا و لا تنصلا و لا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك و لا رأينا أصحاب رسول الله ص أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما و نسبه إليهما و لا أنكروا أيضا على عمر قوله في أصحاب رسول الله ص إنهم يريدون إضلال الناس و يهمون به و لا أنكروا على عثمان دوس بطن عمار و لا كسر ضلع ابن مسعود و لا على عمار و ابن مسعود ما تلقيا به عثمان كإنكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة و لا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقده العامة فيها اللهم إلا أن يزعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم و هذا علي

و فاطمة و العباس ما زالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية نحن معاشر الأنبياء لا نورث و يقولون إنها مختلفة.قالوا و كيف كان النبي ص يعرف هذا الحكم غيرنا و يكتمه عنا و نحن الورثة و نحن أولى الناس بأن يؤدى هذا الحكم إليه و هذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم النفر الذين توفي رسول الله ص و هو عنهم راض ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخروا فصل حال الإمامة هذا بعد أن ثلبهم و قال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحبا إلى السلطان ثم شهدت عليه بالرفض و استحلت دمه فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضا فعمر بن الخطاب أرفض الناس و إمام الروافض كلهم ثم ما شاع و اشتهر من قول عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه و هذا طعن في العقد و قدح في البيعة الأصلية.ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته و قوله عن عبد الرحمن ابنه دويبة سوء و لهو خير من أبيه ثم عمر القائل في سعد بن عبادة و هو رئيس الأنصار و سيدها اقتلوا سعدا قتل الله سعدا اقتلوه فإنه منافق و قد شتم أبا هريرة و طعن في روايته و شتم خالد بن الوليد و طعن في دينه و حكم بفسقه و بوجوب قتله و خون عمرو بن العاص و معاوية بن أبي سفيان و نسبهما إلى سرقة مال الفيء و اقتطاعه و كان سريعا إلى المساءة كثير الجبه و الشتم و السب لكل أحد و قل أن يكون في الصحابة من سلم من معرة لسانه أو يده و لذلك أبغضوه و ملوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة إما أن يكون عمر مخطئا و إما أن تكون العامة على الخطإ.

فإن قالوا عمر ما شتم و لا ضرب و لا أساء إلا إلى عاص مستحق لذلك قيل لهم فكأنا نحن نقول إنا نريد أن نبرأ و نعادي من لا يستحق البراءة و المعاداة كلا ما قلنا هذا و لا يقول هذا مسلم و لا عاقل و إنما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس و عليهم ما عليهم من أساء منهم ذممناه و من أحسن منهم حمدناه و ليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول و معاصرته لا غير بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام و المعجزات فقربت اعتقاداتهم من الضرورة و نحن لم نشاهد ذلك فكانت عقائدنا محض النظر و الفكر و بعرضية الشبه و الشكوك فمعاصينا أخف لأنا أعذر.ثم نعود إلى ما كنا فيه فنقول و هذه عائشة أم المؤمنين خرجت بقميص رسول الله ص فقالت للناس هذا قميص رسول الله لم يبل و عثمان قد أبلى سنته ثم تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا ثم لم ترض بذلك حتى قالت أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا فمن الناس من يقول روت في ذلك خبرا و من الناس من يقول هو موقوف عليها و بدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقا ثم قد حصر عثمان حصرته أعيان الصحابة فما كان أحد ينكر ذلك و لا يعظمه و لا يسعى في إزالته و إنما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له و هو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ص ثم من أشرافهم ثم هو أقرب إليه من أبي بكر و عمر و هو مع ذلك إمام المسلمين و المختار منهم للخلافة و للإمام حق على رعيته عظيم فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة و إن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول من أن الخطأ جائز على

آحاد الصحابة كما يجوز على آحادنا اليوم و لسنا نقدح في الإجماع و لا ندعي إجماعا حقيقيا على قتل عثمان و إنما نقول إن كثيرا من المسلمين فعلوا ذلك و الخصم يسلم أن ذلك كان خطأ و معصية فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يخطئ و يعصي و هو المطلوب.و هذا المغيرة بن شعبة و هو من الصحابة ادعى عليه الزنا و شهد عليه قوم بذلك فلم ينكر ذلك عمر و لا قال هذا محال و باطل لأن هذا صحابي من صحابة رسول الله ص لا يجوز عليه الزنا و هلا أنكر عمر على الشهود و قال لهم ويحكم هلا تغافلتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك فإن الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله ص و أوجب الستر عليهم و هلا تركتموه لرسول الله ص في قوله دعوا لي أصحابي ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى و إقامة الشهادة و أقبل يقول للمغيرة يا مغيرة ذهب ربعك يا مغيرة ذهب نصفك يا مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك حتى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة و هلا قال المغيرة لعمر كيف تسمع في قول هؤلاء و ليسوا من الصحابة و أنا من الصحابة و رسول الله ص قد قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ما رأيناه قال ذلك بل استسلم لحكم الله تعالى و هاهنا من هو أمثل من المغيرة و أفضل قدامة بن مظعون لما شرب الخمر في أيام عمر فأقام عليه الحد و هو رجل من علية الصحابة و من أهل بدر و المشهود لهم بالجنة فلم يرد عمر الشهادة و لا درأ عنه الحد لعلة أنه بدري و لا قال قد نهى رسول الله ص عن ذكر مساوئ الصحابة و قد ضرب عمر أيضا ابنه حدا فمات و كان ممن عاصر رسول الله ص و لم تمنع معاصرته له من إقامة الحد عليه.و هذا علي ع يقول ما حدثني أحد بحديث عن رسول الله ص

إلا استحلفته عليه أ ليس هذا اتهاما لهم بالكذب و ما استثنى أحدا من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر و قد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة و قال لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله ص و قال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه وددت أني لم أكشف بيت فاطمة و لو كان أغلق على حرب فندم و الندم لا يكون إلا عن ذنب.ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي ع عن بيعة أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة فإن كان مصيبا فأبو بكر على الخطإ في انتصابه في الخلافة و إن كان أبو بكر مصيبا فعلي على الخطإ في تأخره عن البيعة و حضور المسجد ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضا للصحابة فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسي يعني عمر فكلكم ورم لذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له لما رأيتم الدنيا قد جاءت أما و الله لتتخذن ستائر الديباج و نضائد الحرير أ ليس هذا طعنا في الصحابة و تصريحا بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر لما نص عليه بالعهد و لقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر ما ذا تقول لربك إذا سألك عن عباده و قد وليت عليهم فظا غليظا فقال أبو بكر أجلسوني أجلسوني بالله تخوفني إذا سألني قلت وليت عليهم خير أهلك ثم شتمه بكلام كثير منقول فهل قول طلحة إلا طعن في عمر و هل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة.ثم الذي كان بين أبي بن كعب و عبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه و كلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم و قوله ألا هلك أهل العقيدة و الله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس.

ثم قول عبد الرحمن بن عوف ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان يا منافق و قوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلي و قوله اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به و افعل.و قال عثمان لعلي ع في كلام دار بينهما أبو بكر و عمر خير منك فقال علي كذبت أنا خير منك و منهما عبدت الله قبلهما و عبدته بعدهما.و روى سفيان بن عينية عن عمرو بن دينار قال كنت عند عروة بن الزبير فتذاكرنا كم أقام النبي بمكة بعد الوحي فقال عروة أقام عشرا فقلت كان ابن عباس يقول ثلاث عشرة فقال كذب ابن عباس و قال ابن عباس المتعة حلال فقال له جبير بن مطعم كان عمر ينهى عنها فقال يا عدي نفسه من هاهنا ضللتم أحدثكم عن رسول الله ص و تحدثني عن عمر.و جاء في الخبر عن علي ع لو لا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنى إلا شقي و قيل ما زنى إلا شفا أي قليلا فأما سبب بعضهم بعضا و قدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من أن يحصى مثل قول ابن عباس و هو يرد على زيد مذهبه القول في الفرائض إن شاء أو قال من شاء باهلته إن الذي أحصى رمل عالج عددا أعدل من أن يجعل في مال نصفا و نصفا و ثلثا هذان النصفان قد ذهبا بالمال فأين موضع الثلث.

و مثل قول أبي بن كعب في القرآن لقد قرأت القرآن و زيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب.و قال علي ع في أمهات الأولاد و هو على المنبر كان رأيي و رأي عمر ألا يبعن و أنا أرى الآن بيعهن فقام إليه عبيدة السلماني فقال رأيك في الجماعة أحب إلينا من رأيك في الفرقة.و كان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم و خالفه عمر و أنكر فعله.و أنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في عدة المتوفى عنها زوجها و هي حامل و قالت فروج يصقع مع الديكة.و أنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف و سفهوا رأيه حتى قيل إنه تاب من ذلك عند موته.و اختلفوا في حد شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضا.و روى بعض الصحابة عن النبي ص أنه قال الشؤم في ثلاثة المرأة و الدار و الفرس فأنكرت عائشة ذلك و كذبت الراوي و قالت إنه إنما قال ع ذلك حكاية عن غيره.و روى بعض الصحابة عنه ع أنه قال التاجر فاجر فأنكرت عائشة ذلك و كذبت الراوي و قالت إنما قاله ع في تاجر دلس.و أنكر قوم من الأنصار

رواية أبي بكر الأئمة من قريش و نسبوه إلى افتعال هذه الكلمة.

و كان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال و صهيب و نحوهما قد روي ذلك في عدة قضايا.و قيل لابن عباس إن عبد الله بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل فقال كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب قال خطبنا رسول الله ص و ذكر كذا بكلام يدل على أن موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل.و باع معاوية أواني ذهب و فضة بأكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء سمعت رسول الله ص ينهى عن ذلك فقال معاوية أما أنا فلا أرى به بأسا فقال أبو الدرداء من عذيري من معاوية أخبره عن الرسول ص و هو يخبرني عن رأيه و الله لا أساكنك بأرض أبدا.و طعن ابن عباس في أبي هريرة

عن رسول الله ص إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخلن يده في الإناء حتى يتوضأ و قال فما نصنع بالمهراس.و قال علي ع لعمر و قد أفتاه الصحابة في مسألة و أجمعوا عليها إن كانوا راقبوك فقد غشوك و إن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطئوا.و قال ابن عباس أ لا يتقي الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا و لا يجعل أب الأب أبا.و قالت عائشة أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله ص.

و أنكرت الصحابة على أبي موسى قوله إن النوم لا ينقض الوضوء و نسبته إلى الغفلة و قلة التحصيل و كذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله إن أكل البرد لا يفطر الصائم و هزئت به و نسبته إلى الجهل.و سمع عمر عبد الله بن مسعود و أبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد فصعد المنبر و قال إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله ص فعن أي فتياكم يصدر المسلمون لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلت و صنعت.و قال جرير بن كليب رأيت عمر ينهى عن المتعة و علي ع يأمر بها فقلت إن بينكما لشرا فقال علي ع ليس بيننا إلا الخير و لكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين.قال هذا المتكلم و كيف يصح أن يقول رسول الله ص أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم لا شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى و أن يكون أهل العراق أيضا على هدى و أن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا و قد صح الخبر الصحيح أنه قال له تقتلك الفئة الباغية و قال في القرآن (فَقاتِلُوا اَلَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اَللَّهِ) فدل على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي مفارقة لأمر الله و من يفارق أمر الله لا يكون مهتديا.و كان يجب أن يكون بسر بن أبي أرطاة الذي ذبح ولدي عبيد الله بن عباس الصغيرين مهتديا لأن بسرا من الصحابة أيضا و كان يجب أن يكون عمرو بن العاص و معاوية اللذان كانا يلعنان عليا أدبار الصلاة و ولديه مهتديين و قد كان في الصحابة من يزني و من يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي و من يرتد عن الإسلام كطليحة بن خويلد فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهديا.

قال و إنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية فإن لهم من ينصرهم بلسانه و بوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف.و كذا القول في الحديث الآخر و هو قوله القرن الذي أنا فيه و مما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا و هو أحد القرون التي ذكرها في النص و كان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين و أوقع بالمدينة و حوصرت مكة و نقضت الكعبة و شربت خلفاؤه و القائمون مقامه و المنتصبون في منصب النبوة الخمور و ارتكبوا الفجور كما جرى ليزيد بن معاوية و ليزيد بن عاتكة و للوليد بن يزيد و أريقت الدماء الحرام و قتل المسلمون و سبي الحريم و استعبد أبناء المهاجرين و الأنصار و نقش على أيديهم كما ينقش على أيدي الروم و ذلك في خلافة عبد الملك و إمرة الحجاج و إذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرا كلها لا خير فيها و لا في رؤسائها و أمرائها و الناس برؤسائهم و أمرائهم و القرن خمسون سنة فكيف يصح هذا الخبر.قال فأما ما ورد في القرآن من قوله تعالى (لَقَدْ رَضِيَ اَللَّهُ عَنِ اَلْمُؤْمِنِينَ) و قوله (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اَللَّهِ وَ اَلَّذِينَ مَعَهُ) .و قول النبي ص إن الله اطلع على أهل بدر إن كان الخبر صحيحا فكله مشروط بسلامة العاقبة و لا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفا غير معصوم بأنه لا عقاب عليه فليفعل ما شاء.قال هذا المتكلم و من أنصف و تأمل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا يجوز عليهم ما يجوز علينا و لا فرق بيننا و بينهم إلا بالصحبة لا غير فإن لها منزلة و شرفا

و لكن لا إلى حد يمتنع على كل من رأى الرسول أو صحبه يوما أو شهرا أو أكثر من ذلك أن يخطئ و يزل و لو كان هذا صحيحا ما احتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء بل كان رسول الله ص من أول يوم يعلم كذب أهل الإفك لأنها زوجته و صحبتها له آكد من صحبة غيرها و صفوان بن المعطل أيضا كان من الصحابة فكان ينبغي ألا يضيق صدر رسول الله ص و لا يحمل ذلك الهم و الغم الشديدين اللذين حملهما و يقول صفوان من الصحابة و عائشة من الصحابة و المعصية عليهما ممتنعة.و أمثال هذا كثير و أكثر من الكثير لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم و قد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك و يقولون في العصاة منهم مثل هذا القول و إنما اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك.قال و من الذي يجترئ على القول بأن أصحاب مُحَمَّد لا تجوز البراءة من أحد منهم و إن أساء و عصى بعد قول الله تعالى للذي شرفوا برؤيته (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ اَلْخاسِرِينَ) بعد قوله (قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) و بعد قوله (فَاحْكُمْ بَيْنَ اَلنَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ اَلْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اَللَّهِ إِنَّ اَلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ) إلا من لا فهم له و لا نظر معه و لا تمييز عنده.قال و من أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة و طعن بعضهم في بعض و رد بعضهم على بعض و ما رد به التابعون عليهم و اعترضوا به أقوالهم و اختلاف التابعين أيضا فيما بينهم و قدح بعضهم في بعض فلينظر في كتاب النظام قال الجاحظ كان النظام

أشد الناس إنكارا على الرافضة لطعنهم على الصحابة حتى إذا ذكر الفتيا و تنقل الصحابة فيها و قضاياهم بالأمور المختلفة و قول من استعمل الرأي في دين الله انتظم مطاعن الرافضة و غيرها و زاد عليها و قال في الصحابة أضعاف قولها.قال و قال بعض رؤساء المعتزلة غلط أبي حنيفة في الأحكام عظيم لأنه أضل خلقا و غلط حماد أعظم من غلط أبي حنيفة لأن حمادا أصل أبي حنيفة الذي منه تفرع و غلط إبراهيم أغلظ و أعظم من غلط حماد لأنه أصل حماد و غلط علقمة و الأسود أعظم من غلط إبراهيم لأنهما أصله الذي عليه اعتمد و غلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعا لأنه أول من بدر إلى وضع الأديان برأيه و هو الذي قال أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله و إن يكن خطأ فمني.قال و استأذن أصحاب الحديث على ثمامة بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي فسألوه كتابه الذي صنفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي فقال لست على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب و إنما كتبته على علقمة و الأسود و عبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة.قال و كان بعض المعتزلة أيضا إذا ذكر ابن عباس استصغره و قال صاحب الذؤابة يقول في دين الله برأيه.و ذكر الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب التوحيد أن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله ص قال و لم يكن علي ع يوثقه في الرواية بل يتهمه و يقدح فيه و كذلك عمر و عائشة.

و كان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز و يستهزئ به و يكفره و عمر بن العزيز و إن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة.و كيف يجوز أن نحكم حكما جزما أن كل واحد من الصحابة عدل و من جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص و كفاك به عدوا مبغضا لرسول الله ص و من الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنص الكتاب و منهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية و بشر بن أبي أرطاة عدو الله و عدو رسوله و في الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس و قال كثير من المسلمين مات رسول الله ص و لم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعيانهم و إنما كان يعرف قوما منهم و لم يعلم بهم أحدا إلا حذيفة فيما زعموا فكيف يجوز أن نحكم حكما جزما أن كل واحد ممن صحب رسول الله أو رآه أو عاصره عدل مأمون لا يقع منه خطأ و لا معصية و من الذي يمكنه أن يتحجر واسعا كهذا التحجر أو يحكم هذا الحكم قال و العجب من الحشوية و أصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء و يثبتون أنهم عصوا الله تعالى و ينكرون على من ينكر ذلك و يطعنون فيه و يقولون قدري معتزلي و ربما قالوا ملحد مخالف لنص الكتاب و قد رأينا منهم الواحد و المائة و الألف يجادل في هذا الباب فتارة يقولون إن يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة و تارة يقولون إن داود قتل أوريا لينكح امرأته و تارة يقولون إن رسول الله كان كافرا ضالا قبل النبوة و ربما ذكروا زينب بنت جحش و قصة الفداء يوم بدر.فأما قدحهم في آدم ع و إثباتهم معصيته و مناظرتهم من يذكر ذلك

فهو دأبهم و ديدنهم فإذا تكلم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية و أمثالهما و نسبهم إلى المعصية و فعل القبيح احمرت وجوههم و طالت أعناقهم و تخازرت أعينهم و قالوا مبتدع رافضي يسب الصحابة و يشتم السلف فإن قالوا إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب قيل لهم فاتبعوا في البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب فإنه تعالى قال (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ) و قال (فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى اَلْأُخْرى فَقاتِلُوا اَلَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اَللَّهِ) و قال (أَطِيعُوا اَللَّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ) .ثم يسألون عن بيعة علي ع هل هي صحيحة لازمة لكل الناس فلا بد من بلى فيقال لهم فإذا خرج على الإمام الحق خارج أ ليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين و إنما برئنا منهم لأنا لسنا في زمانهم فيمكننا أن نقاتل بأيدينا فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم و نلعنهم و ليكون ذلك عوضا عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه.قال هذا المتكلم على أن النظام و أصحابه ذهبوا إلى أنه لا حجة في الإجماع و أنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطإ و المعصية و على الفسق بل على الردة و له كتاب موضوع في الإجماع يطعن فيه في أدلة الفقهاء و يقول إنها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة نحو قوله (جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً) و قوله (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) و قوله (وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ اَلْمُؤْمِنِينَ) .

و أما الخبر الذي صورته لا تجتمع أمتي على الخطإ فخبر واحد و أمثل دليل للفقهاء قولهم إن الهمم المختلفة و الآراء المتباينة إذا كان أربابها كثيرة عظيمة فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطإ و هذا باطل باليهود و النصارى و غيرهم من فرق الضلال.هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر علقه بخطه من الجزء الذي أقرأناه.و نحن نقول أما إجماع المسلمين فحجة و لسنا نرتضي ما ذكره عنا من أنه أمثل دليل لنا أن الهمم المختلفة و الآراء المتباينة يستحيل أن تتفق على غير الصواب و من نظر في كتبنا الأصولية علم وثاقة أدلتنا على صحة الإجماع و كونه صوابا و حجة تحريم مخالفته و قد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى على ما طعن به المرتضى في أدلة الإجماع.و أما ذكره من الهجوم على دار فاطمة و جمع الحطب لتحريقها فهو خبر واحد غير موثوق به و لا معول عليه في حق الصحابة بل و لا في حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته.و أما عائشة و الزبير و طلحة فمذهبنا أنهم أخطئوا ثم تابوا و أنهم من أهل الجنة و أن عليا ع شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل.و أما طعن الصحابة بعضهم في بعض فإن الخلاف الذي كان بينهم في مسائل الاجتهاد لا يوجب إثما لأن كل مجتهد مصيب و هذا أمر مذكور في كتب أصول الفقه و ما كان من الخلاف خارجا عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غير موثوق بها و ما جاء من جهة صحيحة نظر فيه و رجح جانب أحد الصحابيين على قدر منزلته في الإسلام كما يروى عن عمر و أبي هريرة.

فأما علي ع فإنه عندنا بمنزلة الرسول ص في تصويب قوله و الاحتجاج بفعله و وجوب طاعته و متى صح عنه أنه قد برئ من أحد من الناس برئنا منه كائنا من كان و لكن الشأن في تصحيح ما يروى عنه ع فقد أكثر الكذب عليه و ولدت العصبية أحاديث لا أصل لها.فأما براءته ع من المغيرة و عمرو بن العاص و معاوية فهو عندنا معلوم جار مجرى الأخبار المتواترة فلذلك لا يتولاهم أصحابنا و لا يثنون عليهم و هم عند المعتزلة في مقام غير محمود و حاش لله أن يكون ع ذكر من سلف من شيوخ المهاجرين إلا بالجميل و الذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته في الدين و إخلاصه في طاعة رب العالمين و من أحب تتبع ما روي عنه مما يوهم في الظاهر خلاف ذلك فليراجع هذا الكتاب أعني شرح نهج البلاغة فأنا لم نترك موضعا يوهم خلاف مذهبنا إلا و أوضحناه و فسرناه على وجه يوافق الحق و بالله التوفيق

عمار بن ياسر و طرف من أخباره

فأما عمار بن ياسر ﷺ فنحن نذكر نسبه و طرفا من حاله مما ذكره ابن عبد البر في كتاب الإستيعاب قال أبو عمر بن عبد البر ﷺ هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لوذ بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن نام بن عنس بالنون بن مالك بن أدد العنسي المذحجي يكنى أبا اليقظان حليف لبني مخزوم كذا قال ابن شهاب و غيره.

و قال موسى بن عقبة و ممن شهد بدرا عمار بن ياسر حليف لبني مخزوم بن يقظة.و قال الواقدي و طائفة من أهل العلم إن ياسرا والد عمار بن ياسر عربي قحطاني من عنس من مذحج إلا أن ابنه عمارا مولى لبني مخزوم لأن أباه ياسرا تزوج أمه لبعض بني مخزوم فأولدها عمارا و ذلك أن ياسر قدم مكة مع أخوين له يقال لهما الحارث و مالك في طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث و مالك إلى اليمن و أقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة فصار ولاؤه لبني مخزوم و للحلف و الولاء الذي بين بني مخزوم و عمار بن ياسر كان اجتماع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق في بطنه و كسروا ضلعا من أضلاعه فاجتمعت بنو مخزوم و قالوا و الله لئن مات لا قتلنا به أحدا غير عثمان.قال أبو عمر و أسلم عمار و عبد الله أخوه و ياسر أبوهما و سمية أمهما و كان إسلامهم قديما في أول الإسلام فعذبوا في الله عذابا عظيما و كان رسول الله ص يمر بهم و هم يعذبون فيقول صبرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة و يقول لهم أيضا صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر و قد فعلت.قال أبو عمر و لم يزل عمار مع أبي حذيفة بن المغيرة حتى مات و جاء الله بالإسلام.فأما سمية فقتلها أبو جهل طعنها بحربة في قبلها فماتت و كانت من الخيرات

الفاضلات و هي أول شهيدة في الإسلام و قد كانت قريش أخذت ياسرا و سمية و ابنيهما و بلالا و خبابا و صهيبا فألبسوهم أدراع الحديد و صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ فأعطوهم ما سألوا من الكفر و سب النبي ص ثم جاء إلى كل واحد منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيها ثم حملوا بجوانبها فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية و يرفث ثم وجأها بحربة في قبلها فقتلها فهي أول من استشهد في الإسلام فقال عمار للنبي ص يا رسول الله بلغ العذاب من أمي كل مبلغ فقال صبرا يا أبا اليقظان اللهم لا تعذب أحدا من آل ياسر بالنار قال أبو عمر و فيهم(أنزل إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ) .قال و هاجر عمار إلى أرض الحبشة و صلى القبلتين و شهد بدرا و المشاهد كلها و أبلى بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضا و يومئذ قطعت أذنه.قال و ذكر الواقدي عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة و قد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أ من الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا إلي و أنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب و هو يقاتل أشد القتال.قال أبو عمر و كان عمار طويلا أشهل بعيد ما بين المنكبين قال و قد قيل في صفته كان آدم طوالا مضطربا أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين رجلا لا يغير شيبه.

قال و كان عمار يقول أنا ترب رسول الله ص لم يكن أحد أقرب إليه سنا مني.قال و قتل عمار و هو ابن ثلاث و تسعين سنة و الخبر المرفوع مشهور في حقه تقتلك الفئة الباغية و هو من دلائل نبوة رسول الله ص لأنه إخبار عن غيب.و قال رسول الله ص في عمار ملئ إيمانا إلى مشاشه و يروى إلى أخمص قدميه.و فضائل عمار كثيرة و قد تقدم القول في ذكر عمار و أخباره و ما ورد في حقه

٤١٤

وَ قَالَ ع : مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ اَلْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اَللَّهِ وَ أَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ اَلْفُقَرَاءِ عَلَى اَلْأَغْنِيَاءِ اِتِّكَالاً عَلَى اَللَّهِ سُبْحَانَهُ قد تقدم شرح مثل هذه الكلمة مرارا.و قال الشاعر:

قنعت فأعتقت نفسي و لن أملك ذا ثروة رقها

و نزهتها عن سؤال الرجال و منة من لا يرى حقها

و إن القناعة كنز اللبيب إذا ارتتقت فتقت رتقها

سيبعث رزق الشفاه الغراث و خمص البطون الذي شقها

فما فارقت مهجة جسمها لعمرك أو وفيت رزقها

مواعيد ربك مصدوقة إذا غيرها ففقدت صدقها

قَالَ ع : مَا اِسْتَوْدَعَ اَللَّهُ اِمْرَأً عَقْلاً إِلاَّ لِيَسْتَنْقِذَهُ اِسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً مَا لا بد أن يكون للبارئ تعالى في إيداع العقل قلب زيد مثلا غرض و لا غرض إلا أن يستدل به على ما فيه نجاته و خلاصه و ذلك هو التكليف فإن قصر في النظر و جهل و أخطأ الصواب فلا بد أن ينقذه عقله من ورطة من ورطات الدنيا و ليس يخلو أحد عن ذلك أصلا لأن كل عاقل لا بد أن يتخلص من مضرة سبيلها أن تنال بإعمال فكرته و عقله في الخلاص منها فالحاصل أن العقل إما أن ينقذ الإنقاذ الديني و هو الفلاح و النجاح على الحقيقة أو ينقذ من بعض مهالك الدنيا و آفاتها و على كل حال فقد صح قول أمير المؤمنين ع و قد رويت هذه الكلمة مرفوعة و رويت إلا استنقذه به يوما ما.و عنه ص العقل نور في القلب يفرق به بين الحق و الباطل.و عن أنس قال سئل رسول الله ص عن الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب فقال ما من بشر إلا و له ذنوب و خطايا يقترفها فمن كانت سجيته العقل و غريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل كيف ذلك يا رسول الله قال

كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة و ندامة على ما فرط منه فيمحو ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة

نكت في مدح العقل و ما قيل فيه

و قد تقدم من قولنا في العقل و ما ذكر فيه ما فيه كفاية و نحن نذكر هاهنا شيئا آخر كان يقال العاقل يروي ثم يروي و يخبر ثم يخبر.و قال عبد الله بن المعتز ما أبين وجوه الخير و الشر في مرآة العقل.

لقمان يا بني شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء و تأخذه أنت بالمجان.أردشير بن بابك أربعة تحتاج إلى أربعة الحسب إلى الأدب و السرور إلى الأمن و القرابة إلى المودة و العقل إلى التجربة.الإسكندر لا تحتقر الرأي الجزيل من الحقير فإن الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها.مسلمة بن عبد الملك ما ابتدأت أمرا قط بحزم فرجعت على نفسي بلائمة و إن كانت العاقبة علي و لا أضعت الحزم فسررت و إن كانت العاقبة لي.وصف رجل عضد الدولة بن بويه فقال لو رأيته لرأيت رجلا له وجه فيه ألف عين و فم فيه ألف لسان و صدر فيه ألف قلب.أثنى قوم من الصحابة على رجل عند رسول الله ص بالصلاة و العبادة و خصال الخير حتى بالغوا

فقال ص كيف عقله قالوا يا رسول الله

نخبرك باجتهاده في العبادة و ضروب الخير و تسأل عن عقله فقال إن الأحمق ليصيب بحمقه أعظم مما يصيبه الفاجر بفجوره و إنما ترتفع العباد غدا في درجاتهم و ينالون من الزلفى من ربهم على قدر عقولهم.الريحاني العقل ملك و الخصال رعيته فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها و سمع هذا الكلام أعرابي فقال هذا كلام يقطر عسله.قال معن بن زائدة ما رأيت قفا رجل إلا عرفت عقله قيل فإن رأيت وجهه قال ذا كتاب يقرأ.بعض الفلاسفة عقل الغريزة مسلم إلى عقل التجربة.بعضهم كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه إذا كثر غلا.قالوا في قوله تعالى (لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا) أي من كان عاقلا.و من كلامهم العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السفهاء.أعرابي لو صور العقل أظلمت معه الشمس و لو صور الحمق لأضاء معه الليل.قيل لحكيم متى عقلت قال حين ولدت فأنكروا ذلك فقال أما أنا فقد بكيت حين جعت و طلبت الثدي حين احتجت و سكت حين أعطيت يريد أن من عرف مقادير حاجته فهو عاقل.المأمون إذا أنكرت من عقلك شيئا فاقدحه بعاقل.بزرجمهر العاقل الحازم إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها و كذلك العاقل يجمع وجوه

الرأي في الأمر المشكل ثم يضرب بعضها في بعض حتى يستخلص الرأي الأصوب.كان يقال هجين عاقل خير من هجان جاهل.كان بعضهم إذا استشير قال لمشاوره أنظرني حتى أصقل عقلي بنومة.إذا نزلت المقادير نزلت التدابير من نظر في المغاب ظفر بالمحاب من استدت عزائمه اشتدت دعائمه الرأي السديد أجدى من الأيد الشديد.بعضهم:

و مـــا ألـــف مطـــرور الســـنان مشـــدد يعـــارض يـــوم الـــروع رأيا مســـددا

أبو الطيب:

الـــرأي قبـــل شـــجاعة الشـــجعان هـــو أول وهـــى المحـــل الثـــاني

فـــإذا همـــا اجتمعـــا لـــنفس حـــرة بلغـــت مـــن العليـــاء كـــل مكـــان

و لربمـــا طعـــن الفـــتى أقرانـــه بالـــرأي قبـــل تطـــاعن الأقـــران

لـــو لا العقـــول لكـــان أدنى ضـــيغم أدنى إلى شـــرف مـــن الإنســـان

و لمـــا تفاضـــلت النفـــوس و دبـــرت أيـــدي الكمـــاة عـــوالي المـــران

ذكر المأمون ولد علي ع فقال خصوا بتدبير الآخرة و حرموا تدبير الدنيا.كان يقال إذا كان الهوى مقهورا تحت يد العقل و العقل مسلط عليه صرفت مساوئ صاحبه إلى المحاسن فعدت بلادته حلما و حدته ذكاء و حذره بلاغة و عية صمتا و جبنه حذرا و إسرافه جودا.

و ذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال هذه خصيصة الحظ نقلها مرتب هذا الكلام إلى العقل.سمع مُحَمَّد بن يزداد كاتب المأمون قول الشاعر:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

فأضاف إليه:

و إن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا فإن فساد العزم أن يتفندا

٤١٦

وَ قَالَ ع : مَنْ صَارَعَ اَلْحَقَّ صَرَعَهُ هذا مثل قوله في موضع آخر من أبدى صفحته للحق هلك و نحو هذا قول الطائي:

و مـــن قـــامر الأيام عـــن ثمراتهـــا فـــأحج بهـــا أن تنجلـــي و لهـــا القمـــر

٤١٧

وَ قَالَ ع : اَلْقَلْبُ مُصْحَفُ اَلْبَصَرِ هذا مثل قول الشاعر:

تخـــبرني العينـــان مـــا القلـــب كـــاتم و مـــا جـــن بالبغضـــاء و النظـــر الشـــزر

يقول ع كما أن الإنسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه كذلك إذا أبصر الإنسان صاحبه فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه ثم يعلم ما في قلبه من حب و بغض و غيرهما كما يعلم برؤية الخط الذي في المصحف ما يدل الخط عليه.و قال الشاعر:

إن العيـــــون لتبـــــدي في تقلبهـــــا مـــا في الضـــمائر مـــن ود و مـــن حنـــق

٤١٨

وَ قَالَ ع : اَلتُّقَى رَئِيسُ اَلْأَخْلاَقِ يعني رئيس الأخلاق الدينية لأن الأخلاق الحميدة كالجود و الشجاعة و الحلم و العفة و غير ذلك لو قدرنا انتفاء التكاليف العقلية و الشرعية لم يكن التقى رئيسا لها و إنما رئاسة التقى لها مع ثبوت التكليف لا سيما الشرعي و التقى في الشرع هو الورع و الخوف من الله و إذا حصل حصلت الطاعات كلها و انتفت القبائح كلها فصار الإنسان معصوما و تلك طبقة عالية و هي أشرف من جميع الطبقات التي يمدح بها الإنسان نحو قولنا جواد أو شجاع أو نحوهما لأنها طبقة ينتقل الإنسان منها إلى الجنة و دار الثواب الدائم و هذه مزية عظيمة يفضل بها على سائر طبقات الأخلاق

٤١٩

وَ قَالَ ع : لاَ تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ وَ بَلاَغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ يقول لا شبهة أن الله تعالى هو الذي أنطقك و سدد لفظك و علمك البيان كما قال سبحانه (خَلَقَ اَلْإِنْسانَ عَلَّمَهُ اَلْبَيانَ) فقبيح أن يجعل الإنسان ذرب لسانه و فصاحة منطقه على من أنطقه و أقدره على العبادة و قبيح أن يجعل الإنسان بلاغة قوله على من سدد قوله و جعله بليغا حسن التعبير على المعاني التي في نفسه و هذا كمن ينعم على إنسان بسيف فإنه يقبح منه أن يقتله بذلك السيف ظلما قبحا زائدا على ما لو قتله بغير ذلك السيف و ما أحسن قول المتنبي في سيف الدولة:

و لما كسا كعبا ثيابا طغوا بها ... رمى كل ثوب من سنان بخارق

و ما يوجع الحرمان من كف حازم ... كما يوجع الحرمان من كف رازق

٤٢٠

وَ قَالَ ع : كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اِجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ قد قال ع هذا اللفظ أو نحوه مرارا و قد تكلمنا نحن عليه و ذكرنا نظائر له كثيرة نثرا و نظما.و كتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك في حال اقتضت ذلك:

ما على ذا افترقنا بشبذان إذ كنا و لا هكذا عهدنا الإخاء

تضرب الناس بالمهندة البيض على غدرهم و تنسى الوفاء

٤٢١

وَ قَالَ ع يُعَزِّي قَوْماً مَنْ صَبَرَ صَبْرَ اَلْأَحْرَارِ وَ إِلاَّ سَلاَ سُلُوَّ اَلْأَغْمَارِ وَ فِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ ع قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مُعَزِّياً عَنِ اِبْنٍ لَهُ إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ اَلْأَكَارِمِ وَ إِلاَّ سَلَوْتَ سُلُوَّ اَلْبَهَائِمِ أخذ هذا المعنى أبو تمام بل حكاه فقال:

و قـــال علـــي في التعـــازي لأشـــعث و خـــاف عليـــه بعـــض تلـــك المـــآثم
أتصـــبر للبلـــوى عـــزاء و حســـبة فتـــؤجر أم تســـلو ســـلو البهـــائم

وَ قَالَ ع فِي صِفَةِ اَلدُّنْيَا اَلدُّنْيَا تَغُرُّ وَ تَضُرُّ وَ تَمُرُّ إِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ وَ لاَ عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ قد تقدم لنا كلام طويل في ذم الدنيا و من الكلام المستحسن قوله تغر و تضر و تمر و الكلمة الثانية أحسن و أجمل.و قرأت في بعض الآثار أن عيسى ع مر بقرية و إذا أهلها موتى في الطرق و الأفنية فقال للتلامذة إن هؤلاء ماتوا عن سخطة و لو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا سيدنا وددنا أنا علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فقال له إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم ناداهم فأجابه مجيب فقال ما حالكم و ما قصتكم فقال بتنا في عافية و أصبحنا في الهاوية قال و كيف ذلك قال لحبنا الدنيا قال كيف كان حبكم لها قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرح بها و إذا أدبرت حزن عليها و بكى قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأني كنت فيهم و لم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أكبكب فيها فقال المسيح لتلامذته لأكل خبز الشعير بالملح الجريش و لبس المسوح و النوم على المزابل و سباخ الأرض في حر الصيف كثير مع العافية من عذاب الآخرة

وَ إِنَّ أَهْلَ اَلدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا روي بيناهم حلول و بينا هي بين نفسها و وزنها فعلى أشبعت فتحة النون فصارت ألفا ثم قالوا بينما فزادوا ما و المعنى واحد تقول بينا نحن نفعل كذا جاء زيد أي بين أوقات فعلنا كذا جاء زيد و الجمل قد يضاف إليها أسماء الزمان نحو قولهم أتيتك زمن الحجاج أمير ثم حذفوا المضاف الذي هو أوقات و ولي الظرف الذي هو بين الجملة التي أقيمت مقام المحذوف.و كان الأصمعي يخفض بعد بينا إذا صلح في موضعه بين و ينشد قول أبي ذؤيب بالكسر:

بينـــا تعنقـــه الكمـــاة و روغـــه يومـــا أتـــيح لـــه جـــري ســـلفع

و غيره يرفع ما بعد بينا و بينما على الابتداء و الخبر فأما إذ و إذا فإن أكثر أهل العربية يمنعون من مجيئهما بعد بينا و بينما و منهم من يجيزه و عليه جاء كلام أمير المؤمنين و أنشدوا:

بينمـــا النـــاس علـــى عليائهـــا إذ هـــووا في هـــوة منهـــا فغـــاروا

و قالت الحرقة بنت النعمان بن المنذر:

و بينا نسوس الناس و الأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

و قال الشاعر:

أستقدر الله خيرا و أرضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير

و بينما المرء في الأحياء مغتبط إذ صار في اللحد تعفوه الأعاصير

و مما جاء في وصف الدنيا مما يناسب كلام أمير المؤمنين قول أبي العتاهية:

إن دارا نحن فيها لدار ليس فيها لمقيم قرار

كم و كم قد حلها من أناس ذهب الليل بهم و النهار

فهم الركب قد أصابوا مناخا فاسترحوا ساعة ثم ساروا

و كذا الدنيا على ما رأينا يذهب الناس و تخلو الديار

وَ قَالَ ع لِابْنِهِ اَلْحَسَنِ ع يَا بُنَيَّ لاَ تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ اَلدُّنْيَا فَإِنَّكَ تَخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اَللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ وَ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اَللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَ لَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ قَالَ اَلرَّضِيُّ وَ يُرْوَى هَذَا اَلْكَلاَمُ عَلَى وَجْهٍ آخَرَ وَ هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اَلَّذِي فِي يَدَيْكَ يَدِكَ مِنَ اَلدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ وَ هُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ وَ إِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اَللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اَللَّهِ فَشَقِيَ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ وَ لَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ وَ لاَ أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اَللَّهِ وَ لِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اَللَّهِ تَعَالَى روي فإنك لا تخلفه إلا لأحد رجلين و هذا الفصل نهي عن الادخار و قد سبق لنا فيه كلام مقنع.و خلاصة هذا الفصل أنك إن خلفت مالا فإما أن تخلفه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو لمن يعمل فيه بمعصيته فالأول يسعد بما شقيت به أنت و الثاني يكون معانا

منك على المعصية بما تركته له من المال و كلا الأمرين مذموم و إنما قال له فارج لمن مضى رحمة الله و لمن بقي رزق الله لأنه قال في أول الكلام قد كان لهذا المال أهل قبلك و هو صائر إلى أهل بعدك.و الكلام في ذم الادخار و الجمع كثير و للشعراء فيه مذاهب واسعة و معان حسنة و قال بعضهم:

يا جامعـــا مانعـــا و الـــدهر يرمقـــه مـــــدبرا أي باب عنـــــه يغلقـــــه

و ناســـــيا كيـــــف تأتيـــــه منيتـــــه أ غـــــاديا أم بهـــا يســـري فتطرقـــه

جمعـت مـالا فقـل لي هـل جمعـت لـه يا جـــــامع المـــــال أيامـــــا تفرقـــه

المـــــال عنـــــدك مخـــــزون لوارثـــــه مـــا المـــال مالـــك إلا يـــوم تنفقـــه

أرفـــه ببـــال فـــتى يغـــدو علـــى ثقـــة أن الـــــذي قســـــم الأرزاق يرزقـــــه

فـــالعرض منـــه مصـــون لا يدنســـه و الوجـــه منـــه جديـــد لـــيس يخلقـــه

إن القناعـــة مـــن يحلـــل بســـاحتها لم يلـــق في ظلهـــا همـــا يؤرقـــه

وَ قَالَ ع لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ أَسْتَغْفِرُ اَللَّهَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَ تَدْرِي مَا اَلِاسْتِغْفَارُ إِنَّ لِلِاسْتِغْفَارِ دَرَجَةَ اَلْعِلِّيِّينَ اَلِاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ اَلْعِلِّيِّينَ وَ هُوَ اِسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ أَوَّلُهَا اَلنَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى وَ اَلثَّانِي اَلْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ اَلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً وَ اَلثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى اَلْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اَللَّهَ عزوجل أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ وَ اَلرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا وَ اَلْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اَللَّحْمِ اَلَّذِي نَبَتَ عَلَى اَلسُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ اَلْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ وَ اَلسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ اَلْجِسْمَ أَلَمَ اَلطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ اَلْمَعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اَللَّهَ

قد روي أن الاستغفار درجة العليين.فيكون على تقدير حذف مضاف أي أن درجة الاستغفار درجة العليين و على الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف أي أن لصاحب الاستغفار درجة العليين و هو هاهنا جمع على فعيل كضليل و خمير تقول هذا رجل علي أي كثير العلو و منه العلية للغرفة على إحدى اللغتين و لا يجوز أن يفسر بما فسر به الراوندي من قوله إنه اسم السماء السابعة و نحو قوله هو سدرة المنتهى و نحو قوله هو موضع تحت قائمة العرش اليمنى لأنه لو كان كذلك لكان

علما فلم تدخله اللام كما لا يقال الجهنم و كذلك أيضا لا يجوز تفسيره بما فسره الراوندي أيضا قال العليين جمع علي الأمكنة في السماء لأنه لو كان كذلك لم يجمع بالنون لأنها تختص بمن يعقل و تصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيرا لقوله تعالى (كَلاَّ إِنَّ كِتـابَ اَلْأَبْـرارِ لَـفِي عِلِّيِّـينَ) .قوله نبت على السحت أي على الحرام يقال سحت بالتسكين و سحت بالضم و أسحت الرجل في تجارته أي اكتسب السحت

فصل في الاستغفار و التوبة

و ينبغي أن نذكر في هذا الموضوع كلاما مختصرا مما يقوله أصحابنا في التوبة فإن كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذي أخذ منه أصحابنا مقالتهم و الذي يقولونه في التوبة فقد أتى على جوامعه ع في هذا الفصل على اختصاره.قال أصحابنا الكلام في التوبة يقع من وجوه منها الكلام في ماهية التوبة و الكلام في إسقاطها الذم و العقاب و الكلام في أنه يجب علينا فعلها و الكلام في شرطها أما ماهية التوبة فهي الندم و العزم لأن التوبة هي الإنابة و الرجوع و ليس يمكن أن يرجع الإنسان عما فعله إلا بالندم عليه و العزم على ترك معاودته و ما يتوب الإنسان منه إما أن يكون فعلا قبيحا و إما أن يكون إخلالا بواجب فالتوبة من الفعل القبيح هي أن يندم عليه و يعزم ألا يعود إلى مثله و عزمه على ذلك هو كراهيته لفعله و التوبة من الإخلال بالواجب هي أن يندم على إخلاله بالواجب

و يعزم على أداء الواجب فيما بعد فأما القول في أن التوبة تسقط العذاب فعندنا أن العقل يقتضي قبح العقاب بعد التوبة و خالف أكثر المرجئة في ذلك من الإمامية و غيرهم و احتج أصحابنا بقبح عقوبة المسيء إلينا بعد ندمه و اعتذاره و تنصله و العلم بصدقه و العلم بأنه عازم على ألا يعود.فأما القول في وجوب التوبة على العصاة فلا ريب أن الشرع يوجب ذلك فأما العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة أو يعلم أنها صغيرة أو يجوز فيها كلا الأمرين فإن علم كونها كبيرة وجب عليه في العقول التوبة منها لأن التوبة مزيلة لضرر الكبيرة و إزالة المضار واجبة في العقول و إن جوز كونها كبيرة و جوز كونها صغيرة لزمه أيضا في العقل التوبة منها لأنه يأمن بالتوبة من مضرة مخوفة و فعل ما يؤمن من المضار المخوفة واجب و إن علم أن معصيته صغيرة و ذلك كمعاصي الأنبياء و كمن عصى ثم علم بإخبار نبي أن معصيته صغيرة محبطة فقد قال الشيخ أبو علي إن التوبة منها واجبة في العقول لأنه إن لم يتب كان مصرا و الإصرار قبيح.و قال الشيخ أبو هاشم لا تجب التوبة منها في العقل بالشرع لأن فيها مصلحة يعلمها الله تعالى قال إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب و من الإصرار عليه لأن الإصرار عليه هو العزم على معاودة مثله و التوبة منه أن يكره معاودة مثله مع الندم على ما مضى و يجوز أن يخلو الإنسان من العزم على الشيء و من كراهته.و مال شيخنا أبو الحسين ﷺ إلى وجوب التوبة هاهنا عقلا لدليل غير دليل أبي علي ﷺ.

فأما القول في صفات التوبة و شروطها فإنها على ضربين أحدهما يعم كل توبة و الآخر يختلف بحسب اختلاف ما يتاب منه فالأول هو الندم و العزم على ترك المعاودة.و أما الضرب الثاني فهو أن ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فعلا أو إخلالا بواجب فإن كان فعلا قبيحا وجب عند الشيخ أبي هاشم ﷺ أن يندم عليه لأنه فعل قبيح و أن يكره معاودة مثله لأنه قبيح و إن كان إخلالا بواجب وجب عليه عنده أن يندم عليه لأنه إخلال بواجب و أن يعزم على فعل مثل ما أخل به لأنه واجب فإن ندم خوف النار فقط أو شوقا إلى الجنة فقط أو لأن القبيح الذي فعله يضر ببدنه كانت توبته صحيحة و إن ندم على القبيح لقبحه و لخوف النار و كان لو انفرد قبحه ندم عليه فإن توبته تكون صحيحة و إن كان لو انفرد القبح لم يندم عليه فإنه لا تكون توبته صحيحة عنده و الخلاف فيه مع الشيخ أبي علي و غيره من الشيوخ رحمهم الله و إنما اختار أبو هاشم هذا القول لأن التوبة تجري مجرى الاعتذار بيننا و معلوم أن الواحد منا لو أساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه و اعتذر منها خوفا من معاقبته له عليها أو من معاقبة السلطان حتى لو أمن العقوبة لما اعتذر و لا ندم بل كان يواصل الإساءة فإنه لا يسقط ذمه فكذلك التوبة خوف النار لا لقبح الفعل.و قد نقل قاضي القضاة هذا المذهب عن أمير المؤمنين ع و الحسن البصري و علي بن موسى الرضا و القاسم بن إبراهيم الزيني.قال أصحابنا و للتوبة شروط أخر تختلف بحسب اختلاف المعاصي و ذلك أن

ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فيه لآدمي حق أو لا حق فيه لآدمي فما ليس للآدمي فيه حق فنحو ترك الصلاة فإنه لا يجب فيه إلا الندم و العزم على ما قدمنا و ما لآدمي فيه حق على ضربين أحدهما أن يكون جناية عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه و الآخر ألا يكون جناية عليه في شيء من ذلك فما كان جناية عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله فالواجب فيه الندم و العزم و أن يشرع في تسليم بدل ما أتلف فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب و إن جنى عليه في دينه بأن يكون قد أضله بشبهة استزله بها فالواجب عليه مع الندم العزم و الاجتهاد في حل شبهته من نفسه فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن فإن مات قبل التمكن أو تمكن منه و اجتهد في حل الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضال فلا عقاب عليه لأنه قد استفرغ جهده فإن كانت المعصية غير جناية نحو أن يغتابه أو يسمع غيبته فإنه يلزمه الندم و العزم و لا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه لأنه ليس يلزمه أرش لمن اغتابه فيستحله ليسقط عنه الأرش و لا غمه فيزيل غمه بالاعتذار و في ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمه منها إدخال غم عليه فلم يجز ذلك فإن كان قد أسمع المغتاب غيبته فذلك جناية عليه لأنه قد أوصل إليه مضرة الغم فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار

٤٢٦

وَ قَالَ ع اَلْحِلْمُ عَشِيرَةٌ كان يقال الحلم جنود مجندة لا أرزاق لها.و قال ع وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال.و قال الشاعر:

و للكف عن شتم اللئيم تكرما أضر له من شتمه حين يشتم

و كان يقال من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم.و قد تقدم من القول في الحلم ما فيه كفاية

٤٢٧

وَ قَالَ ع : مِسْكِينٌ اِبْنُ آدَمَ مَكْتُومُ اَلْأَجَلِ مَكْنُونُ اَلْعِلَلِ مَحْفُوظُ اَلْعَمَلِ تُؤْلِمُهُ اَلْبَقَّةُ وَ تَقْتُلُهُ اَلشَّرْقَةُ وَ تُنْتِنُهُ اَلْعَرْقَةُ قد تقدم هاهنا خبر المبتدإ عليه و التقدير ابن آدم مسكين ثم بين مسكنته من أين هي فقال إنها من ستة أوجه أجله مكتوم لا يدري متى يخترم و علله باطنة لا يدري بها حتى تهيج عليه و عمله محفوظ (ما لِهذَا اَلْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها) و قرص البقة يؤلمه و الشرقة بالماء تقتله و إذا عرق أنتنته العرقة الواحدة و غيرت ريحه فمن هو على هذه الصفات فهو مسكين لا محالة لا ينبغي أن يأمن و لا أن يفخر

وَ يُرْوَى رُوِيَ أَنَّهُ ع كَانَ جَالِساً فِي أَصْحَابِهِ إِذْ مَرَّتْ فَمَرَّتْ بِهِمُ اِمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا اَلْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ ع إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ اَلْفُحُولِ طَوَامِحُ وَ إِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى اِمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ فَإِنَّمَا هِيَ اِمْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ اَلْخَوَارِجِ قَاتَلَهُ اَللَّهُ كَافِراً مَا أَفْقَهَهُ قَالَ فَوَثَبَ اَلْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ ع رُوَيْداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ تقول هب الفحل و التيس يهب بالكسر هبيبا أو هبابا إذا هاج للضراب أو للفساد و الهباب أيضا صوت و التيس إذا هب فهو مهباب و قد هبهبته أي دعوته لينزو فتهبهب أي تزعزع.و سألني صديقنا علي بن البطريق عن هذه القصة فقال ما باله عفا عن الخارجي و قد طعن فيه بالكفر و أنكر على الأشعث قوله هذه عليك لا لك فقال

ما يدريك عليك لعنة الله ما علي مما لي حائك ابن حائك منافق ابن كافر و ما واجهه به الخارجي أفظع مما واجهه الأشعث فقلت لا أدري.قال لأن كل صاحب فضيلة يعظم عليه أن يطعن في فضيلته تلك و يدعى عليه أنه فيها ناقص و كان علي ع بيت العلم فلما طعن فيه الأشعث طعن بأنك لا تدري ما عليك مما لك فشق ذلك عليه و امتعض منه و جبهه و لعنه و أما الخارجي فلم يطعن في علمه بل أثبته له و اعترف به و تعجب منه فقال قاتله الله كافرا ما أفقهه فاغتفر له لفظة كافر بما اعترف له به من علو طبقته في الفقه و لم يخشن عليه خشونته على الأشعث و كان قد مرن على سماع قول الخوارج أنت كافر و قد كفرت يعنون التحكيم فلم يحفل بتلك اللفظة و نهى أصحابه عن قتله محافظة و رعاية له على ما مدحه به

وَ قَالَ ع : كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ يقول ع كفى الإنسان من عقله ما يفرق به بين الغي و الرشاد و بين الحق من العقائد و الباطل فإنه بذلك يتم تكليفه و لا حاجة في التكليف و الفرق بين الغي و الرشد إلى زيادة على ذلك نحو التجارب التي تفيده الحزم التام و معرفة أحوال الدنيا و أهلها و أيضا لا حاجة له إلى أن يكون عنده من الفطنة الثاقبة و الذكاء التام ما يستنبط به دقائق الكلام في الحكمة و الهندسة و العلوم الغامضة فإن ذلك كله فضل مستغنى عنه فإن حصل للإنسان فقد كمل و إن لم يحصل للإنسان فقد كفاه في تكليفه و نجاته من معاطب العصيان ما يفرق به بين الغي و الرشاد و هو حصول العلوم البديهية في القلب و ما جرى مجراها من علوم العادات و ما يذكره أصحابنا في باب التكليف

وَ قَالَ ع : اِفْعَلُوا اَلْخَيْرَ وَ لاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَ قَلِيلَهُ كَثِيرٌ وَ لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ اَلْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَ اَللَّهِ كَذَلِكَ القليل من الخير خير من عدم الخير أصلا.قال ع لا يقولن أحدكم إن فلانا أولى بفعل الخير مني فيكون و الله كذلك مثاله قوم موسرون في محلة واحدة قصد واحدا منهم سائل فرده و قال له اذهب إلى فلان فهو أولى بأن يتصدق عليك مني فإن هذه الكلمة تقال دائما نهى ع عن قولها و قال فيكون و الله كذلك أي إن الله تعالى يوفق ذلك الشخص الذي أحيل ذلك السائل عليه و ييسر الصدقة عليه و يقوي دواعيه إليها فيفعلها فتكون كلمة ذلك الإنسان الأول قد صادفت قدرا و قضاء و وقع الأمر بموجبها

٤٣١

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَ لِلشَّرِّ أَهْلاً فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ يقول ع إن عن لك باب من أبواب الخير و تركته فسوف يكفيكه بعض الناس ممن جعله الله تعالى أهلا للخير و إسداء المعروف إلى الناس و إن عن لك باب من أبواب الشر فتركته فسوف يكفيكه بعض الناس ممن جعلتهم أنفسهم و سوء اختيارهم أهلا للشر و أذى الناس فاختر لنفسك أيما أحب إليك أن تحظى بالمحمدة و الثواب و تفعل ما إن تركته فعله غيرك و حظي بحمده و ثوابه أو أن تتركه و أيما أحب إليك أن تشقى بالذم عاجلا و العقاب آجلا و تفعل ما إن تركته كفاكه غيرك و بلغت غرضك منه على يد غيرك أو أن تفعله و لا ريب أن العاقل يختار فعل الخير و ترك الشر إذا أفكر حق الفكر فيما قد أوضحناه

وَ قَالَ ع : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اَللَّهُ عَلاَنِيَتَهُ وَ مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اَللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اَللَّهِ أَحْسَنَ اَللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اَلنَّاسِ لا ريب أن الأعمال الظاهرة تبع للأعمال الباطنة فمن صلح باطنه صلح ظاهره و بالعكس و ذلك لأن القلب أمير مسلط على الجوارح و الرعية تتبع أميرها و لا ريب أن من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه و قد شهد بذلك الكتاب العزيز في قوله سبحانه (وَ مَنْ يَتَّقِ اَللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) .

و لهذا أيضا علة ظاهرة و ذاك أن من عمل لله سبحانه و للدين فإنه لا يخفى حاله في أكثر الأمر عن الناس و لا شبهة أن الناس إذا حسنت عقيدتهم في إنسان و علموا متانة دينه بوبوا له إلى الدنيا أبوابا لا يحتاج أن يتكلفها و لا يتعب فيها فيأتيه رزقه من غير كلفة و لا كد و لا ريب أن من أحسن فيما بينه و بين الله أحسن الله ما بينه و بين الناس و ذلك لأن القلوب بالضرورة تميل إليه و تحبه و ذلك لأنه إذا كان محسنا بينه و بين الناس عف عن أموال الناس و دمائهم و أعراضهم و ترك الدخول فيما لا يعنيه و لا شبهة أن من كان بهذه الصفة فإنه يحسن ما بينه و بين الناس

٤٣٣

وَ قَالَ ع : اَلْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ وَ اَلْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ وَ قَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ لما جعل الله الحلم غطاء و العقل حساما أمره أن يستر خلل خلقه بذلك الغطاء و أن يقاتل هواه بذلك الحسام و قد سبق القول في الحلم و العقل

٤٣٤

وَ قَالَ ع : إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ يَخْتَصُّهُمُ اَللَّهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ اَلْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ قد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم و قد قالت الشعراء فيه فأكثروا و قريب من ذلك قول الشاعر:

و بالنـاس عـاش النـاس قـدما و لم يـزل مـــن النـــاس مرغـــوب إليـــه و راغـــب

و أشد تصريحا بالمعنى قول الشاعر:

لم يعطــك الله مــا أعطــاك مــن نعــم إلا لتوســـع مـــن يرجـــوك إحســـانا

فـــإن منعـــت فـــأخلق أن تصـــادفها تطـــير عنـــك زرافـــات و وحـــدانا

٤٣٥

وَ قَالَ ع : لاَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ اَلْعَافِيَةِ وَ اَلْغِنَى بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ وَ بَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ اِفْتَقَرَ قد تقدم القول في هذا المعنى.و قال الشاعر:

و بينمـــا المـــرء في الأحيـــاء مغتـــبط إذ صـــار في اللحـــد تســـفيه الأعاصـــير

و قال آخر:

لا يغرنـــــك عشـــــاء ســـــاكن قـــــد يـــــوافي بالمنيـــــات الســـــحر

و قال عبيد الله بن طاهر:

و إذا مـــا أعـــارك الـــدهر شـــيئا فهـــو لا بـــد آخـــذ مـــا أعـــارا

آخر:

يغـــر الفـــتى مـــر الليـــالي ســـليمة و هـــن بـــه عمـــا قليـــل عـــواثر

و قال آخر:

و رب غـــــني عظـــــيم الثـــــراء أمســـــى مقـــــلا عـــــديما فقـــــيرا

و كـــم بات مـــن مـــترف في القصـــور فعـــوض في الصـــبح عنهـــا القبـــورا

٤٣٦

وَ قَالَ ع : مَنْ شَكَا اَلْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اَللَّهِ وَ مَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اَللَّهَ قد تقدم القول في شكوى الحال و كراهيتها و كلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه لا يكره شكوى الحال إلى المؤمن و يكرهها إلى غير المؤمن و هذا مذهب ديني غير المذهب العرفي.و أكثر مذاهبه و مقاصده ع في كلامه ينحو فيها نحو الدين و الورع و الإسلام و كأنه يجعل الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه لأنه لا يشكو إلى المؤمن إلا و قد خلت شكواه من التسخط و التأفف و لا يشكو إلى الكافر إلا و قد شاب شكواه بالاستزادة و التضجر فافترقت الحال في الموضعين.فأما المذهب المشهور في العرف و العادة فاستهجان الشكوى على الإطلاق لأنها دليل على ضعف النفس و خذلانها و قلة الصبر على حوادث الدهر و ذلك عندهم غير محمود

٤٣٧

وَ قَالَ ع فِي بَعْضِ اَلْأَعْيَادِ إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اَللَّهُ صِيَامَهُ وَ شَكَرَ قِيَامَهُ وَ كُلُّ يَوْمٍ لاَ نَعْصِي اَللَّهَ يُعْصَى اَللَّهُ فِيهِ فَهُوَ يَوْمُ عِيدٍ عِيدٌ المعنى ظاهر و قد نقله بعض المحدثين إلى الغزل فقال:

قالوا أتى العيد قلت أهلا إن جاء بالوصل فهو عيد

من ظفرت بالمنى يداه فكل أيامه سعود

و رأيت بعض الصوفية و قد سمع هذين البيتين من مغن حاذق فطرب و صفق و أخذهما لمعنى عنده.و قد قال بعض المحدثين في هذا المعنى أيضا:

قالوا أتى العيد و الأيام مشرقة و أنت تبكي و كل الناس مسرور

فقلت إن واصل الأحباب كان لنا عيدا و إلا فهذا اليوم عاشور

٤٣٨

وَ قَالَ ع : إِنَّ أَعْظَمَ اَلْحَسَرَاتِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اَللَّهِ فَوَرَّثَهُ رَجُلاً فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اَللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ اَلْجَنَّةَ وَ دَخَلَ اَلْأَوَّلُ بِهِ اَلنَّارَ كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان السعيد ابن الشقي و ذلك أن عبد العزيز بن مروان ملك ضياعا كثيرة بمصر و الشام و العراق و المدينة من غير طاعة الله بل بسلطان أخيه عبد الملك و بولاية عبد العزيز نفسه مصر و غيرها ثم تركها لابنه عمر فكان ينفقها في طاعة الله سبحانه و في وجوه البر و القربات إلى أن أفضت الخلافة إليه فلما أفضت إليه أخرج سجلات عبد الملك بها لعبد العزيز فمزقها بمحضر من الناس و قال هذه كتبت من غير أصل شرعي و قد أعدتها إلى بيت المال

٤٣٩

وَ قَالَ ع : إِنَّ أَخْسَرَ اَلنَّاسِ صَفْقَةً وَ أَخْيَبَهُمْ سَعْياً رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ مَالِهِ وَ لَمْ تُسَاعِدْهُ اَلْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ فَخَرَجَ مِنَ اَلدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ وَ قَدِمَ عَلَى اَلْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ هذه صورة أكثر الناس و ذلك لأن أكثرهم يكد بدنه و نفسه في بلوغ الآمال الدنيوية و القليل منهم من تساعد المقادير على إرادته و إن ساعدته على شيء منها بقي في نفسه ما لا يبلغه كما قيل:

نـــــروح و نغـــــدو لحاجاتنـــــا و حاجـــة مـــن عـــاش لا تنقضـــي

تمـــوت مـــع المـــرء حاجاتـــه و تبقـــى لـــه حاجـــة مـــا بقـــي

فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بحسرته و يقدم على الآخرة بتبعته لأن تلك الآمال التي كانت الحركة و السعي فيها ليست متعلقة بأمور الدين و الآخرة لا جرم أنها تبعات و عقوبات و نسأل الله عفوه

٤٤٠

وَ قَالَ ع : اَلرِّزْقُ رِزْقَانِ طَالِبٌ وَ مَطْلُوبٌ فَمَنْ طَلَبَ اَلدُّنْيَا طَلَبَهُ اَلْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا وَ مَنْ طَلَبَ اَلْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ اَلدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ رِزْقَهُ مِنْهَا هذا تحريض على طلب الآخرة و وعد لمن طلبها بأنه سيكفي طلب الدنيا و إن الدنيا ستطلبه حتى يستوفي رزقه منها.و قد قيل مثل الدنيا مثل ظلك كلما طلبته بعد عنك فإن أدبرت عنه تبعك

٤٤١

وَ قَالَ ع : إِنَّ أَوْلِيَاءَ اَللَّهِ هُمُ اَلَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ اَلدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ اَلنَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَ اِشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اِشْتَغَلَ اَلنَّاسُ بِعَاجِلِهَا فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ وَ رَأَوُا اِسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اِسْتِقْلَالاً وَ دَرْكَهُمْ دَرَكَهُمْ لَهَا فَوَاتاً فَوْتاً أَعْدَاءٌ لِمَا أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ اَلنَّاسُ وَ سَلْمٌ لِمَنْ سَلْمُ مَا عَادَى اَلنَّاسُ بِهِمْ عُلِمَ اَلْكِتَابُ وَ بِهِ عُلِمُوا عَلِمُوا وَ بِهِمْ قَامَ كِتَابُ اَللَّهِ تَعَالَى اَلْكِتَابُ وَ بِهِ قَامُوا لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ وَ لاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ هذا يصلح أن تجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم لقوله فوق ما يرجون بهم علم الكتاب و به علموا و أما نحن فنجعله شرح حال العلماء العارفين و هم أولياء الله الذين ذكرهم ع لما نظر الناس إلى ظاهر الدنيا و زخرفها من المناكح و الملابس و الشهوات الحسية نظروا هم إلى باطن الدنيا فاشتغلوا بالعلوم و المعارف و العبادة و الزهد في الملاذ الجسمانية فأماتوا من شهواتهم و قواهم المذمومة كقوة الغضب و قوة الحسد ما خافوا أن يميتهم و تركوا من الدنيا اقتناء الأموال لعلمهم أنها ستتركهم و أنه لا يمكن دوام الصحبة معها فكان استكثار الناس من تلك الصفات استقلالا عندهم و بلوغ الناس لها فوتا أيضا عندهم فهم خصم لما سالمه الناس

من الشهوات و سلم لما عاداه الناس من العلوم و العبادات و بهم علم الكتاب لأنه لولاهم لما عرف تأويل الآيات المتشابهات و لأخذها الناس على ظواهرها فضلوا و بالكتاب علموا لأن الكتاب دل عليهم و نبه الناس على مواضعهم نحو قوله (إِنَّما يَخْشَى اَللَّهَ مِنْ عِبادِهِ اَلْعُلَماءُ) .و قوله (هَلْ يَسْتَوِي اَلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ اَلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) .و قوله (وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) .و نحو ذلك من الآيات التي تنادي عليهم و تخطب بفضلهم و بهم قام الكتاب لأنهم قرروا البراهين على صدقه و صحة وروده من الله تعالى على لسان جبريل ع و لولاهم لم يقم على ذلك دلالة للعوام و بالكتاب قاموا أي باتباع أوامر الكتاب و آدابه قاموا لأنه لو لا تأدبهم بآداب القرآن و امتثالهم أوامره لما أغنى عنهم علمهم شيئا بل كان وباله عليهم ثم قال إنهم لا يرون مرجوا فوق ما يرجون و لا مخوفا فوق ما يخافون و كيف لا يكونون كذلك و مرجوهم مجاورة الله تعالى في حظائر قدسه و هل فوق هذا مرجو لراج و مخوفهم سخط الله عليهم و إبعادهم عن جنابه و هل فوق هذا مخوف لخائف

٤٤٢

وَ قَالَ ع : اُذْكُرُوا اِنْقِطَاعَ اَللَّذَّاتِ وَ بَقَاءَ اَلتَّبِعَاتِ قد تقدم القول في نحو هذا مرارا و قال الشاعر:

تفنى اللذاذة ممن نال بغيته ... من الحرام و يبقى الإثم و العار

تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

و راود رجل امرأة عن نفسها فقالت له إن امرأ يبيع جنة عرضها السموات و الأرض بمقدار إصبعين لجاهل بالمساحة فاستحيا و رجع

٤٤٣

وَ قَالَ ع : أُخْبُرْ تَقْلِهِ قال الرضي ﷺ تعالى و من الناس من يروي هذا لرسول الله ص و مما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين ما حكاه ثعلب قال حدثنا ابن الأعرابي قال قال المأمون لو لا أن عليا ع قال اخبر تقله لقلت أنا اقله تخبر المعنى اختبر الناس و جربهم تبغضهم فإن التجربة تكشف لك مساويهم و سوء أخلاقهم فضرب مثلا لمن يظن به الخير و ليس هناك فأما قول المأمون لو لا أن عليا قاله لقلت اقله تخبر فليس المراد حقيقة القلى و هو البغض بل المراد الهجر و القطيعة يقول قاطع أخاك مجربا له هل يبقى على عهدك أم ينقضه و يحوله عنك.و من كلام عتبة بن أبي سفيان طيروا الدم في وجوه الشباب فإن حلموا و أحسنوا الجواب فهم هم و إلا فلا تطمعوا فيهم يقول أغضبوهم لأن الغضبان يحمر وجهه فإن ثبتوا لذلك الكلام المغضب و حلموا و أجابوا جواب الحليم العاقل فهم ممن يعقد عليه الخنصر و يرجى فلاحه و إن سفهوا و شتموا و لم يثبتوا لذلك الكلام فلا رجاء لفلاحهم و من المعنى الأول قول أبي العلاء

جربت دهري و أهليه فما تركت لي التجارب في ود امرئ غرضا

و قال آخر:

و كنت أرى أن التجارب عدة فخانت ثقات الناس حتى التجارب

و قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا فأبرزه التمحيص حتى بدا ليا

آخر:

عتبت على سلم فلما فقدته و جربت أقواما رجعت إلى سلم

مثله:

ذممتك أولا حتى إذا ما بلوت سواك عاد الذم حمدا

و لم أحمدك من خير و لكن وجدت سواك شرا منك جدا

فعدت إليك مضطرا ذليلا لأني لم أجد من ذاك بدا

كمجهود تحامى أكل ميت فلما اضطر عاد إليه شدا

الذي يتعلق به غرضنا من الأبيات هو البيت الأول و ذكرنا سائرها لحسنها

٤٤٤

وَ قَالَ ع : مَا كَانَ اَللَّهُ عزوجل لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ اَلشُّكْرِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ اَلزِّيَادَةِ وَ لاَ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ اَلدُّعَاءِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ اَلْإِجَابَةِ وَ لاَ لِيَفْتَحَ عَلَيْهِ لِعَبْدٍ بَابَ اَلتَّوْبَةِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ اَلْمَغْفِرَةِ قد تقدم القول في الشكر و اقتضائه الزيادة و اقتضاء الدعاء الإجابة و التوبة المغفرة على وجه الاستقصاء في الجميع

٤٤٥

وَ قَالَ ع : أَوْلَى اَلنَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عَرَّفَتْ عُرِفَتْ فِيهِ اَلْكِرَامُ أعرقت و عرقت في هذا الموضع بمعنى أي ضربت عروقه في الكرم أي له سلف و آباء كرام و قال المبرد أنشدني أبو محلم السعدي:

إنا سألنا قومنا فخيارهم ... من كان أفضلهم أبوه الأفضل

أعطى الذي أعطى أبوه قبله ... و تبخلت أبناء من يتبخل

قال و أنشدني أيضا في المعنى:

لطلحة بن خثيم حين تسأله ... أندى و أكرم من فند بن هطال

و بيت طلحة في عز و مكرمة ... و بيت فند إلى ربق و أحمال

أ لا فتى من بني ذبيان يحملني ... و ليس يحملني إلا ابن حمال

فقلت طلحة أولى من عمدت له ... و جئت أمشي إليه مشي مختال

مستيقنا أن حبلي سوف يعلقه ... في رأس ذيال أو رأس ذيال

و قال آخر:

عنـــد الملـــوك مضـــرة و منـــافع و أرى البرامـــك لا تضـــر و تنفـــع
إن العـــروق إذا استســـر بهـــا الثـــرى أثـــرى النبـــات بهـــا و طـــاب المـــزرع
و إذا جهلـــت مـــن امـــرئ أعراقـــه و قديمـــه فـــانظر إلى مـــا يصـــنع

و قال آخر:

إن الســـري إذا ســـرى فبنفســـه و ابـــن الســـري إذا ســـرى أســـراهما

و قال البحتري:

و أرى النجابـــة لا يكـــون تمامهـــا لنجيـــب قـــوم لـــيس بابـــن نجيـــب

٤٤٦

وَ سُئِلَ ع أَيُّمَا أَفْضَلُ اَلْعَدْلُ أَوِ اَلْجُودُ فَقَالَ اَلْعَدْلُ يَضَعُ اَلْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَ اَلْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَ اَلْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَ اَلْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَ أَفْضَلُهُمَا هذا كلام شريف جليل القدر فضل ع العدل بأمرين أحدهما أن العدل وضع الأمور مواضعها و هكذا العدالة في الاصطلاح الحكمي لأنها المرتبة المتوسطة بين طرفي الإفراط و التفريط و الجود يخرج الأمر من موضعه و المراد بالجود هاهنا هو الجود العرفي و هو بذل المقتنيات للغير لا الجود الحقيقي لأن الجود الحقيقي ليس يخرج الأمر من جهته نحو جود البارئ تعالى.و الوجه الثاني أن العدل سائس عام في جميع الأمور الدينية و الدنيوية و به نظام العالم و قوام الوجود و أما الجود فأمر عارض خاص ليس عموم نفعه كعموم نفع العدل

٤٤٧

وَ قَالَ ع : اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا هذه من ألفاظه الشريفة التي لا نظير لها و قد تقدم ذكرها و ذكر ما يناسبها و كان يقال من جهل شيئا عاداه.و قال الشاعر:

جهلت أمرا فأبديت النكير له و الجاهلون لأهل العلم أعداء

و قيل لأفلاطون لم يبغض الجاهل العالم و لا يبغض العالم الجاهل فقال لأن الجاهل يستشعر النقص في نفسه و يظن أن العالم يحتقره و يزدريه فيبغضه و العالم لا نقص عنده و لا يظن أن الجاهل يحتقره فليس عنده سبب لبغض الجاهل

٤٤٨

وَ قَالَ ع : اَلزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ اَلْقُرْآنِ قَالَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ) وَ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى اَلْمَاضِي وَ لَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ اَلزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ قد تقدم القول في هذين المعنيين بما فيه كفاية

٤٤٩

وَ قَالَ ع : اَلْوِلاَيَاتُ مَضَامِيرُ اَلرِّجَالِ أي تعرف الرجال بها كما تعرف الخيل بالمضمار و هو الموضع أو المدة التي تضمر فيها الخيل فمن الولاة من يظهر منه أخلاق حميدة و منهم من يظهر منه أخلاق ذميمة و قال الشاعر:

سكرات خمس إذا مني المرء بها صار عرضة للزمان
سكرة المال و الحداثة و العشق و سكر الشراب و السلطان

و قال آخر:

يا ابن وهب و المرء في دولة السلطان أعمى ما دام يدعى أميرا
فإذا زالت الولاية عنه و استوى بالرجال عاد بصيرا

و قال البحتري:

و تاه سعيد أن أعير رئاسة و قلد أمرا كان دون رجاله
و ضاق على حقي بعقب اتساعه فأوسعته عذرا لضيق احتماله
فأدبر عني عند إقبال حظه و غير حالي عنده حسن حاله
فليت أبا عثمان أمسك تيهه كإمساكه عند الحقوق بماله

٤٥٠

وَ قَالَ ع : مَا أَنْقَضَ اَلنَّوْمَ لِعَزَائِمِ اَلْيَوْمِ هذه الكلمة قد سبقت و تكلمنا عليها و ما أحسن قول المعري:

ما قضى الحاجات إلا شمل نومه فوق فراش من نمال

و قال الرضي ﵀:

عليها أخامس مثل الصقور طوال الرجاء جسام الأرب

و كل فتى حظ أجفانه من النوم مضمضة يستلب

فبينا يقال كرى جفنه بقطع من الليل إذ قيل هب

٤٥١

وَ قَالَ ع : لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ خَيْرُ اَلْبِلاَدِ مَا حَمَلَكَ هذا المعنى قد قيل كثيرا و من ذلك قول الشاعر:

لا يصـــدفنك عـــن أمـــر تحاولـــه فـــراق أهـــل و أحبـــاب و جـــيران

تلقـــى بكـــل ديار مـــا حللـــت بهـــا أهـــلا بأهـــل و أوطـــانا بأوطـــان

و قال شيخي أبو جعفر يحيى بن أبي زيد نقيب البصرة:

أنســـيتني بلـــدي و أرض عشـــيرتي و نزلـــت مـــن نعمـــاك أكـــرم منـــزل

و أخـــذت فيـــك مـــدائحي فكأنهـــا في آل شمـــاس مـــدائح جـــرول

أبو عبادة البحتري:

في نعمـــة أوطأتهـــا و أقمـــت في أكنافهـــا فكـــأنني في منـــبج

و منبج هي مدينة البحتري أبو تمام:

كـــل شـــعب كنـــتم بـــه آل وهـــب فهـــو شـــعبي و شـــعب كـــل أديـــب

إن قلـــبي لكـــم لكالكبـــد الحـــرى و قلـــــبي لغـــــيركم كـــــالقلوب

و قد ذهب كثير من الناس إلى غير هذا المذهب فجعلوا بعض البلاد أحق بالإنسان من بعض و هو الوطن الأول و مسقط الرأس قال الشاعر:

أحـــب بـــلاد الله مـــا بـــين منـــبج إلي و ســـلمى أن يصـــوب ســـحابها

بـــلاد بهـــا نيطـــت علـــي تمـــائمي و أول أرض مـــس جلـــدي ترابهـــا

و كان يقال ميلك إلى مولدك من كرم محتدك.و قال ابن عباس لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم لما اشتكى أحد الرزق.و كان يقال كما أن لحاضنتك حق لبنها فلأرضك حرمة وطنها.و كانت العرب تقول حماك أحمى لك و أهلك أحفى بك.و قال الشاعر:

و كنـــا ألفناهـــا و لم تـــك مألفـــاؤ و قد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

كمـا تؤلـف الأرض الـتي لم يطـب بهـا هـــواء و لا مـــاء و لكنهـــا وطـــن

أعرابي رملة حضنتني أحشاؤها و أرضعتني أحساؤها.كانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه و تطرحه في الماء إذا شربته و كذلك كانت فلاسفة يونان تفعل.و قال الشاعر في هذا المعنى:

نســـير علـــى علـــم بكنـــه مســـيرنا بعفـــــة زاد في بطـــــون المـــــزاود

و لا بـــد في أســـفارنا مـــن قبيصـــة مـــن الـــترب نســـقاها لحـــب الموالـــد

و قالت الهند حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك كان غذاؤك منهما و أنت جنين و كان غذاؤهما منك.و من الكلام القديم لو لا الوطن و حبه لخرب بلد السوء.ابن الرومي:

و حبـــب أوطـــان الرجـــال إلـــيهم مـــآرب قضـــاها الشـــباب هنالكـــا

إذا ذكـــــروا أوطـــــانهم ذكـــــرتهم عهـــود الصـــبا فيهـــا فحنـــوا لـــذلكا

٤٥٢

وَ قَالَ ع وَ قَدْ جَاءَهُ نَعْيُ اَلْأَشْتَرِ ﷺ مَالِكٌ وَ مَا مَالِكٌ وَ اَللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً أَوْ وَ لَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً لاَ يَرْتَقِيهِ اَلْحَافِرُ وَ لاَ يُوفِي عَلَيْهِ اَلطَّائِرُ قال الرضي ﷺ تعالى الفند المنفرد من الجبال يقال إن الرضي ختم كتاب نهج البلاغة بهذا الفصل و كتبت به نسخ متعددة ثم زاد عليه إلى أن وفى الزيادات التي نذكرها فيما بعد.و قد تقدم ذكر الأشتر و إنما قال لو كان جبلا لكان فندا لأن الفند قطعة الجبل طولا و ليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت و لذلك قال لا يرتقيه الحافر لأن القطعة المأخوذة من الجبل طولا في دقة لا سبيل للحافر إلى صعودها و لو أخذت عرضا لأمكن صعودها.ثم وصف تلك القطعة بالعلو العظيم فقال و لا يوفي عليه الطائر أي لا يصعد عليه يقال أوفى فلان على الجبل أشرف

٤٥٣

وَ قَالَ ع : قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ هذا كلام يخاطب به أهل العبادات و الصلاة قال قليل من النوافل يدوم المرء عليه خير له من كثير منها يمله و يتركه.و الجيد النادر في هذا

قول رسول الله ص إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقى.و كان يقال كل كثير مملول.و قالوا كل كثير عدو للطبيعة.و قال الشاعر:

إني كثـــــرت عليـــــه في زيارتـــــه فمـــل و الشـــيء مملـــول إذا كثـــرا

و رابـــــــــــــــني أني لا أزال أرى في طرفـــه قصـــرا عـــني إذا نظـــرا

٤٥٤

وَ قَالَ ع : إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِعَةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا مِنْهُ أَخَوَاتِهَا مثال ذلك إنسان مستور الحال عنا رأيناه و قد صدرت عنه حركة تروعك و تعجبك إما لحسنها أو لقبحها مثل أن يتصدق بشيء له وقع و مقدار من ماله أو ينكر منكرا عجز غيره عن إنكاره أو يسرق أو يزني فينبغي أن ينتظر و يترقب منه أخوات ما وقع منه و ذلك لأن العقل و الطبيعة التي فيه المحركة له إلى فعل تلك الحركة لا بد أن تحركه إلى فعل ما يناسبها لأنها ما دعته إلى فعل تلك الحركة لخصوصية تلك الحركة بل لما فيها من المعنى المقتضي وقوعها و هذا يتعدى إلى غيرها مما يجانسها و لذلك لا ترى أحدا قد اطلعت من حاله يوما على أنه قد شرب الخمر إلا و سوف تطلع فيما بعد منه على أنه يشربها و بالعكس في الأمور الحسنة لا ترى أحدا قد صدر عنه فعل من أفعال الخير و المروءة إلا و ستراه فيما بعد فاعلا نظيره أو ما يقاربه.و شتم بعض سفهاء البصرة الأحنف شتما قبيحا فحلم عنه فقيل له في ذلك فقال دعوه فإني قد قتلته بالحلم عنه و سيقتل نفسه بجراءته فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفيه فشتم زيادا و هو أمير البصرة حينئذ و ظن أنه كالأحنف فأمر به فقطع لسانه و يده

٤٥٥

وَ قَالَ ع لِغَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبِي اَلْفَرَزْدَقِ فِي كَلاَمٍ دَارَ بَيْنَهُمَا مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ اَلْكَثِيرَةُ قَالَ ذَعْذَعَتْهَا دَغْدَغَتْهَا اَلْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا ذعذعتها بالذال المعجمة مكررة فرقتها ذعذعته فتذعذع و ذعذعة السر أذاعته و الذعاذع الفرق المتفرقة الواحدة ذعذعة و ربما قالوا تفرقوا ذعاذع.

دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي على أمير المؤمنين ع أيام خلافته و غالب شيخ كبير و معه ابنه همام الفرزدق و هو غلام يومئذ فقال له أمير المؤمنين ع من الشيخ قال أنا غالب بن صعصعة قال ذو الإبل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت إبلك قال ذعذعتها الحقوق و أذهبتها الحملات و النوائب قال ذاك أحمد سبلها من هذا الغلام معك قال هذا ابني قال ما اسمه قال همام و قد رويته الشعر يا أمير المؤمنين و كلام العرب و يوشك أن يكون شاعرا مجيدا فقال لو أقرأته القرآن فهو خير له فكان الفرزدق بعد يروي هذا الحديث و يقول ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد و آلى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه

٤٥٦

وَ قَالَ ع : مَنِ اِتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ اِرْتَطَمَ فِي اَلرِّبَا يقول تجر فلان و اتجر فهو تاجر و الجمع تجر مثل صاحب و صحب و التجارة و التجر بمعنى واحد إذا أخذتهما مصدرين لتجر و أرض متجرة يتجر فيها.و ارتطم فلان في الوحل و الأمر إذا ارتبك فيه و لم يقدر على الخروج منه و إنما قال ع ذلك لأن مسائل الربا مشتبهة بمسائل البيع و لا يفرق بينهما إلا الفقيه حتى أن العظماء من الفقهاء قد اشتبه عليهم الأمر فيها فاختلفوا فيها أشد اختلاف كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا هل يجوز أم لا و كذلك لبن البقر بلبن الغنم و جلود البقر بجلود الغنم فقال أبو حنيفة اللحوم و الألبان و الجلود أجناس مختلفة فيجوز بيع بعضها ببعض متفاضلا نظرا إلى أن أصولها أجناس مختلفة و الشافعي لا يجيز ذلك و يقول هو ربا و كذلك القول في مدى عجوة و درهم بمد عجوة و كذلك بيع الرطب بالتمر متساويا كيلا كل ذلك يقول الشافعي إنه ربا و أبو حنيفة يخرجه عن كونه ربا و مسائل هذا الباب كثيرة

٤٥٧

وَ قَالَ ع : مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ اَلْمَصَائِبِ اِبْتَلاَهُ اَللَّهُ بِكِبَارِهَا إنما كان كذلك لأنه يشكو الله و يتسخط قضاءه و يجحد النعمة في التخفيف عنه و يدعي فيما ليس بمجحف به من حوادث الدهر أنه مجحف و يتألم بين الناس لذلك أكثر مما تقتضيه نكبته و من فعل ذلك استوجب السخط من الله تعالى و ابتلي بالكثير من النكبة و إنما الواجب على من وقع في أمر يشق عليه و يتألم منه و ينال من نفسه أو من ماله نيلا ما إن يحمد الله تعالى على ذلك و يقول لعله قد دفع بهذا عني ما هو أعظم منه و لئن كان قد ذهب من مالي جزء فلقد بقي أجزاء كثيرة.و قال عروة بن الزبير لما وقعت الأكلة في رجله فقطعها و مات ابنه اللهم إنك أخذت عضوا و تركت أعضاء و أخذت ابنا و تركت أبناء فليهنك لئن كنت أخذت لقد أبقيت و لئن كنت ابتليت لقد عافيت

٤٥٨

وَ قَالَ ع : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ شَهَوَاتُهُ قد تقدم مثل هذا المعنى مرارا و من الكلام المشهور بين العامة قبح الله أمرا تغلب شهوته على نخوته.و الجيد النادر في هذا قول الشاعر:

فإنـــك إن أعطيـــت بطنـــك ســـؤله و فرجـــك نالا منتهـــى الـــذم أجمعـــا

٤٥٩

وَ قَالَ ع : مَا مَزَحَ اِمْرُؤٌ مَزْحَةً إِلاَّ مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً قد تقدم القول في المزاح.و كان يقال خير المزاح لا ينال و شره لا يستقال.و قيل إنما سمي المزاح مزاحا لأنه أزيح عن الحق

٤٦٠

وَ قَالَ ع : زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ وَ رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ أي نقصان حظ لك و ذلك لأنه ليس من حق من رغب فيك أن تزهد فيه لأن الإحسان لا يكافأ بالإساءة و للقصد حرمة و للآمل ذمام و من طلب مودتك فقد قصدك و أملك فلا يجوز رفضه و اطراحه و الزهد فيه و إذا زهدت فيه فذلك لنقصان حظك لا لنقصان حظه فأما رغبتك في زاهد فيك فمذلة لأنك تطرح نفسك لمن لا يعبأ بك و هذا ذل و صغار.و قال العباس بن الأحنف في نسيبه و كان جيد النسيب:

ما زلت أزهد في مودة راغب حتى ابتليت برغبة في زاهد

هذا هو الداء الذي ضاقت به حيل الطبيب و طال يأس العائد

أي ما زلت عزيزا حتى أذلني الحب

٤٦١

وَ قَالَ ع : مَا زَالَ اَلزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ اَلْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ اِبْنُهُ اَلْمَشْئُومُ عَبْدُ اَللَّهِ ذكر هذا الكلام أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإستيعاب عن أمير المؤمنين ع في عبد الله بن الزبير إلا أنه لم يذكر لفظة المشئوم

عبد الله بن الزبير و ذكر طرف من أخباره

و نحن نذكر ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن الزبير فإن هذا المصنف يذكر جمل أحوال الرجل دون تفاصيلها ثم نذكر تفصيل أحواله من مواضع أخرى.قال أبو عمر ﷺ يكنى عبد الله بن الزبير أبا بكر و قال بعضهم أبا بكير ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم الحافظ في كتابه في الكنى و الجمهور من أهل السير و أهل الأثر على أن كنيته أبو بكر و له كنية أخرى أبو خبيب بابنه خبيب

و كان أسن ولده و خبيب هو صاحب عمر بن عبد العزيز الذي مات من ضربه إذ كان واليا على المدينة للوليد و كان الوليد أمره بضربه فمات من أذية ذلك فوداه عمر بعد.قال أبو عمر و سماه رسول الله ص باسم جده و كناه بكنية جده عبد الله أبي بكر و هاجرت أمه أسماء من مكة إلى المدينة و هي حامل به فولدته في سنة اثنتين من الهجرة لعشرين شهرا من التاريخ و قيل ولد في السنة الأولى و هو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة.و روى هشام بن عروة عن أسماء قالت حملت بعبد الله بمكة فخرجت و أنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ثم أتيت رسول الله ص فوضعته في حجره فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ص ثم حنكه بالتمرة ثم دعا له و بارك عليه و هو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة قال ففرحوا به فرحا شديدا و ذلك أنهم قد كان قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم.قال أبو عمر و شهد عبد الله الجمل مع أبيه و خالته و كان شهما ذكرا ذا أنفة و كان له لسن و فصاحة و كان أطلس لا لحية له و لا شعر في وجهه و كان كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجدات و الأمهات و الخالات إلا أنه كان فيه خلال لا يصلح معها للخلافة فإنه كان بخيلا ضيق العطن سيئ الخلق حسودا كثير الخلاف أخرج مُحَمَّد بن الحنفية من مكة و المدينة و نفى عبد الله بن عباس إلى الطائف.

و قال علي ع في أمره ما زال الزبير يعد منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله قال أبو عمر و بويع له بالخلافة سنة أربع و ستين في قول أبي معشر.و قال المدائني بويع له بالخلافة سنة خمس و ستين.و كان قبل ذلك لا يدعى باسم الخلافة و كانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية على طاعته أهل الحجاز و اليمن و العراق و خراسان و حج بالناس ثماني حجج و قتل في أيام عبد الملك بن مروان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى و قيل من جمادى الآخرة سنة ثلاث و سبعين و هو ابن اثنتين و سبعين سنة و صلب بمكة بعد قتله و كان الحجاج قد ابتدأ بحصاره من أول ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين و سبعين و حج الحجاج بالناس في ذلك العام و وقف بعرفة و عليه درع و مغفر و لم يطوفوا بالبيت في تلك السنة فحاصره ستة أشهر و سبعة عشر يوما إلى أن قتله.قال أبو عمر فروى هشام بن عروة عن أبيه قال لما كان قبل قتل عبد الله بعشرة أيام دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر و هي شاكية فقال كيف تجدينك يا أمه قالت ما أجدني إلا شاكية فقال لها إن في الموت لراحة فقالت لعلك تمنيته لي و ما أحب أن أموت حتى يأتي على إحدى حالتيك إما قتلت فأحتسبك و إما ظفرت بعدوك فقرت عيني.قال عروة فالتفت عبد الله إلي و ضحك فلما كان اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد فقالت يا بني لا تقبل منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل فو الله لضربة سيف في عز خير من ضربة سوط في مذلة قال فخرج

عبد الله و قد نصب له مصراع عند الكعبة فكان يكون تحته فأتاه رجل من قريش فقال له أ لا نفتح لك باب الكعبة فتدخلها فقال و الله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم عن آخركم و هل حرمة البيت إلا كحرمة الحرم ثم أنشد:

و لست بمبتاع الحياة بسبة و لا مرتق من خشية الموت سلما

ثم شد عليه أصحاب الحجاج فسأل عنهم فقيل هؤلاء أهل مصر فقال لأصحابه اكسروا أغماد سيوفكم و احملوا معي فإنني في الرعيل الأول ففعلوا ثم حمل عليهم و حملوا عليه فكان يضرب بسيفين فلحق رجلا فضربه فقطع يده و انهزموا و جعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد و جعل رجل منهم أسود يسبه فقال له اصبر يا ابن حام ثم حمل عليه فصرعه ثم دخل عليه أهل حمص من باب بني شيبة فسأل عنهم فقيل هؤلاء أهل حمص فشد عليهم و جعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ثم انصرف و هو يقول:

لو كان قرني واحدا أرديته أوردته الموت و قد ذكيته

ثم دخل عليه أهل الأردن من باب آخر فقال من هؤلاء قيل أهل الأردن فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ثم انصرف و هو يقول:

لا عهد لي بغارة مثل السيل لا ينجلي قتامها حتى الليل

فأقبل عليه حجر من ناحية الصفا فأصابه بين عينيه فنكس رأسه و هو يقول:

و لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا و لكن على أقدامنا تقطر الدما

أنشده متمثلا و حماه موليان له فكان أحدهما يرتجز فيقول

العبد يحمي ربه و يحتمي

قال ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا يضربونه و يضربهم حتى قتلوه و مولييه جميعا فلما قتل كبر أهل الشام فقال عبد الله بن عمر المكبرون يوم ولد خير من المكبرين يوم قتل.قال أبو عمر و قال يعلى بن حرملة دخلت مكة بعد ما قتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أيام فإذا هو مصلوب فجاءت أمه أسماء و كانت امرأة عجوزا طويلة مكفوفة البصر تقاد فقالت للحجاج أ ما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها المنافق قالت و الله ما كان منافقا و لكنه كان صواما قواما برا قال انصرفي فإنك عجوز قد خرفت قالت لا و الله ما خرفت و إني سمعت رسول الله ص يقول يخرج من ثقيف كذاب و مبير أما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار و أما المبير فأنت.قال أبو عمر و روى سعيد بن عامر الخراز عن ابن أبي مليكة قال كنت الآذن لمن بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبة فدعت بمركن و شب يمان فأمرتني بغسله فكنا لا نتناول منه عضوا إلا جاء معنا فكنا نغسل العضو و ندعه في أكفانه و نتناول العضو الذي يليه فنغسله ثم نضعه في أكفانه حتى فرغنا منه ثم قامت فصلت عليه و قد كانت تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته فلما دفنته لم يأت عليها جمعة حتى ماتت.قال أبو عمر و قد كان عروة بن الزبير رحل إلى عبد الملك فرغب إليه في إنزال عبد الله من الخشبة فأسعفه بذلك فأنزل.

قال أبو عمر و قال علي بن مجاهد قتل مع ابن الزبير مائتان و أربعون رجلا إن منهم لمن سال دمه في جوف الكعبة.قال أبو عمر و روى عيسى عن أبي القاسم عن مالك بن أنس قال كان ابن الزبير أفضل من مروان و أولى بالأمر منه و من أبيه قال و قد روى علي بن المدائني عن سفيان بن عيينة أن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه حولا لا يسأل الله لنفسه شيئا إلا الدعاء لأبيه.قال أبو عمر و روى إسماعيل بن علية عن أبي سفيان بن العلاء عن ابن أبي عتيق قال قالت عائشة إذا مر ابن عمر فأرونيه فلما مر قالوا هذا ابن عمر فقالت يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري قال رأيت رجلا قد غلب عليك و رأيتك لا تخالفينه يعني عبد الله بن الزبير فقالت أما إنك لو نهيتني ما خرجت.فأما الزبير بن بكار فإنه ذكر في كتاب أنساب قريش من أخبار عبد الله و أحواله جملة طويلة نحن نختصرها و نذكر اللباب منها مع أنه قد أذنب في ذكر فضائله و الثناء عليه و هو معذور في ذلك فإنه لا يلام الرجل على حب قومه و الزبير بن بكار أحد أولاد عبد الله بن الزبير فهو أحق بتقريظه و تأبينه.قال الزبير بن بكار أمه أسماء ذات النطاقين ابنة أبي بكر الصديق و إنما سميت ذات النطاقين

لأن رسول الله ص لما تجهز مهاجرا إلى المدينة و معه أبو بكر لم يكن لسفرتهما شناق فشقت أسماء نطاقها فشنقتها به فقال لها رسول الله

ص قد أبدلك الله تعالى بنطاقك هذا نطاقين في الجنة فسميت ذات النطاقين قال و قد روى مُحَمَّد بن الضحاك عن أبيه أن أهل الشام كانوا و هم يقاتلون عبد الله بمكة يصيحون يا ابن ذات النطاقين يظنونه عيبا فيقول ابنها و الإله ثم يقول إني و إياكم لكما قال أبو ذؤيب:

و عيرني الواشون أني أحبها و تلك شكاة ظاهر عنك عارها

فإن أعتذر عنها فإني مكذب و إن تعتذر يردد عليك اعتذارها

ثم يقبل على ابن أبي عتيق و هو عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي بكر فيقول أ لا تسمع يا ابن أبي عتيق.

قال الزبير و زعموا أن عبد الله بن الزبير لما ولد أتي به رسول الله ص فنظر في وجهه و قال أ هو هو ليمنعن البيت أو ليموتن دونه.و قال العقيلي في ذلك:

بر تبين ما قال الرسول له و ذو صلاة بضاحي وجهه علم

حمامة من حمام البيت قاطنة لا تتبع الناس إن جاروا و إن ظلموا

قال و قد روى نافع بن ثابت عن مُحَمَّد بن كعب القرظي أن رسول الله ص دخل على أسماء حين ولد عبد الله فقال أ هو هو فتركت أسماء رضاعه فقيل لرسول الله ص إن أسماء تركت رضاع عبد الله لما سمعت كلمتك فقال لها أرضعيه و لو بماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن الحرم أو ليموتن دونه.قال و حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال كان عبد الله بن الزبير يقول هاجرت بي أمي في بطنها فما أصابها شيء من نصب أو مخمصة إلا و قد أصابني

قال و قالت عائشة يا رسول الله أ لا تكنيني فقال تكني باسم ابن أختك عبد الله فكانت تكنى أم عبد الله

قال و روى هند بن القاسم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال احتجم رسول الله ص ثم دفع إلي دمه فقال اذهب به فواره حيث لا يراه أحد فذهبت به فشربته فلما رجعت قال ما صنعت قلت جعلته في مكان أظن أنه أخفى مكان عن الناس فقال فلعلك شربته فقلت نعم.قال و قال وهب بن كيسان أول من صف رجليه في الصلاة عبد الله بن الزبير فاقتدى به كثير من العباد و كان مجتهدا.قال و خطب الحجاج بعد قتله زجلة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزارية و هي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير فقلعت ثنيتها و ردته و قالت ما ذا يريد إلى ذلفاء ثكلى حرى و قالت:

أ بعـــد عائـــذ بيـــت الله تخطبـــني جهـلا جهلـت و غـب الجهـل مـذموم

فاذهـــب إليـــك فـــإني غـــير ناكحـــة بعـد ابـن أسمـاء مـا اسـتن الـدياميم

مـــن يجعـــل العـــير مصـــفرا جحافلـــه مثـــل الجـــواد و فضـــل الله مقســـوم

قال و حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون قال قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال فليلة هو قائم حتى الصباح و ليلة هو راكع حتى الصباح و ليلة هو ساجد حتى الصباح.قال و حدثنا سليمان بن حرب بإسناد ذكره و رفعه إلى مسلم المكي قال ركع عبد الله بن الزبير يوما ركعة فقرأت البقرة و آل عمران و النساء و المائدة و ما رفع رأسه.

قال و قد حدث من لا أحصيه كثرة من أصحابنا أن عبد الله كان يواصل الصوم سبعا يصوم يوم الجمعة فلا يفطر إلا يوم الجمعة الآخر و يصوم بالمدينة فلا يفطر إلا بمكة و يصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة.قال و قال عبد الملك بن عبد العزيز و كان أول ما يفطر عليه إذا أفطر لبن لقحة بسمن بقر قال الزبير و زاد غيره و صبر.قال و حدثني يعقوب بن مُحَمَّد بن عيسى بإسناد رفعه إلى عروة بن الزبير قال لم يكن أحد أحب إلى عائشة بعد رسول الله ص و بعد أبي بكر من عبد الله بن الزبير.قال و حدثني يعقوب بن مُحَمَّد بإسناد يرفعه إلى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال ما كان أحد أعلم بالمناسك من ابن الزبير.قال و حدثني مصعب بن عثمان قال أوصت عائشة إلى عبد الله بن الزبير و أوصى إليه حكيم بن حزام و عبد الله بن عامر بن كريز و الأسود بن أبي البختري و شيبة بن عثمان و الأسود بن عوف.قال الزبير و حدث عمر بن قيس عن أمه قالت دخلت على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هو قائم يصلي فسقطت حية من البيت على ابنه هاشم بن عبد الله فتطوقت على بطنه و هو نائم فصاح أهل البيت الحية الحية و لم يزالوا بها حتى قتلوها و عبد الله قائم يصلي ما التفت و لا عجل ثم فرغ من صلاته بعد ما قتلت الحية فقال ما بالكم فقالت أم هاشم إي رحمك الله أ رأيت إن كنا هنا عليك أ يهون عليك ابنك قال ويحك و ما كانت التفاتة لو التفتها مبقية من صلاتي.

قال الزبير و عبد الله أول من كسا الكعبة الديباج و إن كان ليطيبها حتى يجد ريحها من دخل الحرم قال و لم تكن كسوة الكعبة من قبله إلا المسوح و الأنطاع فلما جرد المهدي بن المنصور الكعبة كان فيما نزع عنها كسوة من ديباج مكتوب عليها لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين قال و حدثني يحيى بن معين بإسناد رفعه إلى هشام بن عروة أن عبد الله بن الزبير أخذ من بين القتلى يوم الجمل و به بضع و أربعون طعنة و ضربة قال الزبير و اعتلت عائشة مرة فدخل عليها بنو أختها أسماء عبد الله و عروة و المنذر قال عروة فسألناها عن حالها فشكت إلينا نهكة من علتها فعزاها عبد الله عن ذلك فأجابته بنحو قولها فعاد لها بالكلام فعادت له بالجواب فصمت و بكى قال عروة فما رأينا متحاورين من خلق الله أبلغ منهما قال ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه فأبهتت لبكائه فبكت ثم قالت ما أحقني منك يا بني ما أرى فلم أعلم بعد رسول الله ص و بعد أبوي أحدا أنزل عندي منزلتك قال عروة و ما سمعت عائشة و أمي أسماء تدعون لأحد من الخلق دعاءهما لعبد الله قال و قال موسى بن عقبة أقرأني عامر بن عبد الله بن الزبير وصية عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام و إلى عبد الله بن الزبير من بعده و إنهما في وصيتي في حل و بل.قال و روى أبو الحسن المدائني عن أبي إسحاق التميمي أن معاوية سمع رجلا ينشد:

ابـــن رقـــاش ماجـــد سميـــدع يأبى فيعطـــي عـــن يـــد أو يمنـــع

فقال ذلك عبد الله بن الزبير و كان عبد الله من جملة النفر الذين أمرهم عثمان بن عفان أن ينسخوا القرآن في المصاحف.قال و حدثنا مُحَمَّد بن حسن عن نوفل بن عمارة قال سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الجاهلية فقال الأسود بن المطلب بن أسد و سهيل بن عمرو و سئل عن خطبائهم في الإسلام فقال معاوية و ابنه و سعيد بن العاص و ابنه و عبد الله بن الزبير.قال و حدثنا إبراهيم بن المنذر عن عثمان بن طلحة قال كان عبد الله بن الزبير لا ينازع في ثلاث شجاعة و عبادة و بلاغة.قال الزبير و قال هشام بن عروة رأيت عبد الله أيام حصاره و الحجر من المنجنيق يهوي حتى أقول كاد يأخذ بلحيته فقال له أبي أيا ابن أم و الله إن كاد ليأخذ بلحيتك فقال عبد الله دعني يا ابن أم فو الله ما هي إلا هنة حتى كان الإنسان لم يكن فيقول أبي و هو يقبل علينا بوجهه و الله ما أخشى عليك إلا من تلك الهنة.قال الزبير فذكر هشام قال و الله لقد رأيته يرمى بالمنجنيق فلا يلتفت و لا يرعد صوته و ربما مرت الشظية منه قريبا من نحره.و قال الزبير و حدثنا ابن الماجشون عن ابن أبي مليكة عن أبيه قال كنت أطوف بالبيت مع عمر بن عبد العزيز فلما بلغت الملتزم تخلفت عنده أدعو ثم لحقت عمر فقال لي ما خلفك قال كنت أدعو في موضع رأيت عبد الله بن الزبير فيه يدعو فقال ما تترك تحنناتك على ابن الزبير أبدا فقلت و الله ما رأيت

أحدا أشد جلدا على لحم و لحما على عظم من ابن الزبير و لا رأيت أحدا أثبت قائما و لا أحسن مصليا من ابن الزبير و لقد رأيت حجرا من المنجنيق جاءه فأصاب شرفة من المسجد فمرت قذاذة منها بين لحيته و حلقه فلم يزل من مقامه و لا عرفنا ذلك في صوته فقال عمر لا إله إلا الله لجاد ما وصفت.قال الزبير و سمعت إسماعيل بن يعقوب التيمي يحدث قال قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة صف لنا عبد الله بن الزبير فإنه ترمرم على أصحابنا فتغشمروا عليه فقال عن أي حاليه تسأل أ عن دينه أم عن دنياه فقال عن كل قال و الله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم و لا لحما على عصب و لا عصبا على عظم مثل جلده على لحمه و لا مثل لحمه على عصبه و لا مثل عصبه على عظمه و لا رأيت نفسا ركبت بين جنبين مثل نفس له ركبت بين جنبين و لقد قام يوما إلى الصلاة فمر به حجر من حجارة المنجنيق بلبنة مطبوخة من شرفات المسجد فمرت بين لحييه و صدره فو الله ما خشع لها بصره و لا قطع لها قراءته و لا ركع دون الركوع الذي كان يركع و لقد كان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها و لقد كان يركع في الصلاة فيقع الرخم على ظهره و يسجد فكأنه مطروح.قال الزبير و حدث هشام بن عروة قال سمعت عمي يقول ما أبالي إذا وجدت ثلاثمائة يصبرون صبري لو أجلب علي أهل الأرض.قال الزبير و قسم عبد الله بن الزبير ثلث ماله و هو حي و كان أبوه الزبير قد أوصى أيضا بثلث ماله قال و ابن الزبير أحد الرهط الخمسة الذين وقع اتفاق أبي موسى الأشعري و عمرو بن العاص على إحضارهم و الاستشارة بهم في يوم التحكيم

و هم عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمرو و أبو الجهم بن حذيفة و جبير بن مطعم و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.قال الزبير و عبد الله هو الذي صلى بالناس بالبصرة لما ظهر طلحة و الزبير على عثمان بن حنيف بأمر منهما له قال و أعطت عائشة من بشرها بأن عبد الله لم يقتل يوم الجمل عشرة آلاف درهم.قلت الذي يغلب على ظني أن ذلك كان يوم إفريقية لأنها يوم الجمل كانت في شغل بنفسها عن عبد الله و غيره.قال الزبير و حدثني علي بن صالح مرفوعا أن رسول الله ص كلم في صبية ترعرعوا منهم عبد الله بن جعفر و عبد الله بن الزبير و عمر بن أبي سلمة فقيل يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك و يكون لهم ذكر فأتي بهم فكأنهم تكعكعوا حين جيء بهم إليه و اقتحم ابن الزبير فتبسم رسول الله ص و قال إنه ابن أبيه و بايعهم.قال و سئل رأس الجالوت ما عندكم من الفراسة في الصبيان فقال ما عندنا فيهم شيء لأنهم يخلقون خلقا من بعد خلق غير أنا نرمقهم فإن سمعناه منهم من يقول في لعبه من يكون معي رأيناها همة و خبء صدق فيه و إن سمعناه يقول مع من أكون كرهناها منه قال فكان أول شيء سمع من عبد الله بن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان فمر رجل فصاح عليهم ففروا منه و مشى ابن الزبير القهقرى ثم قال يا صبيان اجعلوني أميركم و شدوا بنا عليه قال و مر به عمر بن الخطاب و هو مع الصبيان ففروا و وقف فقال لم لم تفر مع أصحابك فقال لم أجرم فأخافك و لم تكن الطريق ضيقة فأوسع عليك.و روى الزبير بن بكار أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزا إفريقية في خلافة

عثمان فقتل عبد الله بن الزبير جرجير أمير جيش الروم فقال ابن أبي سرح إني موجه بشيرا إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا و أنت أولى من هاهنا فانطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر قال عبد الله فلما قدمت على عثمان أخبرته بفتح الله و صنعه و نصره و وصفت له أمرنا كيف كان فلما فرغت من كلامي قال هل تستطيع أن تؤدي هذا إلى الناس قلت و ما يمنعني من ذلك قال فاخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبد الله فخرجت حتى جئت المنبر فاستقبلت الناس فتلقاني وجه أبي فدخلتني له هيبة عرفها أبي في وجهي فقبض قبضة من حصباء و جمع وجهه في وجهي و هم أن يحصبني فأحزمت فتكلمت.فزعموا أن الزبير لما فرغ عبد الله من كلامه قال و الله لكأني أسمع كلام أبي بكر الصديق من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها و أخيها فإنها تأتيه بأحدهما.قال الزبير و يلقب عبد الله بعائذ البيت لاستعاذته به.قال و حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال إن الذي دعا عبد الله إلى التعوذ بالبيت شيء سمعه من أبيه حين سار من مكة إلى البصرة فإن الزبير التفت إلى الكعبة بعد أن ودع و وجه يريد الركوب فأقبل على ابنه عبد الله و قال تالله ما رأيت مثلها لطالب رغبة أو خائف رهبة.و روى الزبير بن بكار قال كان سبب تعوذ ابن الزبير بالكعبة أنه كان يمشي بعد عتمة في بعض شوارع المدينة إذ لقي عبد الله بن سعد بن أبي سرح متلثما لا يبدو منه إلا عيناه قال فأخذت بيده و قلت ابن أبي سرح كيف كنت بعدي و كيف تركت أمير المؤمنين يعني معاوية و قد كان ابن أبي سرح عنده بالشام فلم يكلمني فقلت ما لك أمات أمير المؤمنين فلم يكلمني فتركته و قد أثبت معرفته ثم خرجت حتى لقيت الحسين بن علي ﷺ فأخبرته خبره و قلت ستأتيك رسل الوليد و كان الأمير على المدينة الوليد بن عتبة بن

أبي سفيان فانظر ما أنت صانع و اعلم أن رواحلي في الدار معدة و الموعد بيني و بينك أن تغفل عنا عيونهم ثم فارقته فلم ألبث أن أتاني رسول الوليد فجئته فوجدت الحسين عنده و وجدت عنده مروان بن الحكم فنعى إلي معاوية فاسترجعت فأقبل علي و قال هلم إلى بيعة يزيد فقد كتب إلينا يأمرنا أن نأخذها عليك فقلت إني قد علمت أن في نفسه علي شيئا لتركي بيعته في حياة أبيه و إن بايعت له على هذه الحال توهم أني مكره على البيعة فلم يقع منه ذلك بحيث أريد و لكن أصبح و يجتمع الناس و يكون ذلك علانية إن شاء الله فنظر الوليد إلى مروان فقال مروان هو الذي قلت لك إن يخرج لم تره فأحببت أن ألقي بيني و بين مروان شرا نتشاغل به فقلت له و ما أنت و ذاك يا ابن الزرقاء فقال لي و قلت له حتى تواثبنا فتناصيت أنا و هو و قام الوليد فحجز بيننا فقال مروان أ تحجز بيننا بنفسك و تدع أن تأمر أعوانك فقال قد أرى ما تريد و لكن لا أتولى ذلك منه و الله أبدا اذهب يا ابن الزبير حيث شئت قال فأخذت بيد الحسين و خرجنا من الباب حتى صرنا إلى المسجد و أنا أقول:

و لا تحسبني يا مسافر شحمة تعجلها من جانب القدر جائع

فلما دخل المسجد افترق هو و الحسين و عمد كل واحد منهما إلى مصلاه يصلي فيه و جعلت الرسل تختلف إليهما يسمع وقع أقدامهم في الحصباء حتى هدأ عنهما الحس ثم انصرفا إلى منازلهما فأتى ابن الزبير رواحله فقعد عليها و خرج من أدبار داره و وافاه الحسين بن علي فخرجا جميعا من ليلتهم و سلكوا طريق الفرع حتى مروا بالجثجاثة و بها جعفر بن الزبير قد ازدرعها و غمز عليهم بعير من إبلهم فانتهوا إلى جعفر فلما رآهم قال مات معاوية فقال عبد الله نعم انطلق

معنا و أعطنا أحد جمليك و كان ينضح على جملين له فقال جعفر متمثلا:

إخـــــوتي لا تبعـــــدوا أبـــــدا و بلـــــى و الله قـــــد بعـــــدوا

فقال عبد الله و تطير منها بفيك التراب فخرجوا جميعا حتى قدموا مكة قال الزبير

فأما الحسين ع فإنه خرج من مكة يوم التروية يطلب الكوفة و العراق و قد كان قال لعبد الله بن الزبير قد أتتني بيعة أربعين ألفا يحلفون لي بالطلاق و العتاق من أهل العراق فقال أ تخرج إلى قوم قتلوا أباك و خذلوا أخاك قال و بعض الناس يزعم أن عبد الله بن عباس هو الذي قال للحسين ذلك قال الزبير و قال هشام بن عروة كان أول ما أفصح به عمي عبد الله و هو صغير السيف فكان لا يضعه من فيه و كان أبوه الزبير إذا سمع منه ذلك يقول أما و الله ليكونن لك منه يوم و يوم و أيام.فأما خبر مقتل عبد الله بن الزبير فنحن نورده من تاريخ أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري ﵀ قال أبو جعفر حصر الحجاج عبد الله بن الزبير ثمانية أشهر فروى إسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت منجنيق أهل الشام يرمى به فرعدت السماء و برقت و علا صوت الرعد على صوت المنجنيق فأعظم أهل الشام ما سمعوه فأمسكوا أيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها في منطقته و رفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا و رمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت

صاعقة يتبعها أخرى فقتلت من أصحاب الحجاج أثنى عشر رجلا فأنكر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة هذه صواعق تهامة هذا الفتح قد حضر فأبشروا فإن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة ما أصاب الحجاج فقال الحجاج أ لا ترون أنهم يصابون و أنتم على الطاعة و هم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير و الحجاج حتى تفرق عامة أصحاب ابن الزبير عنه و خرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان.قال و روى إسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن الجهم الأسلمي قال رأيت ابن الزبير و قد خذله من معه خذلانا شديدا و جعلوا يخرجون إلى الحجاج خرج إليه منهم نحو عشرة آلاف و ذكر أنه كان ممن فارقه و خرج إلى الحجاج ابناه خبيب و حمزة فأخذا من الحجاج لأنفسهما أمانا.قال أبو جعفر فروى مُحَمَّد بن عمر عن ابن أبي الزناد عن مخرمة بن سلمان الوالبي قال دخل عبد الله بن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانه فقال يا أمه خذلني الناس حتى ولدي و أهلي و لم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة و القوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت يا بني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق و إليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك و لا تمكن من رقبتك يتلعب بك غلمان بني أمية و إن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك و أهلكت من قتل معك و إن قلت قد كنت على حق فلما وهن أصحابي وهنت و ضعفت فليس هذا فعل الأحرار و لا أهل

الدين و كم خلودك في الدنيا القتل أحسن فدنا ابن الزبير فقبل رأسها و قال هذا و الله رأيي الذي قمت به داعيا إلى يومي هذا و ما ركنت إلى الدنيا و لا أحببت الحياة فيها و لم يدعني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل محارمه و لكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمه فإني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك و سلمي لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر و لا عملا بفاحشة و لم يجر في حكم و لم يغدر في أمان و لم يتعمد ظلم مسلم و لا معاهد و لم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته و لم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي و لكنني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني فقالت أمه إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنا إن تقدمتني فلا أخرج من الدنيا حتى أنظر إلى ما يصير أمرك فقال جزاك الله يا أمه خيرا فلا تدعي الدعاء لي قبل و بعد قالت لا أدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل و ذلك النحيب و الظمأ في هواجر المدينة و مكة و بره بأبيه و بي اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه و رضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.قال أبو جعفر و روى مُحَمَّد بن عمر عن موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه و عليه الدرع و المغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال نعم إني جئت مودعا إني لأرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا يمر بي و اعلمي يا أمه إني إن قتلت فإنما أنا لحم لا يضره ما صنع به فقالت صدقت يا بني أتمم على بصيرتك و لا تمكن ابن

أبي عقيل منك و ادن مني أودعك فدنا منها فقبلها و عانقها فقالت حيث مست الدرع ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبستها إلا لأشد منك فقالت إنها لا تشد مني فنزعها ثم أخرج كميه و شد أسفل قميصه و عمد إلى جبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة فقالت أمه شمر ثيابك فشمرها ثم انصرف و هو يقول:

إني إذا أعـــــرف يـــــومي أصـــــبر إذ بعضـــــهم يعـــــرف ثم ينكـــــر

فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر و الله و لم لا تصبر و أبوك أبو بكر و الزبير و أمك صفية بنت عبد المطلب.قال و روى مُحَمَّد بن عمر عن ثور بن يزيد عن رجل من أهل حمص قال شهدته و الله ذلك اليوم و نحن خمسمائة من أهل حمص فدخل من باب المسجد لا يدخل منه غيرنا و هو يشد علينا و نحن منهزمون و هو يرتجز:

إني إذا أعـــــرف يـــــومي اصـــــبر و إنمـــــا يعـــــرف يوميـــــه الحـــــر

و بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول أنت و الله الحر الشريف فلقد رأيته يقف بالأبطح لا يدنو منه أحد حتى ظننا أنه لا يقتل.قال و روى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال رأيت الأبواب قد شحنت بأهل الشام و جعلوا على كل باب قائدا و رجالا و أهل بلد فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة و لأهل دمشق باب بني شيبة و لأهل الأردن باب الصفا و لأهل فلسطين باب بني جمح و لأهل قنسرين باب بني سهم و كان الحجاج و طارق بن عمرو في ناحية الأبطح إلى المروة فمرة يحمل ابن الزبير

في هذه الناحية و لكأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال فيعدو في أثر الرجال و هم على الباب حتى يخرجهم ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان يا أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال ثم يقول

لو كان قرني واحدا كفيته

فيقول عبد الله بن صفوان إي و الله و ألفا.قال أبو جعفر فلما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث و سبعين و قد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير تلك الليلة يصلي عامة الليل ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى ثم انتبه بالفجر فقال أذن يا سعد فأذن عند المقام و توضأ ابن الزبير و ركع ركعتي الفجر ثم تقدم و أقام المؤذن فصلى ابن الزبير بأصحابه فقرأ ن و القلم حرفا حرفا ثم سلم ثم قام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر و عليها المغافر و العمائم فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا لم تصبنا مذلة و لم نقر على ضيم أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإني لم أحضر موطنا قط ارتثثت فيه بين القتلى و ما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم لا أعلم امرأ كسر سيفه و استبقى نفسه فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غضوا أبصاركم عن البارقة و ليشغل كل امرئ قرنه و لا يلهينكم السؤال عني و لا تقولن أين عبد الله بن الزبير ألا من كان سائلا عني فإني في الرعيل الأول ثم قال

أبى لابـــن ســـلمى أنـــه غـــير خالـــد يلاقـــي المنـــايا أي وجـــه تيممـــا

فلســـــت بمبتـــــاع الحيـــــاة بســـــبة و لا مرتـــق مـــن خشـــية المـــوت ســـلما

ثم قـال احملـوا علـى بركـة الله ثم حمـل حـتى بلـغ بهـم إلى الحجـون فرمـي بحجـر فأصـاب وجهـه فأرعش و دمي وجهه فلما وجد سخونة الدم تسيل على وجهه و لحيته قال:

و لســنا علــى الأعقــاب تــدمى كلومنــا و لكـــن علـــى أقـــدامنا تقطـــر الـــدما

قـال و تقـاووا عليه و صـاحت مـولاة لـه مجنونة وا أمير المؤمنيناه و قـد كـان هـوى و رأتـه حـين هوى فأشارت لهم إليه فقتل و إن عليه لثياب خز و جاء الخبر إلى الحجاج فسجد و سار هو و طارق بن عمرو فوقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج أ تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين فقال طارق هو أعذر لنا و لو لا هذا ما كان لنا عذر إنا محاصروه و هو في غير خندق و لا حصن و لا منعة منذ ثمانية أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن و هو قال فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا.قال و بعث الحجاج برأس ابن الزبير و رأس عبد بن صفوان و رأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت الثلاثة بها ثم حملت إلى عبد الملك.و نحن الآن نذكر بقية أخبار عبد الله بن الزبير ملتقطة من مواضع متفرقة رئي عبد الله بن الزبير في أيام معاوية واقفا بباب مية مولاة معاوية فقيل له

يا أبا بكر مثلك يقف بباب هذه فقال إذا أعيتكم الأمور من رءوسها فخذوها من أذنابها.ذكر معاوية لعبد الله بن الزبير يزيد ابنه و أراد منه البيعة له فقال ابن الزبير أنا أناديك و لا أناجيك إن أخاك من صدقك فانظر قبل أن تقدم و تفكر قبل أن تندم فإن النظر قبل التقدم و التفكر قبل التندم فضحك معاوية و قال تعلمت يا أبا بكر الشجاعة عند الكبر.كان عبد الله بن الزبير شديد البخل كان يطعم جنده تمرا و يأمرهم بالحرب فإذا فروا من وقع السيوف لامهم و قال لهم أكلتم تمري و عصيتم أمري فقال بعضهم:

أ لم تر عبد الله و الله غالب على أمره يبغي الخلافة بالتمر

و كسر بعض جنده خمسة أرماح في صدور أصحاب الحجاج و كلما كسر رمحا أعطاه رمحا فشق عليه ذلك و قال خمسة أرماح لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا.قال و جاءه أعرابي سائل فرده فقال له لقد أحرقت الرمضاء قدمي فقال بل عليهما يبردان.جمع عبد الله بن الزبير مُحَمَّد بن الحنفية و عبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلا من بني هاشم منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ع و حصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم و قال لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إلي أو أضرب أعناقكم أو أحرقكم بالنار ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار فالتزمه

ابن مسور بن مخرمة الزهري و ناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة فلما كان يوم الجمعة دعا مُحَمَّد بن الحنفية بغسول و ثياب بيض فاغتسل و تلبس و تحنط لا يشك في القتل و قد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فلما نزلوا ذات عرق تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون يا مُحَمَّد يا مُحَمَّد و قد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم فاستخلصوا مُحَمَّد بن الحنفية و من كان معه و بعث مُحَمَّد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادي من كان يرى أن الله عليه حقا فليشم سيفه فلا حاجة لي بأمر الناس إن أعطيتها عفوا قبلتها و إن كرهوا لم نبتزهم أمرهم.و في شعب عارم و حصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن:

و من ير هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي النبي المصطفى و ابن عمه و حمال أثقال و فكاك غارم
تخبر من لاقيت أنك عائذ بل العائذ المحبوس في سجن عارم

و روى المدائني قال لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مر بنعمان فنزل فصلى ركعتين ثم رفع يديه يدعو فقال اللهم إنك تعلم أنه لم يكن بلد أحب إلي من أن أعبدك فيه من البلد الحرام و إنني لا أحب أن تقبض روحي إلا فيه و أن ابن الزبير أخرجني منه ليكون الأقوى في سلطانه اللهم فأوهن كيده و اجعل دائرة السوء عليه فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها فقالوا مرحبا بابن عم رسول الله ص أنت و الله أحب إلينا و أكرم علينا ممن أخرجك هذه منازلنا تخيرها فانزل منها حيث أحببت فنزل منزلا فكان

يجلس إليه أهل الطائف بعد الفجر و بعد العصر فيتكلم بينهم كان يحمد الله و يذكر النبي ص و الخلفاء بعده و يقول ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم و لا أشباههم و لا من يدانيهم و لكن بقي أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة و يلبسون جلود الضأن تحتها قلوب الذئاب و النمور ليظن الناس أنهم من الزاهدين في الدنيا يراءون الناس بأعمالهم و يسخطون الله بسرائرهم فادعوا الله أن يقضي لهذه الأمة بالخير و الإحسان فيولي أمرها خيارها و أبرارها و يهلك فجارها و أشرارها ارفعوا أيديكم إلى ربكم و سلوه ذلك فيفعلون فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إليه أما بعد فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العصرين فتفتيهم بالجهل تعيب أهل العقل و العلم و إن حلمي عليك و استدامتي فيئك جرأك علي فاكفف لا أبا لغيرك من غربك و اربع على ظلعك و اعقل إن كان لك معقول و أكرم نفسك فإنك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانا أ لم تسمع قول الشاعر:

فنفسك أكرمها فإنك إن تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

و إني أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغني عنك لتجدن جانبي خشنا و لتجدنني إلى ما يردعك عني عجلا فر رأيك فإن أشفى بك شقاؤك على الردى فلا تلم إلا نفسك فكتب إليه ابن عباس أما بعد فقد بلغني كتابك قلت إني أفتي الناس بالجهل و إنما يفتي بالجهل من لم يعرف من العلم شيئا و قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك و ذكرت أن حلمك عني و استدامتك فيئي جرأني عليك ثم قلت اكفف من غربك و اربع على

ظلعك و ضربت لي الأمثال أحاديث الضبع متى رأيتني لعرامك هائبا و من حدك ناكلا و قلت لئن لم تكفف لتجدن جانبي خشنا فلا أبقى الله عليك إن أبقيت و لا أرعى عليك إن أرعيت فو الله أنتهي عن قول الحق و صفة أهل العدل و الفضل و ذم الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا و السلام.قدم معاوية المدينة راجعا من حجة حجها فكثر الناس عليه في حوائجهم فقال لصاحب إبله قدم إبلك ليلا حتى أرتحل ففعل ذلك و سار و لم يعلم بأمره إلا عبد الله بن الزبير فإنه ركب فرسه و قفا أثره و معاوية نائم في هودجه فجعل يسير إلى جانبه فانتبه معاوية و قد سمع وقع حافر الفرس فقال من صاحب الفرس قال أنا أبو خبيب لو قد قتلتك منذ الليلة يمازحه فقال معاوية كلا لست من قتلة الملوك إنما يصيد كل طائر قدره فقال ابن الزبير إلي تقول هذا و قد وقفت في الصف بإزاء علي بن أبي طالب و هو من تعلم فقال معاوية لا جرم أنه قتلك و أباك بيسرى يديه و بقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها فقال ابن الزبير أما و الله ما كان ذاك إلا في نصر عثمان فلم نجز به فقال معاوية خل هذا عنك فو الله لو لا شدة بغضك ابن أبي طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع فقال ابن الزبير أ فعلتها يا معاوية أما إنا قد أعطيناك عهدا و نحن وافون لك به ما دمت حيا و لكن ليعلمن من بعدك فقال معاوية أما و الله ما أخافك إلا على نفسك و لكأني بك و أنت مشدود مربوط في الأنشوطة و أنت تقول ليت أبا عبد الرحمن كان حيا و ليتني كنت حيا يومئذ فأحلك حلا رفيقا و لبئس المطلق و المعتق و المسنون عليه أنت يومئذ

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية و عنده عمرو بن العاص فتكلم عمرو و أشار إلى ابن الزبير فقال هذا و الله يا أمير المؤمنين الذي غرته أناتك و أبطره حلمك فهو ينزو في نشطته نزو العير في حبالته كلما قمصته الغلواء و الشرة سكنت الأنشوطة منه النفرة و أحر به أن يئول إلى القلة أو الذلة فقال ابن الزبير أما و الله يا ابن العاص لو لا أن الإيمان ألزمنا بالوفاء و الطاعة للخلفاء فنحن لا نريد بذلك بدلا و لا عنه حولا لكان لنا و له و لك شأن و لو وكله القضاء إلى رأيك و مشورة نظرائك لدافعناه بمنكب لا تئوده المزاحمة و لقاذفناه بحجر لا تنكؤه المراجمة فقال معاوية أما و الله يا ابن الزبير لو لا إيثاري الأناة على العجل و الصفح على العقوبة و أني كما قال الأول:

أجامل أقواما حياء و قد أرى قلوبهم تغلي علي مراضها

إذا لقرنتك إلى سارية من سواري الحرم تسكن بها غلواءك و ينقطع عندها طمعك و تنقص من أملك ما لعلك قد لويته فشززته و فتلته فأبرمته و ايم الله إنك من ذلك لعلى شرف جرف بعيد الهوة فكن على نفسك ولها فما توبق و لا تنفذ غيرها فشأنك و إياها.قطع عبد الله بن الزبير في الخطبة ذكر رسول الله ص جمعا كثيرة فاستعظم الناس ذلك فقال إني لا أرغب عن ذكره و لكن له أهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم فأنا أحب أن أكبتهم.لما كاشف عبد الله بن الزبير بني هاشم و أظهر بغضهم و عابهم و هم بما هم به في

أمرهم و لم يذكر رسول الله ص في خطبة لا يوم الجمعة و لا غيرها عاتبه على ذلك قوم من خاصته و تشاءموا بذلك منه و خافوا عاقبته فقال و الله ما تركت ذلك علانية إلا و أنا أقوله سرا و أكثر منه لكني رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبوا و احمرت ألوانهم و طالت رقابهم و الله ما كنت لآتي لهم سرورا و أنا أقدر عليه و الله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا فإني لا أقتل منهم إلا آثما كفارا سحارا لا أنماهم الله و لا بارك عليهم بيت سوء لا أول لهم و لا آخر و الله ما ترك نبي الله فيهم خيرا استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس.فقام إليه مُحَمَّد بن سعد بن أبي وقاص فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين أنا أول من أعانك في أمرهم فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي فقال و الله ما قلت صوابا و لا هممت برشد أ رهط رسول الله ص تعيب و إياهم تقتل و العرب حولك و الله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك و الله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره فقال اجلس أبا صفوان فلست بناموس.فبلغ الخبر عبد الله بن العباس فخرج مغضبا و معه ابنه حتى أتى المسجد فقصد قصد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسول الله ص ثم قال أيها الناس إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ص و لا آخر فيا عجبا كل العجب لافترائه و لكذبه و الله إن أول من أخذ الإيلاف و حمى عيرات

قريش لهاشم و إن أول من سقى بمكة عذبا و جعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب و الله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش و إن كنا لقالتهم إذا قالوا و خطباءهم إذا خطبوا و ما عد مجد كمجد أولنا و لا كان في قريش مجد لغيرنا لأنها في كفر ماحق و دين فاسق و ضلة و ضلالة في عشواء عمياء حتى اختار الله تعالى لها نورا و بعث لها سراجا فانتجبه طيبا من طيبين لا يسبه بمسبة و لا يبغي عليه غائلة فكان أحدنا و ولدنا و عمنا و ابن عمنا ثم إن أسبق السابقين إليه منا و ابن عمنا ثم تلاه في السبق أهلنا و لحمتنا واحدا بعد واحد.ثم إنا لخير الناس بعده و أكرمهم أدبا و أشرفهم حسبا و أقربهم منه رحما.وا عجبا كل العجب لابن الزبير يعيب بني هاشم و إنما شرف هو و أبوه و جده بمصاهرتهم أما و الله إنه لمسلوب قريش و متى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب قيل للبغل من أبوك يا بغل فقال خالي الفرس ثم نزل.خطب ابن الزبير بمكة على المنبر و ابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر فقال إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره يزعم أن متعة النساء حلال من الله و رسوله و يفتي في القملة و النملة و قد احتمل بيت مال البصرة بالأمس و ترك المسلمين بها يرتضخون النوى و كيف ألومه في ذلك و قد قاتل أم المؤمنين و حواري رسول الله ص و من وقاه بيده.

فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بني أسد بن خزيمة استقبل بي وجه ابن الزبير و ارفع من صدري و كان ابن عباس قد كف بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير و أقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال يا ابن الزبير:

قد أنصف القارة من راماها إنا إذا ما فئة نلقاها

نرد أولاها على أخراها حتى تصير حرضا دعواها

يا ابن الزبير أما العمى فإن الله تعالى يقول (فَإِنَّها لا تَعْمَى اَلْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى اَلْقُلُوبُ اَلَّتِي فِي اَلصُّدُورِ) و أما فتياي في القملة و النملة فإن فيها حكمين لا تعلمها أنت و لا أصحابك و أما حملي المال فإنه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه و بقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا و أما المتعة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردي عوسجة و أما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك و لا بأبيك فانطلق أبوك و خالك إلى حجاب مده الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذاها فتنة يقاتلان دونها و صانا حلائلهما في بيوتهما فما أنصفا الله و لا مُحَمَّدا من أنفسهما أن أبرزا زوجة نبيه و صانا حلائلهما و أما قتالنا إياكم فإنا لقينا زحفا فإن كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا و إن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا و ايم الله لو لا مكان صفية فيكم و مكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرته.فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألها عن بردي عوسجة فقالت أ لم أنهك عن ابن عباس و عن بني هاشم فإنهم كعم الجواب إذا بدهوا فقال بلى و عصيتك.

فقالت يا بني احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس و الجن و اعلم أن عنده فضائح قريش و مخازيها بأسرها فإياك و إياه آخر الدهر فقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي:

يا ابـــن الـــزبير لقـــد لاقيـــت بائقـــة ... مـــن البوائـــق فـــالطف لطـــف محتـــال

لاقيتـــــه هاشميـــــا طـــــاب منبتـــــه ... في مغرســـيه كـــريم العـــم و الخـــال

مـــا زال يقـــرع عنـــك العظـــم مقتـــدرا ... علـــى الجـــواب بصـــوت مســـمع عـــال

حـــتى رأيتـــك مثـــل الكلـــب منجحـــرا ... خلـــف الغبـــيط و كنـــت البـــاذخ العـــالي

إن ابـــن عبـــاس المعـــروف حكمتـــه ... خـــير الأنام لـــه حـــال مـــن الحـــال

عيرتـــــه المتعـــــة المتبـــــوع ســـــنتها ... و بالقتـــــال و قـــــد عـــــيرت بالمـــــال

لمـــا رمـــاك علـــى رســـل بأســـهمه ... جـــرت عليـــك بســـيف الحـــال و البـــال

فـــاحتز مقولـــك الأعلـــى بشـــفرته ... حـــزا وحيـــا بـــلا قيـــل و لا قـــال

و اعلـــم بأنـــك إن عـــاودت غيبتـــه ... عـــادت عليـــك مخـــاز ذات أذيال

و روى عثمان بن طلحة العبدري قال شهدت من ابن عباس ﷺ مشهدا ما سمعته من رجل من قريش كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم و هو يومئذ أمير المدينة سرير آخر أصغر من سريره فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل و توضع الوسائد فيما سوى ذلك فأذن مروان يوما للناس و إذا سرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان فأقبل ابن عباس فجلس على سريره و جاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المحدث و سكت مروان و القوم فإذا يد ابن الزبير

تتحرك فعلم أنه يريد أن ينطق ثم نطق فقال إن ناسا يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطا و فلتة و مغالبة ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا و يزعمون أنه لو لا ما وقع لكان الأمر لهم و فيهم و الله ما كان من أصحاب مُحَمَّد ص أحد أثبت إيمانا و لا أعظم سابقة من أبي بكر فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر فلم يكن إلا ما قال ثم ألقى عمر حظهم في حظوظ و جدهم في جدود فقسمت تلك الحظوظ فأخر الله سهمهم و أدحض جدهم و ولي الأمر عليهم من كان أحق به منهم فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجا من القرية فأصابوا منه غرة فقتلوه ثم قتلهم الله به قتلة و صاروا مطرودين تحت بطون الكواكب.فقال ابن عباس على رسلك أيها القائل في أبي بكر و عمر و الخلافة أما و الله ما نالا و لا نال أحد منهما شيئا إلا و صاحبنا خير ممن نالا و ما أنكرنا تقدم من تقدم لعيب عبناه عليه و لو تقدم صاحبنا لكان أهلا و فوق الأهل و لو لا أنك إنما تذكر حظ غيرك و شرف امرئ سواك لكلمتك و لكن ما أنت و ما لا حظ لك فيه اقتصر على حظك و دع تيما لتيم و عديا لعدي و أمية لأمية و لو كلمني تيمي أو عدوي أو أموي لكلمته و أخبرته خبر حاضر عن حاضر لا خبر غائب عن غائب و لكن ما أنت و ما ليس عليك فإن يكن في أسد بن عبد العزى شيء فهو لك أما و الله لنحن أقرب بك عهدا و أبيض عندك يدا و أوفر عندك نعمة ممن أمسيت تظن أنك تصول به علينا و ما أخلق ثوب صفية بعد و الله المستعان على ما تصفون.

أوصى معاوية يزيد ابنه لما عقد له الخلافة بعده فقال إني لا أخاف عليك إلا ممن أوصيك بحفظ قرابته و رعاية حق رحمه من القلوب إليه مائلة و الأهواء نحوه جانحة و الأعين إليه طامحة و هو الحسين بن علي فاقسم له نصيبا من حلمك و اخصصه بقسط وافر من مالك و متعه بروح الحياة و أبلغ له كل ما أحب في أيامك فأما من عداه فثلاثة و هم عبد الله بن عمر رجل قد وقذته العبادة فليس يريد الدنيا إلا أن تجيئه طائعة لا تراق فيها محجمة دم و عبد الرحمن بن أبي بكر رجل هقل لا يحمل ثقلا و لا يستطيع نهوضا و ليس بذي همة و لا شرف و لا أعوان و عبد الله بن الزبير و هو الذئب الماكر و الثعلب الخاتر فوجه إليه جدك و عزمك و نكيرك و مكرك و اصرف إليه سطوتك و لا تثق إليه في حال فإنه كالثعلب راغ بالختل عند الإرهاق و الليث صال بالجراءة عند الإطلاق و أما ما بعد هؤلاء فإني قد وطئت لك الأمم و ذللت لك أعناق المنابر و كفيتك من قرب منك و من بعد عنك فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك.خطب عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال في خطبته يزيد القرود يزيد الفهود يزيد الخمور يزيد الفجور أما و الله لقد بلغني أنه لا يزال مخمورا يخطب الناس و هو طافح في سكره فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فما أمسى ليلته حتى جهز جيش الحرة و هو عشرون ألفا و جلس و الشموع بين يديه و عليه ثياب معصفرة و الجنود تعرض عليه ليلا فلما أصبح خرج فأبصر الجيش و رأى تعبيته فقال:

أبلـــغ أبا بكـــر إذا الجـــيش انـــبرى و أخـــذ القـــوم علـــى وادي القـــرى

عشـــرين ألفـــا بـــين كهـــل و فـــتى أ جمـــع ســـكران مـــن القـــوم تـــرى

أم جمع ليث دونه ليث الشرى

لما خرج الحسين ع من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير و قال:

يا لـــــك مـــــن قـــــبرة بمعمـــــر خـــلا لـــك الجـــو فبيضـــي و اصـــفري

و نقـــري مـــا شـــئت أن تنقـــري هـــذا الحســـين ســـائر فأبشـــري

خلا الجو و الله لك يا ابن الزبير و سار الحسين إلى العراق فقال ابن الزبير يا ابن عباس و الله ما ترون هذا الأمر إلا لكم و لا ترون إلا أنكم أحق به من جميع الناس فقال ابن عباس إنما يرى من كان في شك و نحن من ذلك على يقين و لكن أخبرني عن نفسك بما ذا تروم هذا الأمر قال بشرفي قال و بما ذا شرفت إن كان لك شرف فإنما هو بنا فنحن أشرف منك لأن شرفك منا و علت أصواتهما فقال غلام من آل الزبير دعنا منك يا ابن عباس فو الله لا تحبوننا يا بني هاشم و لا نحبكم أبدا فلطمه عبد الله بن الزبير بيده و قال أ تتكلم و أنا حاضر فقال ابن عباس لم ضربت الغلام و الله أحق بالضرب منه من مزق و مرق قال و من هو قال أنت.قال و اعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما.

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتها عاتبتك فيها قال هات فأنشده:

لعمـــري مـــا أدري و إني لأوجـــل علـــى أينـــا تعـــدو المنيـــة أول
و إني أخـــوك الـــدائم العهـــد لم أزل إن أعيـاك خصـم أو نبـا بـك منـزل
أحـارب مـن حاربـت مـن ذي عـداوة و أحـبس يومـا إن حبسـت فأعقـل
و إن سـؤتني يومـا صـفحت إلى غـد ليعقـب يـوم منـك آخـر مقبـل
سـتقطع في الـدنيا إذا مـا قطعتـني يمينـك فـانظر أي كـف تبـدل
إذا أنـت لم تنصـف أخـاك وجدتـه علـى طـرف الهجـران إن كـان يعقـل
و يركـب حـد السـيف مـن أن تضـيمه إذا لم يكـن عـن شـفرة السـيف معـدل
و كنـت إذا مـا صـاحب مـل صـحبتي و بـدل شـرا بالـذي كنـت أفعـل
قلبـت لـه ظهـر المجـن و لم أقـم علـى الضـيم إلا ريثمـا أتحـول
و في النـاس إن رثـت حبالـك واصـل و في الأرض عـن دار القلـى متحـول
إذا انصـرفت نفسـي عـن الشـيء لم تكـد إليـه بوجـه آخـر الـدهر تقبـل

فقال معاوية لقد شعرت بعدي يا أبا خبيب و بينما هما في ذلك دخل معن بن أوس المزني فقال له معاوية إيه هل أحدثت بعدنا شيئا قال نعم قال قل فأنشد هذه الأبيات فعجب معاوية و قال لابن الزبير أ لم تنشدها لنفسك آنفا فقال أنا سويت المعاني و هو ألف الألفاظ و نظمها و هو بعد ظئري فما قال من شيء فهو لي و كان ابن الزبير مسترضعا في مزينة فقال معاوية و كذبا يا أبا خبيب فقام عبد الله فخرج.

و قال الشعبي فقد رأيت عجبا بفناء الكعبة أنا و عبد الله بن الزبير و عبد الملك بن مروان و مصعب بن الزبير فقام القوم بعد ما فرغوا من حديثهم فقالوا ليقم كل واحد منكم فليأخذ بالركن اليماني ثم يسأل الله تعالى حاجته فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الركن و قال اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك و حرمة عرشك و حرمة بيتك هذا ألا تخرجني من الدنيا حتى ألي الحجاز و يسلم علي بالخلافة و جاء فجلس.فقام أخوه مصعب فالتزم الركن و قال اللهم رب كل شيء و إليك مصير كل شيء أسألك بقدرتك على كل شيء ألا تميتني حتى ألي العراق و أتزوج سكينة بنت الحسين بن علي ثم جاء فجلس.فقام عبد الملك فالتزم الركن و قال اللهم رب السموات السبع و الأرض ذات النبت و القفر أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك و أسألك بحق وجهك و بحقك على جميع خلقك ألا تميتني حتى ألي شرق الأرض و غربها لا ينازعني أحد إلا ظهرت عليه ثم جاء فجلس.فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن و قال يا رحمان يا رحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك و بقدرتك على جميع خلقك ألا تميتني حتى توجب لي الرحمة.قال الشعبي فو الله ما خرجت من الدنيا حتى بلغ كل من الثلاثة ما سأل و أخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته و أن يكون من أهل الرحمة.

قال الحجاج في خطبته يوم دخل الكوفة هذا أدب ابن نهية أما و الله لأؤدبنكم غير هذا الأدب.قال ابن ماكولا في كتاب الإكمال يعني مصعب بن الزبير و عبد الله أخاه و هي نهية بنت سعيد بن سهم بن هصيص و هي أم ولد أسد بن عبد العزى بن قصي و هذا من المواضع الغامضة.و روى الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش قال قدم وفد من العراق على عبد الله بن الزبير فأتوه في المسجد الحرام فسلموا عليه فسألهم عن مصعب أخيه و عن سيرته فيهم فأثنوا عليه و قالوا خيرا و ذلك في يوم جمعة فصلى عبد الله بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم تمثل:

قد جربوني ثم جربوني من غلوتين و من المئين

حتى إذا شابوا و شيبوني خلوا عناني ثم سيبوني

أيها الناس إني قد سألت هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه و ذكروا عنه ما أحب ألا إن مصعبا اطبى القلوب حتى لا تعدل به و الأهواء حتى لا تحول عنه و استمال الألسن بثنائها و القلوب بنصائحها و الأنفس بمحبتها و هو المحبوب في خاصته المأمون في عامته بما أطلق الله به لسانه من الخير و بسط به يديه من البذل ثم نزل.و روى الزبير قال لما جاء عبد الله بن الزبير نعي المصعب صعد المنبر فقال

الحمد لله الذي له الخلق و الأمر يؤتي الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء إلا و إنه لم يذلل الله من كان الحق معه و لو كان فردا و لم يعزز الله ولي الشيطان و حزبه و إن كان الأنام كلهم معه إلا و إنه قد أتانا من العراق خبر أحزننا و أفرحنا أتانا قتل المصعب ﷺ فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر و كرم العزاء و أما الذي أفرحنا فإن قتله كان عن شهادة و إن الله تعالى جعل ذلك لنا و له ذخيرة ألا إن أهل العراق أهل الغدر و النفاق أسلموه و باعوه بأقل الثمن فإن يقتل المصعب فإنا لله و إنا إليه راجعون ما نموت جبحا كما يموت بنو العاص ما نموت إلا قتلا قعصا بالرماح و موتا تحت ظلال السيوف ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه و لا يبيد فإن تقبل الدنيا علي لا آخذها أخذ الأشر البطر و إن تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الخرف المهتر و إن يهلك المصعب فإن في آل الزبير لخلفا ثم نزل.و روى الزبير بن بكار قال خطب عبد الله بن الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب فحمد الله و أثنى عليه ثم قال لئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بإمامي عثمان فعظمت مصيبته ثم أحسن الله و أجمل و لئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بأبي الزبير فعظمت مصيبته فظننت أني لا أجيزها ثم أحسن الله و سلم و استمرت مريرتي و هل كان مصعب إلا فتى من فتياني ثم غلبه البكاء فسالت دموعه و قال كان و الله سريا مريا ثم قال

هـم دفعـوا الـدنيا علـى حـين أعرضـت كرامـــا و ســـنوا للكـــرام التأســـيا

و روى أبو العباس في الكامل أن عروة لما صلب عبد الله جاء إلى عبد الملك فوقف ببابه و قال للحاجب أعلم أمير المؤمنين أن أبا عبد الله بالباب فدخل الحاجب فقال رجل يقول قولا عظيما قال و ما هو فتهيب فقال قل قال رجل يقول قل لأمير المؤمنين أبو عبد الله بالباب فقال عبد الملك قل لعروة يدخل فدخل فقال تأمر بإنزال جيفة أبي بكر فإن النساء يجزعن فأمر بإنزاله قال و قد كان كتب الحجاج إلى عبد الملك يقول إن خزائن عبد الله عند عروة فمره فليسلمها فدفع عبد الملك إلى عروة و ظن أنه يتغير فلم يحفل بذلك كأنه ما قرأه فكتب عبد الملك إلى الحجاج ألا يعرض لعروة.و من الكلام المشهور في بخل عبد الله بن الزبير الكلام الذي يحكى أن أعرابيا أتاه يستحمله فقال قد نقب خف راحلتي فاحملني إني قطعت الهواجر إليك عليها فقال له ارقعها بسبت و اخصفها بهلب و أنجد بها و سر بها البردين فقال إنما أتيتك مستحملا لم آتك مستوصفا لعن الله ناقة حملتني إليك قال إن و راكبها.

و هذا الأعرابي هو فضالة بن شريك فهجاه فقال:

أرى الحاجـــات عنـــد أبي خبيـــب نكـــــدن و لا أميـــــة بالـــــبلاد

مـــن الأعيـــاص أو مـــن آل حـــرب أغـــــر كغـــرة الفـــــرس الجـــواد

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال يا أمير المؤمنين لا تدعن مروان يرمي جماهير قريش بمشاقصه و يضرب صفاتهم بمعوله أما و الله إنه لو لا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشه و أقل في أنفسنا من خشاشة و ايم الله لئن ملك أعنة خيل تنقاد له لتركبن منه طبقا تخافه.فقال معاوية إن يطلب مروان هذا الأمر فقد طمع فيه من هو دونه و إن يتركه يتركه لمن فوقه و ما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا يعطف عليكم بقرابة و لا يذكركم عند ملمة يسومكم خسفا و يسوقكم عسفا.فقال ابن الزبير إذن و الله يطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه راعية ثلة.فقال معاوية أنا ابن هند أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام و شربت عنفوان المكرع و ليس للآكل بعدي إلا الفلذة و لا للشارب إلا الرنق.

فسكت ابن الزبير.قدم عبد الله بن الزبير على معاوية وافدا فرحب به و أدناه حتى أجلسه على سريره ثم قال حاجتك أبا خبيب فسأله أشياء ثم قال له سل غير ما سألت قال نعم المهاجرون و الأنصار ترد عليهم فيئهم و تحفظ وصية نبي الله فيهم تقبل من محسنهم و تتجاوز عن مسيئهم.فقال معاوية هيهات هيهات لا و الله ما تأمن النعجة الذئب و قد أكل أليتها.فقال ابن الزبير مهلا يا معاوية فإن الشاة لتدر للحالب و إن المدية في يده و إن الرجل الأريب ليصانع ولده الذي خرج من صلبه و ما تدور الرحى إلا بقطبها و لا تصلح القوس إلا بمعجسها.فقال يا أبا خبيب لقد أجررت الطروقة قبل هباب الفحل هيهات و هي لا تصطك لحبائها اصطكاك القروم السوامي فقال ابن الزبير العطن بعد العل و العل بعد النهل و لا بد للرحاء من الثفال ثم نهض ابن الزبير.فلما كان العشاء أخذت قريش مجالسها و خرج معاوية على بني أمية فوجد عمرو

بن العاص فيهم فقال ويحكم يا بني أمية أ فيكم من يكفيني ابن الزبير فقال عمرو أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين قال ما أظنك تفعل قال بلى و الله لأربدن وجهه و لأخرسن لسانه و لأردنه ألين من خميلة.فقال دونك فاعرض له إذا دخل فدخل ابن الزبير و كان قد بلغه كلام معاوية و عمرو فجلس نصب عيني عمرو فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو:

و إني لنـــار مـــا يطـــاق اصـــطلاؤها لـــــدي كـــــلام معضـــــل متفـــــاقم

فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض ثم رفع رأسه و قال:

و إني لبحـــــر مـــــا يســـــامى عبابـــــه مـــتى يلـــق بحـــري حـــر نارك يخمـــد

فقال عمرو و الله يا ابن الزبير إنك ما علمت لمتجلبب جلابيب الفتنة متأزر بوصائل التيه تتعاطى الذرى الشاهقة و المعالي الباسقة و ما أنت من قريش في لباب جوهرها و لا مؤنق حسبها.فقال ابن الزبير أما ما ذكرت من تعاطي الذرى فإنه طال بي إليها وسما ما لا يطول بك مثله أنف حمي و قلب ذكي و صارم مشرفي في تليد فارع و طريف مانع إذ قعد بك انتفاخ سحرك و وجيب قلبك و أما ما ذكرت من أني لست من قريش في لباب جوهرها و مؤنق حسبها فقد حضرتني و إياك الأكفاء العالمون بي و بك فاجعلهم بيني و بينك.

فقال القوم قد أنصفك يا عمرو قال قد فعلت.فقال ابن الزبير أما إذ أمكنني الله منك فلأربدن وجهك و لأخرسن لسانك و لترجعن في هذه الليلة و كان الذي بين منكبيك مشدود إلى عروق أخدعيك ثم قال أقسمت عليكم يا معاشر قريش أنا أفضل في دين الإسلام أم عمرو فقالوا اللهم أنت قال فأبي أفضل أم أبوه قالوا أبوك حواري رسول الله ص و ابن عمته قال فأمي أفضل أم أمه قالوا أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق و ذات النطاقين قال فعمتي أفضل أم عمته قالوا عمتك سلمى ابنة العوام صاحبة رسول الله ص أفضل من عمته قال فخالتي أفضل أم خالته قالوا خالتك عائشة أم المؤمنين قال فجدتي أفضل أم جدته فقال جدتك صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ص قال فجدي أفضل أم جده قالوا جدك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله ص فقال:

قضت الغطارف من قريش بيننا فاصبر لفصل خصامها و قضائها

و إذا جريت فلا تجار مبرزا بذ الجياد على احتفال جرائها

أما و الله يا ابن العاص لو أن الذي أمرك بهذا واجهني بمثله لقصرت إليه من سامي بصره و لتركته يتلجلج لسانه و تضطرم النار في جوفه و لقد استعان منك بغير واف و لجأ إلى غير كاف ثم قام فخرج.و ذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الحجاج لما حاصر ابن الزبير لم يزل يزحف حتى ملك الجبل المعروف بأبي قبيس و قد كان بيد ابن الزبير فكتب

بذلك إلى عبد الملك فلما قرأ كتابه كبر و كبر من كان في داره حتى اتصل التكبير بأهل السوق فكبروا و سأل الناس ما الخبر فقيل لهم إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة و ظفر بأبي قبيس فقال الناس لا نرضى حتى يحمل أبو خبيب إلينا مكبلا على رأسه برنس راكب جمل يطاف به في الأسواق تراه العيون.و ذكر المسعودي أن عمة عبد الملك كانت تحت عروة بن الزبير و أن عبد الملك كتب إلى الحجاج يأمره بالكف عن عروة و ذلك قبل أن يقتل عبد الله و ألا يسوءه إذا ظفر بأخيه في ماله و لا في نفسه قال فلما اشتد الحصار على عبد الله خرج عروة إلى الحجاج فأخذ لعبد الله أمانا و رجع إليه فقال هذا عمرو بن عثمان و خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد و هما فتيا بني أمية يعطيانك أمان عبد الملك ابن عمهما على ما أحدثت أنت و من معك و أن تنزل أي البلاد شئت و لك بذلك عهد الله و ميثاقه فأبى عبد الله قبول ذلك و نهته أمه و قالت لا تموتن إلا كريما فقال لها إني أخاف إن قتلت أن أصلب أو يمثل بي فقالت إن الشاة بعد الذبح لا تحس بالسلخ.و روى المسعودي أن عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية طلب من يؤمره على الكوفة و قد كان أهلها أحبوا أن يليهم غير بني أمية فقال له المختار بن أبي عبيد اطلب رجلا له رفق و علم بما يأتي و تدبر قوله إياها يستخرج لك منها جندا تغلب به أهل الشام فقال أنت لها فبعثه إلى الكوفة فأتاها و أخرج ابن مطيع منها و ابتنى لنفسه دارا و أنفق عليها مالا جليلا و سأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق فلم يفعل فخلعه و جحد بيعته و دعا إلى الطالبيين.

قال المسعودي و أظهر عبد الله بن الزبير الزهد في الدنيا و ملازمة العبادة مع الحرص على الخلافة و شبر بطنه فقال إنما بطني شبر فما عسى أن يسع ذلك الشبر و ظهر عنه شح عظيم على سائر الناس ففي ذلك يقول أبو حمزة مولى آل الزبير:

إن المـــوالي أمســـت و هـــي عاتبـــة علـى الخليفـة تشـكوا الجـوع و الحـربا
مـــا ذا علينـــا و مـــا ذا كـــان يـــرزؤنا أي الملـــوك علـــى مـــا حولنـــا غلبـــا

و قال فيه أيضا:

لـو كـان بطنـك شـبرا قـد شـبعت و قـد أفضـــلت فضـــلا كثـــيرا للمســـاكين
مـــا زلـــت في ســـورة الأعـــراف تدرســـها حـــتى فـــؤادي مثـــل الخـــز في اللـــين

و قال فيه شاعر أيضا لما كانت الحرب بينه و بين الحصين بن نمير قبل أن يموت يزيد بن معاوية:

فيـــا راكبـــا إمـــا عرضـــت فـــبلغن كبـير بـني العـوام إن قيـل مـن تعـني
تخـــبر مـــن لاقيـــت أنـــك عائـــذ و تكثـــر قتلـــى بـــين زمـــزم و الـــركن

و قال الضحاك بن فيروز الديلمي:

تخـــبرنا أن ســـوف تكفيـــك قبضـــة و بطنـــك شـــبر أو أقـــل مـــن الشـــبر
و أنـــت إذا مـــا نلـــت شـــيئا قضـــمته كما قضمت نار الغضا حطب السدر
فلـــو كنـــت تجـــزي أو تثيـــب بنعمـــة قريبـــا لردتـــك العطـــوف علـــى عمـــرو

قال هو عمرو بن الزبير أخوه ضربه عبد الله حتى مات و كان مباينا له.

كان يزيد بن معاوية قد ولى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة فسرح الوليد منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير عليه عمرو بن الزبير فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو و أسلموه فظفر به عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد مجردا و لم يزل يضربه بالسياط حتى مات.و قد رأيت في غير كتاب المسعودي أن عبد الله وجد عمرا عند بعض زوجاته و له في ذلك خبر لا أحب أن أذكره.قال المسعودي ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن مُحَمَّد بن الحنفية في حبس مظلم و أراد قتله فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن و تعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى و بها أبوه مُحَمَّد بن الحنفية.ثم إن عبد الله جمع بني هاشم كلهم في سجن عارم و أراد أن يحرقهم بالنار و جعل في فم الشعب حطبا كثيرا فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فقال أبو عبد الله لأصحابه ويحكم إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بني هاشم فأتى عليهم فانتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريدة فما شعر بهم ابن الزبير إلا و الرايات تخفق بمكة فقصد قصد الشعب فأخرج الهاشميين منه و نادى بشعار مُحَمَّد بن الحنفية و سماه المهدي و هرب ابن الزبير فلاذ بأستار الكعبة فنهاهم مُحَمَّد بن الحنفية عن طلبه

و عن الحرب و قال لا أريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم و اتفقوا علي كلهم و لا حاجة لي في الحرب.قال المسعودي و كان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب و جمعه الحطب ليحرقهم و يقول إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة و لا يختلف المسلمون و أن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار.قال المسعودي و خطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجدلي قبل قدومه بساعتين فقال إن هذا الغلام مُحَمَّد بن الحنفية قد أبى بيعتي و الموعد بيني و بينه أن تغرب الشمس ثم أضرم عليه مكانه نارا فجاء إنسان إلى مُحَمَّد فأخبره بذلك فقال سيمنعه مني حجاب قوي فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس و يرقب غيبوبتها لينظر ما يصنع ابن الزبير فلما كادت تغرب حاست خيل أبي عبد الله الجدلي ديار مكة و جعلت تمعج بين الصفا و المروة و جاء أبو عبد الله الجدلي بنفسه فوقف على فم الشعب و استخرج مُحَمَّدا و نادى بشعاره و استأذنه في قتل ابن الزبير فكره ذلك و لم يأذن فيه و خرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات.

و روى المسعودي عن سعيد بن جبير أن ابن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير إلام تؤنبني و تعنفني

قال ابن عباس إني سمعت رسول الله ص يقول بئس المرء المسلم يشبع و يجوع جاره و أنت ذلك الرجل فقال ابن الزبير و الله إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة و تشاجرا فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فأقام بالطائف حتى مات.و روى أبو الفرج الأصفهاني قال أتى فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير فقال نفدت نفقتي و نقبت ناقتي فقال أحضرنيها فأحضرها فقال أقبل بها أدبر بها ففعل فقال ارقعها بسبت و اخصفها بهلب و أنجد بها يبرد خفها و سر البردين تصح فقال فضالة إني أتيتك مستحملا و لم آتك مستوصفا فلعن الله ناقة حملتني إليك فقال إن و راكبها فقال فضالة:

أقـــول لغلمـــة شـــدوا ركـــابي أجـــاوز بطـــن مكـــة في ســـواد

فمـــا لي حـــين أقطـــع ذات عـــرق إلى ابـــن الكاهليـــة مـــن معـــاد

ســـيبعد بيننـــا نـــص المطـــايا و تعليـــق الأداوي و المـــزاد

و كـــل معبـــد قـــد أعلمتـــه منـــاسمهن طـــلاع النجـــاد

أرى الحاجـــات عنـــد أبي خبيـــب نكـــــدن و لا أميـــــة بالـــــبلاد

مـــن الأعيـــاص أو مـــن آل حـــرب أغـــــر كغـــرة الفـــرس الجـــواد

قال ابن الكاهلية هو عبد الله بن الزبير و الكاهلية هذه هي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى و اسمها زهرة بنت عمرو بن خنثر بن روينة بن هلال من بني كاهل بن أسد بن خزيمة قال فقال عبد الله بن الزبير لما بلغه الشعر علم أنها شر أمهاتي فعيرني بها و هي خير عماته.و روى أبو الفرج قال كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها فذكر لها أن خروجه كان غضبا لله عزوجل و لرسوله ص و للمهاجرين و الأنصار من أثرة معاوية و ابنه بالفيء و سألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يبايعه فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير و عبادته و اجتهاده و أثنت عليه و قالت إنه ليدعو إلى طاعة الله عزوجل و أكثرت القول في ذلك فقال لها ويحك أ ما رأيت البغلات الشهب التي كان يحج معاوية عليها و تقدم إلينا من الشام قالت بلى قال و الله ما يريد ابن الزبير بعبادته غيرهن

٤٦٢

وَ قَالَ ع : مَا لِابْنِ آدَمَ وَ اَلْفَخْرِ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَ آخِرُهُ جِيفَةٌ وَ لاَ يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَ لاَ يَدْفَعُ حَتْفَهُ

قد تقدم كلامنا في الفخر و ذكرنا الشعر الذي أخذ من هذا الكلام و هو قول القائل:

مـــــا بال مـــــن أولـــــه نطفـــــة و جيفـــــة آخـــــره يفخـــــر

يصـــبح مـــا يملـــك تقـــديم مـــا يرجـــو و لا تأخـــير مـــا يحـــذر

فصل في الفخر و ما قيل في النهي عنه

و قال بعض الحكماء الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان و ذلك نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله و انحسر عنه قناع جهله فأعراض الدنيا عارية مستردة لا يؤمن في كل ساعة أن ترتجع و المباهي بها مباه بما في غير ذاته.و قد قال لبعض من فخر بثروته و وفره إن افتخرت بفرسك فالحسن و الفراهة له دونك و إن افتخرت بثيابك و آلاتك فالجمال لهما دونك و إن افتخرت بآبائك

و سلفك فالفضل فيهم لا فيك و لو تكلمت هذه الأشياء لقالت لك هذه محاسننا فما محاسنك.و أيضا فإن الأعراض الدنيوية كما قيل سحابة صيف عن قليل تقشع و ظل زائل عن قريب يضمحل كما قال الشاعر:

إنما الدنيا كرؤيا فرحت من رآها ساعة ثم انقضت

بل كما قال تعالى (إِنَّما مَثَلُ اَلْحَياةِ اَلدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ اَلسَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ اَلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ اَلنَّاسُ وَ اَلْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ اَلْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ اِزَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ) .و إذا كان لا بد من الفخر فليخفر الإنسان بعلمه و بشريف خلقه و إذا أعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك و بقاءه أو بقاءك و فناءه أو فناءكما جميعا و إذا راقك ما هو لك فانظر إلى قرب خروجه من يدك و بعد رجوعه إليك و طول حسابك عليه و قد ذم الله الفخور فقال (وَ اَللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ)

٤٦٣

اَلْغِنَى وَ اَلْفَقْرُ بَعْدَ اَلْعَرْضِ عَلَى اَللَّهِ تَعَالَى أي لا يعد الغني غنيا في الحقيقة إلا من حصل له ثواب الآخرة الذي لا ينقطع أبدا و لا يعد الفقير فقيرا إلا من لم يحصل له ذلك فإنه لا يزال شقيا معذبا و ذاك هو الفقر بالحقيقة.فأما غنى الدنيا و فقرها فأمران عرضيان زوالهما سريع و انقضاؤهما وشيك.و إطلاق هاتين اللفظتين على مسماهما الدنيوي على سبيل المجاز عند أرباب الطريقة أعني العارفين

وَ سُئِلَ عَنْ أَشْعَرِ اَلشُّعَرَاءِ فَقَالَ ع إِنَّ اَلْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ اَلْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا فَإِنْ كَانَ وَ لاَ بُدَّ فَالْمَلِكُ اَلضِّلِّيلُ قال يريد إمرأ القيس

في مجلس علي بن أبي طالب

قرأت في أمالي ابن دريد قال أخبرنا الجرموزي عن ابن المهلبي عن ابن الكلبي عن شداد بن إبراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبري عن ابن عرادة قال كان علي بن أبي طالب ع يعشي الناس في شهر رمضان باللحم و لا يتعشى معهم فإذا فرغوا خطبهم و وعظهم فأفاضوا ليلة في الشعراء و هم على عشائهم فلما فرغوا خطبهم ع و قال في خطبته اعلموا أن ملاك أمركم الدين و عصمتكم التقوى و زينتكم الأدب و حصون أعراضكم الحلم ثم قال قل يا أبا الأسود فيم كنتم تفيضون فيه أي الشعراء أشعر فقال يا أمير المؤمنين الذي يقول:

و لقـــد أغتـــدي يـــدافع ركـــني أعـــوجي ذو ميعـــة إضـــريج

مخلـــــط مزيـــــل معـــــن مفـــــن مـــــنفح مطـــــرح ســـــبوح خـــــروج

يعني أبا دواد الإيادي فقال ع ليس به قالوا فمن يا أمير المؤمنين فقال لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معا علمنا من السابق منهم و لكن إن يكن فالذي لم يقل عن رغبة و لا رهبة قيل من هو يا أمير المؤمنين قال هو الملك الضليل ذو القروح قيل إمرؤ القيس يا أمير المؤمنين قال هو قيل فأخبرنا عن ليلة القدر قال ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها و لست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظرا لكم لأنه لو أعلمكموها عملتم فيها و تركتم غيرها و أرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله انهضوا رحمكم الله.و قال ابن دريد لما فرغ من الخبر إضريج ينبثق في عدوه و قيل واسع الصدر و منفح يخرج الصيد من مواضعه و مطرح يطرح ببصره و خروج سابق.و الغاية بالغين المعجمة الراية قال الشاعر:

و إذا غايـــــة مجـــــد رفعـــــت نهـــض الصـــلت إليهـــا فحواهـــا

و يروى قول الشماخ:

إذا مـــــا رايـــــة رفعـــــت لمجـــــد تلقاهـــــا غرابـــــة باليمـــــين

بالغين و الراء أكثر فأما البيت الأول فبالغين لا غير أنشده الخليل في عروضه و في حديث طويل في الصحيح فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا و الميعة أول جري الفرس و قيل الجري بعد الجري

و أنا أذكر في هذا الموضع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض و أبتدئ في ذلك بما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني قال أبو الفرج الثلاثة المقدمون على الشعراء إمرؤ القيس و زهير و النابغة لا اختلاف في أنهم مقدمون على الشعراء كلهم و إنما اختلف في تقديم بعض الثلاثة على بعض.قال فأخبرني أبو خليفة عن مُحَمَّد بن سلام عن أبي قبيس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال شاعر أهل الجاهلية زهير.قال و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة عن هارون بن عمر عن أيوب بن سويد عن يحيى بن زياد عن عمر بن عبد الله الليثي قال قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية أين عبد الله بن عباس فأتي به فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب ع عنه قال ابن عباس فقلت له أ و لم يعتذر إليك قال بلى قلت فهو ما اعتذر به قال ثم أنشأ يحدثني فقال إن أول من راثكم عن هذا الأمر أبو بكر إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة و النبوة قال أبو الفرج ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فكرهت ذكرها ثم قال يا ابن عباس هل تروي لشاعر الشعراء قلت و من هو قال ويحك شاعر الشعراء الذي يقول:

فلو أن حمدا يخلد الناس خلدوا و لكن حمد الناس ليس بمخلد

فقلت ذاك زهير فقال ذاك شاعر الشعراء قلت و بم كان شاعر الشعراء قال إنه كان لا يعاظل الكلام و يتجنب وحشيه و لا يمدح أحدا إلا بما فيه.قال أبو الفرج و أخبرني أبو خليفة قال ابن سلام و أخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى و كان من أهل العلم أنه كان يقدم زهيرا قال فقلت له أي شعره كان أعجب إليه فقال الذي يقول فيه:

قد جعل المبتغون الخير في هرم و السائلون إلى أبوابه طرقا

قال ابن سلام و أخبرني أبو قيس العنبري و لم أر بدويا يفي به عن عكرمة بن جرير قال قلت لأبي يا أبت من أشعر الناس قال أ عن أهل الجاهلية تسألني أم عن أهل الإسلام قال قلت ما أردت إلا الإسلام فإذا كنت قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها فقال زهير أشعر أهلها قلت فالإسلام قال الفرزدق نبعة الشعر قلت فالأخطل قال يجيد مدح الملوك و يصيب وصف الخمر قلت فما تركت لنفسك قال إني نحرت الشعر نحرا.قال و أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن مُحَمَّد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال سأل معاوية الأحنف عن أشعر الشعراء فقال زهير قال و كيف ذاك قال ألقى على المادحين فضول الكلام و أخذ خالصه و صفوته قال مثل ما ذا قال مثل قوله:

و ما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

و هل ينبت الخطي إلا وشيجه و تغرس إلا في منابتها النخل

قال و أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا

عبد الله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس قال خرجت مع عمر في أول غزاة غزاها فقال لي ليلة يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء قلت من هو قال ابن أبي سلمى قلت و لم صار كذلك قال لأنه لا يتبع حوشي الكلام و لا يعاظل في منطقه و لا يقول إلا ما يعرف و لا يمدح الرجل إلا بما فيه أ ليس هو الذي يقول:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية إلى المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلق مبرز سبوق إلى الغايات غير مزند

قال أي لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسوط.

كفعل جواد يسبق الخيل عفوه السراع و إن يجهد و يجهدن يبعد

فلو كان حمدا يخلد الناس لم تمت و لكن حمد الناس ليس بمخلد

أنشدني له فأنشدته حتى برق الفجر فقال حسبك الآن اقرأ القرآن قلت ما أقرأ قال الواقعة فقرأتها و نزل فأذن و صلى.و قال مُحَمَّد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متنكرا فلما قام الناس و بقي الخواص أراد الحاجب أن يقيمه فأبى أن يقوم فقال سعيد دعه و تذاكروا أيام العرب و أشعارها فلما أسهبوا قال الحطيئة ما صنعتم شيئا فقال سعيد فهل عندك علم من ذلك قال نعم قال فمن أشعر العرب قال الذي يقول

قد جعل المبتغون الخير في هرم و السائلون إلى أبوابه طرقا

قال ثم من قال الذي يقول

فإنـــك شمـــس و الملـــوك كواكـــب إذا طلعـــت لم يبـــد مـــنهن كوكـــب

يعني زهيرا ثم النابغة ثم قال و حسبك بي إذا وضعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت في أثر القوافي كما يعوي الفصيل في أثر أمه قال فمن أنت قال أنا الحطيئة فرحب به سعيد و أمر له بألف دينار.قال و قال من احتج لزهير كان أحسنهم شعرا و أبعدهم من سخف و أجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق و أشدهم مبالغة في المدح و أبعدهم تكلفا و عجرفية و أكثرهم حكمة و مثلا سائرا في شعره.و قد روى ابن عباس عن النبي ص أنه قال أفضل شعرائكم القائل و من من يعني زهيرا و ذلك في قصيدته التي أولها أ من أم أوفى يقول فيها:

و مـــن يـــك ذا فضـــل فيبخـــل بفضـــله علـــى قومـــه يســـتغن عنـــه و يـــذمم

و مـــن لم يـــذد عـــن حوضـــه بســـلاحه يهـــدم و مـــن لا يظلـــم النـــاس يظلـــم

و مـــن هـــاب أســـباب المنـــايا ينلنـــه و لـــو نال أســـباب الســـماء بســـلم

و مـــن يجعـــل المعـــروف مـــن دون عرضـــه يفـــره و مـــن لا يتـــق الشـــتم يشـــتم

فأما القول في النابغة الذبياني فإن أبا الفرج الأصفهاني قال في كتاب الأغاني كنية النابغة أبو أمامة و اسمه زياد بن معاوية و لقب بالنابغة لقوله

فقد نبغت لهم منا شئون

و هو أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم و هو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري و حبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو نعيم قال شريك عن مجالد عن الشعبي عن ربعي بن حراش قال قال لنا عمر يا معشر غطفان من الذي يقول:

أتيتـــــك عـــــاريا خلقـــــا ثيـــــابي علـــى خـــوف تظـــن بي الظنـــون

قلنا النابغة قال ذاك أشعر شعرائكم.قلت قوله أشعر شعرائكم لا يدل على أنه أشعر العرب لأنه جعله أشعر شعراء غطفان فليس كقوله في زهير شاعر الشعراء و لكن أبا الفرج قد روى بعد هذا خبرا آخر صريحا في أن النابغة عند عمر أشعر العرب قال حدثني أحمد و حبيب عن عمر بن شبة قال حدثنا عبيد بن جناد قال حدثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن جده عن الشعبي قال قال عمر يوما من أشعر الشعراء فقيل له أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال من الذي يقول:

إلا ســـليمان إذ قـــال المليـــك لـــه قـــم في البريـــة فاحـــددها عـــن الفنـــد

و خـــيس الجـــن إني قـــد أذنـــت لهـــم يبنـــون تـــدمر بالصـــفاح و العمـــد

قالوا النابغة قال فمن الذي يقول:

أتيتـــــك عـــــاريا خلقـــــا ثيـــــابي علـــــى خـــــوف تظـــــن بي الظنـــــون

قالوا النابغة قال فمن الذي يقول:

حلفـــت فلـــم أتـــرك لنفســـك ريبـــة و لـــــيس وراء الله للمـــــرء مـــــذهب

لـــئن كنـــت قـــد بلغـــت عـــني خيانـــة لمبلغـــك الواشـــي أغـــش و أكـــذب

قالوا النابغة قال فهو أشعر العرب.قال و أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن مُحَمَّد المدائني قال قام رجل إلى ابن عباس فقال له أي الناس أشعر قال أخبره يا أبا الأسود فقال أبو الأسود الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

يعني النابغة.قال أبو الفرج و أخبرني أحمد و حبيب عن عمر عن أبي بكر العليمي عن الأصمعي قال كان يضرب للنابغة قبة أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فأنشده مرة الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم قوم من الشعراء ثم جاءت الخنساء فأنشدته:

و إن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال لو لا أن أبا بصير يعني الأعشى أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الإنس و الجن فقام حسان بن ثابت فقال أنا و الله أشعر منها و من أبيك فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

قال فخنس حسان لقوله.قال و أخبرني أحمد و حبيب عن عمر عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء

قال حدثني رجل سماه أبو عمرو و أنسيته قال بينما نحن نسير بين أنقاء من الأرض فتذاكرنا الشعر فإذا راكب أطيلس يقول أشعر الناس زياد بن معاوية ثم تملس فلم نره.قال و أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول ما ينبغي لزهير إلا أن يكون أجيرا للنابغة.قال أبو الفرج و أخبرنا أحمد عن عمر قال قال عمرو بن المنتشر المرادي وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر من أمر و حلف عليه فقال له عبد الملك ما كنت حريا أن تفعل و لا تعتذر ثم أقبل على أهل الشام فقال أيكم يروي اعتذار النابغة إلى النعمان في قوله:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة و ليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل علي و قال أ ترويه قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها فقال هذا أشعر العرب.قال و أخبرني أحمد و حبيب عن عمر عن معاوية بن بكر الباهلي قال قلت لحماد الراوية لم قدمت النابغة قال لاكتفائك بالبيت الواحد من شعره لا بل بنصف البيت لا بل بربع البيت مثل قوله:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة و ليس وراء الله للمرء مذهب

و لست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

ربع البيت يغنيك عن غيره فلو تمثلت به لم تحتج إلى غيره.قال و أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن هارون بن عبد الله

الزبيري قال حدثني شيخ يكنى أبا داود عن الشعبي قال دخلت على عبد الملك و عنده الأخطل و أنا لا أعرفه و ذلك أول يوم وفدت فيه من العراق على عبد الملك فقلت حين دخلت عامر بن شراحيل الشعبي يا أمير المؤمنين فقال على علم ما أذنا لك فقلت هذه واحدة على وافد أهل العراق يعني أنه أخطأ قال ثم إن عبد الملك سأل الأخطل من أشعر الناس فقال أنا فعجلت و قلت لعبد الملك من هذا يا أمير المؤمنين فتبسم و قال الأخطل فقلت في نفسي اثنتان على وافد أهل العراق فقلت له أشعر منك الذي يقول:

هـــذا غـــلام حســـن وجهـــه مســـتقبل الخـــير ســـريع التمـــام

للحـــارث الأكـــبر و الحـــارث الأصـــغر فـــالأعرج خـــير الأنام

ثم لعمـــرو و لعمـــرو و قـــد أســـرع في الخـــيرات منـــه أمـــام

قال هي أمامة أم عمرو الأصغر بن المنذر بن إمرئ القيس بن النعمان بن الشقيقة:

خمســـة آباء هـــم مـــا هـــم أفضـــل مـــن يشـــرب صـــوب الغمـــام

و الشعر للنابغة فالتفت إلي الأخطل فقال إن أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه و لو سألني عن أشعر أهل الجاهلية كنت حريا أن أقول كما قلت أو شبيها به فقلت في نفسي ثلاث على وافد أهل العراق.قال أبو الفرج و قد وجدت هذا الخبر أتم من هذه الرواية ذكره أحمد بن الحارث الخراز في كتابه عن المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج أنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا و قد أصبت منه و لم يبق

عندي شيء ألذ من مناقلة الإخوان الحديث و قبلك عامر الشعبي فابعث به إلي فدعا الحجاج الشعبي فجهزه و بعث به إليه و قرظه و أطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي قال من أنت قال أنا عامر الشعبي قال يرحمك الله قال ثم نهض فأجلسني على كرسيه فلم يلبث أن خرج إلي فقال ادخل يرحمك الله فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي و بين يديه رجل أبيض الرأس و اللحية جالس على كرسي فسلمت فرد علي السلام فأومأ إلي بقضيبه فجلست عن يساره ثم أقبل على ذلك الإنسان الذي بين يديه فقال له من أشعر الناس فقال أنا يا أمير المؤمنين قال الشعبي فأظلم ما بيني و بين عبد الملك فلم أصبر أن قلت و من هذا الذي يزعم أنه أشعر الناس يا أمير المؤمنين فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي فقال هذا الأخطل فقلت يا أخطل أشعر و الله منك الذي يقول:

هـــــذا غـــــلام حســـــن وجهـــــه مســـــتقبل الخـــــير ســـــريع التمـــــام

الأبيات...

قال فاستحسنها عبد الملك ثم رددتها عليه حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا الشعبي فقال و الجيلون ما استعذت بالله من شر إلا من هذا أي و الإنجيل صدق و الله يا أمير المؤمنين النابغة أشعر مني قال الشعبي فأقبل عبد الملك حينئذ علي فقال كيف أنت يا شعبي قلت بخير يا أمير المؤمنين فلا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذير لما كان من خلافي مع ابن الأشعث على الحجاج فقال مه إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق و لا تراه منا في قول و لا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل علي فقال ما تقول في النابغة قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب

في غير موطن على جميع الشعراء ثم أنشدته الشعر الذي كان عمر يعجب به من شعره و قد تقدم ذكره قال فأقبل عبد الملك على الأخطل فقال له أ تحب أن لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب أم تحب أنك قلته قال لا و الله يا أمير المؤمنين إلا أني وددت أني كنت قلت أبياتا قالها رجل منا ثم أنشده قول القطامي:

إنا محيـــوك فاســـلم أيهـــا الطلـــل و إن بليـت و إن طالـت بـك الطيـل
لـــيس الجديـــد بـــه تبقـــى بشاشـــته إلا قلـــيلا و لا ذو خلـــة يصـــل
و العـيش لا عـيش إلا مـا تقـر بـه عـين و لا حـال إلا سـوف تنتقـل
إن ترجعـي مـن أبي عثمـان منجحـة فقـد يهـون علـى المسـتنجح العمـل
و النـاس مـن يلـق خـيرا قـائلون لـه مـا يشـتهي و لأم المخطـئ الهبـل
قـد يـدرك المتـأني بعـض حاجتـه و قـد يكـون مـع المسـتعجل الزلـل

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال و ما قال قلت قال:

طرقـت جنـوب رحالنـا مـن مطـرق مـا كنـت أحسـبها قريـب المعنـق

إلى آخرها فقال عبد الملك ثكلت القطامي أمه هذا و الله الشعر قال فالتفت إلى الأخطل فقال يا شعبي إن لك فنونا في الأحاديث و إنما لي فن واحد فإن رأيت ألا تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حرضا فقلت لا أعرض لك في شيء من الشعر أبدا فأقلني هذه المرة فقال من يتكفل بك قلت

أمير المؤمنين فقال عبد الملك هو علي أنه لا يعرض لك أبدا ثم قال عبد الملك يا شعبي أي نساء الجاهلية أشعر قلت الخنساء قال و لم فضلتها على غيرها قلت لقولها:

و قائلة و النعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا هبلت أم الذين غدوا به إلى القبر ما ذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك أشعر منها و الله التي تقول:

مهفهف أهضم الكشحين منخرق عنه القميص بسير الليل محتقر

لا يأمن الدهر ممساه و مصبحه من كل أوب و إن يغز ينتظر

قال ثم تبسم عبد الملك و قال لا يشقن عليك يا شعبي فإنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام و يقولون إن كان غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم و الرواية و أهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ثم ردد علي أبيات ليلى حتى حفظتها ثم لم أزل عنده أول داخل و آخر خارج فكنت كذلك سنين و جعلني في ألفين من العطاء و جعل عشرين رجلا من ولدي و أهل بيتي في ألف ألف ثم بعثني إلى أخيه عبد العزيز بمصر و كتب إليه يا أخي قد بعثت إليك بالشعبي فانظر هل رأيت قط مثله.قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أوس بن حجر إن أبا عبيدة قال كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة قال و قد ذكر الأصمعي أنه سمع أبا عمرو بن العلاء يقول كان أوس بن حجر فحل العرب فلما نشأ النابغة طأطأ منه.و قال مُحَمَّد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء و قال من احتج للنابغة كان أحسنهم

ديباجة شعر و أكثرهم رونق كلام و أجزلهم بيتا كأن شعره كلام ليس بتكلف و المنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر لأن الشاعر يحتاج إلى البناء و العروض و القوافي و المتكلم مطلق يتخير الكلام كيف شاء قالوا و النابغة نبغ بالشعر بعد أن احتنك و هلك قبل أن يهتر.قلت و كان أبو جعفر يحيى بن مُحَمَّد بن أبي زيد العلوي البصري يفضل النابغة و استقرأني يوما و بيدي ديوان النابغة قصيدته التي يمدح بها النعمان بن المنذر و يذكر مرضه و يعتذر إليه مما كان اتهم به و قذفه به أعداؤه و أولها:

كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا و همين هما مستكنا و ظاهرا

أحاديث نفس تشتكي ما يريبها و ورد هموم لو يجدن مصادرا

تكلفني أن يغفل الدهر همها و هل وجدت قبلي على الدهر ناصرا

يقول هذه النفس تكلفني ألا يحدث لها الدهر هما و لا حزنا و ذلك مما لم يستطعه أحد قبلي.

أ لم تر خير الناس أصبح نعشه على فتية قد جاوز الحي سائرا

كان الملك منهم إذا مرض حمل على نعش و طيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة و الخورنق و النجف ينزهونه.

و نحن لديه نسأل الله خلده يرد لنا ملكا و للأرض عامرا

و نحن نرجي الخير إن فاز قدحنا و نرهب قدح الدهر إن جاء قامرا

لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا و أصبح جد الناس بعدك عاثرا

و ردت مطايا الراغبين و عريت جيادك لا يخفي لها الدهر حافرا

رأيتـــك ترعـــاني بعـــين بصـــيرة و تبعـــث حراســـا علـــي و ناظـــرا
و ذلـــك مـــن قـــول أتاك أقولـــه و مـــن دس أعـــداء إليـــك المـــآبرا
فآليـــت لا آتيـــك إن كنـــت مجرمـــا و لا أبتغـــي جـــارا ســـواك مجـــاورا

أي لا آتيك حتى يثبت عندك أني غير مجرم.

فـــأهلي فـــداء لامـــرئ إن أتيتـــه تقبـــل معـــروفي و ســـد المفـــاقرا
ســـأربط كلـــبي إن يريـــك نبحـــه و إن كنـــت أرعـــى مســـحلان و حـــامرا

أي سأمسك لساني عن هجائك و إن كنت بالشام في هذين الواديين البعيدين عنك.

و حلـــت بيـــوتي في يفـــاع ممنـــع تخـــال بـــه راعـــي الحمولـــة طـــائرا
تـــزل الوعـــول العصـــم عـــن قذفاتـــه و يضـــحي ذراه بالســـحاب كـــوافرا
حـــذارا علـــى ألا تنـــال مقـــادتي و لا نســـوتي حـــتى يمـــتن حرائـــرا

يقول أنا لا أهجرك و إن كنت من المنعة و العصمة على هذه الصفة.

أقـــول و قـــد شـــطت بي الـــدار عـــنكم إذا مـــا لقيـــت مـــن معـــد مســـافرا
ألا أبلـــغ النعمـــان حيـــث لقيتـــه فأهـــدى لـــه الله الغيـــوث البـــواكرا
و أصـــبحه فلجـــا و لا زال كعبـــه على كـــل مـــن عـــادى مـــن النـــاس ظـــاهرا
و رب عليـــه الله أحســـن صـــنعه و كـــان علـــى كـــل المعـــادين ناصـــرا

فجعل أبو جعفر ﷺ يهتز و يطرب ثم قال و الله لو مزجت هذه القصيدة بشعر البحتري لكادت تمتزج لسهولتها و سلامة ألفاظها و ما عليها من الديباجة و الرونق من يقول إن إمرأ القيس و زهيرا أشعر من هذا هلموا فليحاكموني.

فأما إمرؤ القيس بن حجر فقال مُحَمَّد بن سلام الجمحي في كتاب طبقات الشعراء أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمونه على الشعراء كلهم و أن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى و أن أهل الحجاز و البادية يقدمون زهيرا و النابغة.قال ابن سلام فالطبقة الأولى إذن أربعة قال و أخبرني شعيب بن صخر عن هارون بن إبراهيم قال سمعت قائلا يقول للفرزدق من أشعر الناس يا أبا فراس فقال ذو القروح يعني إمرأ القيس قال حين يقول ما ذا قال حين يقول:

وقـــاهم جـــدهم ببـــني أبـــيهم و بالأشـــقين مـــا كـــان العقـــاب

قال و أخبرني أبان بن عثمان البجلي قال مر لبيد بالكوفة في بني نهد فأتبعوه رسول يسأله من أشعر الناس فقال الملك الضليل فأعادوه إليه فقال ثم من فقال الغلام القتيل يعنى طرفة بن العبد و قال غير أبان قال ثم ابن العشرين قال ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعني نفسه.قال ابن سلام و احتج لإمرئ القيس من يقدمه فقال إنه ليس قال ما لم يقولوه و لكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب فاتبعه فيها الشعراء منها استيقاف صحبه و البكاء في الديار و رقة النسيب و قرب المأخذ و تشبيه النساء بالظباء و بالبيض و تشبيه الخيل بالعقبان و العصي و قيد الأوابد و أجاد في النسيب و فصل بين النسيب و بين المعنى و كان أحسن الطبقة تشبيها.قال و حدثني معلم لبني داود بن علي قال بينا أنا أسير في البادية إذا أنا برجل على ظليم قد زمه و خطمة و هو يقول

هـــــل يبلغنـــــيهم إلى الصـــــباح هقـــــل كـــــأن رأســـــه جمـــــاح

قال فما زال يذهب به ظليمه و يجيء حتى أنست به و علمت أنه ليس بإنسي فقلت يا هذا من أشعر العرب فقال الذي يقول:

أ غـــرك مـــني أن حبـــك قـــاتلي و أنـــك مهمـــا تأمـــري القلـــب يفعـــل

يعني إمرأ القيس قلت ثم من قال الذي يقول:

و يـــــبرد بـــــرد رداء العـــــروس بالصـــــيف رقرقـــــت فيـــــه العبـــــيرا

و يســـــخن ليلـــــة لا يســـــتطيع نباحـــــا بهـــــا الكلـــــب إلا هريـــــرا

ثم ذهب به ظليمه فلم أره.قال و حدث عوانة عن الحسن أن رسول الله ص قال لحسان بن ثابت من أشعر العرب قال الزرق العيون من بني قيس قال لست أسألك عن القبيلة إنما أسألك عن رجل واحد فقال حسان يا رسول الله إن مثل الشعراء و الشعر كمثل ناقة نحرت فجاء إمرؤ القيس بن حجر فأخذ سنامها و أطائبها ثم جاء المتجاوران من الأوس و الخزرج فأخذا ما والى ذلك منها ثم جعلت العرب تمزعها حتى إذا بقي الفرث و الدم جاء عمرو بن تميم و النمر بن قاسط فأخذاه

فقال رسول الله ص ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها خامل يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار.فأما الأعشى فقد احتج أصحابه لتفضيله بأنه كان أكثرهم عروضا و أذهبهم في فنون الشعر و أكثرهم قصيدة طويلة جيدة و أكثرهم مدحا و هجاء و كان أول من سأل

بشعره و إن لم يكن له بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه الثلاثة.و قد سئل خلف الأحمر من أشعر الناس فقال ما ينتهى إلى واحد يجمع عليه كما لا ينتهى إلى واحد هو أشجع الناس و لا أخطب الناس و لا أجمل الناس فقيل له يا أبا محرز فأيهم أعجب إليك فقال الأعشى كان أجمعهم.قال ابن سلام و كان أبو الخطاب الأخفش مستهترا به يقدمه و كان أبو عمرو بن العلاء يقول مثله مثل البازي يضرب كبير الطير و صغيره و يقول نظيره في الإسلام جرير و نظير النابغة الأخطل و نظير زهير الفرزدق.فأما قول أمير المؤمنين ع الملك الضليل فإنما سمي إمرؤ القيس ضليلا لما يعلن به في شعره من الفسق و الضليل الكثير الضلال كالشريب و الخمير و السكير و الفسيق للكثير الشرب و إدمان الخمر و السكر و الفسق فمن ذلك قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت و مرضعا فألهيتها عن ذي تمائم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق و تحتي شقها لم يحول

و قوله:

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

فقالت لحاك الله إنك فاضحي أ لست ترى السمار و الناس أحوالي

فقلت لها تالله أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسي لديك و أوصالي

فلمـــا تنازعنـــا الحـــديث و أسمحـــت هصـــرت بغصـــن ذي شمـــاريخ ميـــال
فصـــرنا إلى الحســـنى و رق كلامنـــا و رضـــت فـــذلت صـــعبة أي إذلال
حلفـــت لهـــا بالله حلفـــة فـــاجر لنـاموا فمـا إن مـن حـديث و لا صـالي
فأصـبحت معشـوقا و أصـبح بعلهـا عليـه القتـام كاسـف الوجـه و البـال

و قوله في اللامية الأولى:

و بيضـــة خـــدر لا يـــرام خباؤهـــا تمتعـــت مـــن لهـــو بهـــا غـــير معجـــل
تخطيـــت أبـــوابا إليهـــا و معشـــرا علـــي حراصـــا لـــو يســـرون مقتلـــي
فجئـــت و قـــد نضـــت لنـــوم ثيابهـــا لـــدى الســـتر إلا لبســـة المتفضـــل
فقالـــت يمـــين الله مـــا لـــك حيلـــة و مـــا إن أرى عنـــك الغوايـــة تنجلـــي
فقمـــت بهـــا أمشـــي نجـــر وراءنا علـــى إثـــرنا أذيال مـــرط مرجـــل
فلمـــا أجـــزنا ســـاحة الحـــي و انتحـــى بنـــا بطـــن خبـــت ذي حقـــاف عقنقـــل
هصـــرت بفـــودي رأســـها فتمايلـــت علـــي هضـــيم الكشـــح ريا المخلخـــل

و قوله:

فبـــت أكابـــد ليـــل التمـــام و القلـــب مـــن خشـــية مقشـــعر
فلمـــا دنـــوت تســـديتها فثـــوبا نســـيت و ثـــوابا أجـــر
و لم يـــرنا كـــالئ كاشـــح و لم يبـــد منـــا لـــدى البيـــت ســـر
و قـــد رابـــني قولهـــا يا هنـــاه ويحـــك ألحقـــت شـــرا بشـــر

و قوله:

تقــول و قــد جردتهــا مــن ثيابهــا كمــا رعــت مكحــول المــدامع أتلعــا
لعمــرك لــو شــيء أتانا رســوله ســواك و لكــن لم نجــد لــك مــدفعا
فبتنــا نصــد الــوحش عنــا كأننــا قتــيلان لم يعلــم لنــا النــاس مصــرعا
تجــافى عــن المــأثور بيــني و بينهــا و تــدني علــي الســابري المضــلعا

و في شعر إمرئ القيس من هذا الفن كثير فمن أراده فليطلبه من مجموع شعره

٤٦٥

وَ قَالَ ع : أَلاَ حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اَللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ اَلْجَنَّةَ فَلاَ تَبِيعُوهَا إِلاَّ بِهَا اللماظة بفتح اللام ما تبقى في الفم من الطعام قال يصف الدنيا

لماظة أيام كأحلام نائم

و لمظ الرجل يلمظ بالضم لمظا إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه و أخرج لسانه فمسح به شفتيه و كذلك التلمظ يقال تلمظت الحية إذا أخرجت لسانها كما يتلمظ الآكل.و قال ألا حر مبتدأ و خبره محذوف أي في الوجود و ألا حرف قال:

ألا رجل جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبيت

ثم قال إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها من الناس من يبيع نفسه بالدراهم و الدنانير و من الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء و أهونها و يتبع هواه فيهلك و هؤلاء في الحقيقة أحمق الناس إلا أنه قد رين على القلوب فغطتها الذنوب و أظلمت الأنفس بالجهل و سوء العادة و طال الأمد أيضا على القلوب فقست و لو أفكر الإنسان حق الفكر لما باع نفسه إلا بالجنة لا غير

٤٦٦

وَ قَالَ ع : مَنْهُومَانِ لاَ يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَ طَالِبُ دُنْيَا تقول نهم فلان بكذا فهو منهوم أي مولع به و هذه الكلمة

مروية عن النبي ص منهومان لا يشبعان منهوم بالمال و منهوم بالعلم و النهم بالفتح إفراط الشهوة في الطعام تقول منه نهمت إلى الطعام بكسر الهاء أنهم فأنا نهم و كان في القرآن آية أنزلت ثم رفعت لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا و لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب.فأما طالب العلم العاشق له فإنه لا يشبع منه أبدا و كلما استكثر منه زاد عشقه له و تهالكه عليه مات أبو عثمان الجاحظ و الكتاب على صدره.و كان شيخنا أبو علي ﷺ في النزع و هو يملي على ابنه أبي هاشم مسائل في علم الكلام و كان القاضي أحمد بن أبي دواد يأخذ الكتاب في خفه و هو راكب فإذا جلس في دار الخليفة اشتغل بالنظر فيه إلى أن يجلس الخليفة و يدخل إليه و قيل ما فارق ابن أبي دواد الكتاب قط إلا في الخلاء و أعرف أنا في زماننا من مكث نحو خمس سنين لا ينام إلا وقت السحر صيفا و شتاء مكبا على كتاب صنفه و كانت وسادته التي ينام عليها الكتاب

٤٦٧

وَ قَالَ ع : عَلاَمَةُ اَلْإِيمَانِ اَلْإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ اَلصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى اَلْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ وَ أَلاَّ يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ عَمَلِكَ وَ أَنْ تَتَّقِيَ اَللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ قد أخذ المعنى الأول القائل:

عليـــــك بالصـــــدق و لـــــو أنـــــه أحرقـــــك الصـــــدق بنـــــار الوعيـــــد

و ينبغي أن يكون هذا الحكم مقيدا لا مطلقا لأنه إذا أضر الصدق ضررا عظيما يؤدي إلى تلف النفس أو إلى قطع بعض الأعضاء لم يجز فعله صريحا و وجبت المعاريض حينئذ.فإن قلت فالمعاريض صدق أيضا فالكلام على إطلاقه قلت هي صدق في ذاتها و لكن مستعملها لم يصدق فيما سئل عنه و لا كذب أيضا لأنه لم يخبر عنه و إنما أخبر عن شيء آخر و هي المعاريض و التارك للخبر لا يكون صادقا و لا كاذبا فوجب أن يقيد إطلاق الخبر بما إذا كان الضرر غير عظيم و كانت نتيجة الصدق أعظم نفعا من تلك المضرة.قال ع و ألا يكون في حديث فضل عن علمك متى زاد منطق الرجل على علمه فقد لغا و ظهر نقصه و الفاضل من كان علمه أكثر من منطقه قوله و إن تتقي الله في حديث غيرك أي في نقله و روايته فترويه كما سمعته من غير تحريف

٤٦٨

وَ قَالَ ع : يَغْلِبُ اَلْمِقْدَارُ عَلَى اَلتَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ اَلْآفَةُ فِي اَلتَّدْبِيرِ قال و قد مضى هذا المعنى فيما تقدم برواية تخالف بعض هذه الألفاظ قد تقدم هذا المعنى و هو كثير جدا و من جيده قول الشاعر:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه و لكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى تبلغ النفس عذرها و قلقل يبغي العز كل مقلقل

و قال أبو تمام:

و ركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها و الليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره و ليس عليهم أن تتم عواقبه

و قال آخر:

فإن بين حيطانا عليه فإنما أولئك عقالاته لا معاقله

٤٦٩

وَ قَالَ ع : اَلْحِلْمُ وَ اَلْأَنَاةُ تَوْأَمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ اَلْهِمَّةِ قد تقدم هذا المعنى و شرحه مرارا.و قال ابن هانئ:

و كـــل أناة في المـــواطن ســـؤدد و لا كـــأناة مـــن تـــدبر محكـــم

و مـــن يتبـــين أن للســـيف موضـــعا مـن الصـفح يصـفح عـن كثـير و يحلـم

و قال أرباب المعاني علمنا الله تعالى فضيلة الأناة بما حكاه عن سليمان (سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِـنَ اَلْكاذِبِـينَ) .و كان يقال الأناة حصن السلامة و العجلة مفتاح الندامة.و كان يقال التأني مع الخيبة خير من التهور مع النجاح.و قال الشاعر:

الرفـــق يمـــن و الأناة ســـعادة فتـــأن في أمـــر تـــلاق نجاحـــا

و قال من كره الأناة و ذمها لو كانت الأناة محمودة و العجلة مذمومة لما قال موسى لربه (وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضى).

و أنشدوا:

عيب الأناة و إن سرت عواقبها أن لا خلود و أن ليس الفتى حجرا

و قال آخر:

كم من مضيع فرصة قد أمكنت لغد و ليس له غد بمواتي

حتى إذا فاتت و فات طلابها ذهبت عليها نفسه حسرات

٤٧٠

وَ قَالَ ع : اَلْغِيبَةُ جُهْدُ اَلْعَاجِزِ قد تقدم كلامنا في الغيبة مستقصى.و قيل للأحنف من أشرف الناس قال من إذا حضر هابوه و إذا غاب اغتابوه.و قال الشاعر:

و يغتابني من لو كفاني اغتيابه لكنت له العين البصيرة و الأذنا

و عندي من الأشياء ما لو ذكرتها إذا قرع المغتاب من ندم سنا

و قد نظمت أنا كلمة الأحنف فقلت:

أكل عرضي إن غبت ذما فإن أبت فمدح و رهبة و سجود

هكذا يفعل الجبان شجاع حين يخلو و في الوغى رعديد

لك مني حالان في عينك الجنة حسنا و في الفؤاد وقود

٤٧١

وَ قَالَ ع : رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ اَلْقَوْلِ فِيهِ طالما فتن الناس بثناء الناس عليهم فيقصر العالم في اكتساب العلم اتكالا على ثناء الناس عليه و يقصر العابد في العبادة اتكالا على ثناء الناس عليه و يقول كل واحد منهما إنما أردت ما اشتهرت به للصيت و قد حصل فلما ذا أتكلف الزيادة و أعاني التعب و أيضا فإن ثناء الناس على الإنسان يقتضي اعتراء العجب له و إعجاب المرء بنفسه مهلك.و اعلم أن الرضي ﷺ قطع كتاب نهج البلاغة على هذا الفصل و هكذا وجدت النسخة بخطه و قال هذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المنتزع من كلام أمير المؤمنين ع حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه و تقريب ما بعد من أقطاره مقررين العزم كما شرطنا أولا على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب لتكون لاقتناص الشارد و استلحاق الوارد و ما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض و يقع إلينا بعد الشذوذ و ما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا و هو حسبنا و نعم الوكيل نعم المولى و نعم النصير.ثم وجدنا نسخا كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام قيل إنها وجدت في نسخة كتبت في حياة الرضي ﷺ و قرئت عليه فأمضاها و أذن في إلحاقها بالكتاب نحن نذكرها

٤٧٢

وَ قَالَ ع : اَلدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَ لَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا قال أبو العلاء المعري مع ما كان يرمى به في هذا المعنى ما يطابق إرادة أمير المؤمنين ع بلفظه هذا:

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد

إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد

٤٧٣

وَ قَالَ ع : إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ وَ لَوْ قَدِ اِخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمُ اَلضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ قال الرضي ﷺ تعالى و هذا من أفصح الكلام و أغربه و المرود هاهنا مفعل من الإرواد و هو الإمهال و الإنظار فكأنه ع شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها هذا إخبار عن غيب صريح لأن بني أمية لم يزل ملكهم منتظما لما لم يكن بينهم اختلاف و إنما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية في صفين و حرب يزيد أهل المدينة و ابن الزبير بمكة و حرب مروان الضحاك و حرب عبد الملك ابن الأشعث و ابن الزبير و حرب يزيد ابنه بني المهلب و حرب هشام زيد بن علي فلما ولي الوليد بن يزيد و خرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد و قتله اختلف بنو أمية فيما بينهما و جاء الوعد و صدق من وعد به فإنه منذ قتل الوليد دعت دعاة بني العباس بخراسان و أقبل

مروان بن مُحَمَّد من الجزيرة يطلب الخلافة فخلع إبراهيم بن الوليد و قتل قوما من بني أمية و اضطرب أمر الملك و انتشر و أقبلت الدولة الهاشمية و نمت و زال ملك بني أمية و كان زوال ملكهم على يد أبي مسلم و كان في بدايته أضعف خلق الله و أعظمهم فقرا و مسكنة و في ذلك تصديق قوله ع ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم

٤٧٤

وَ قَالَ ع فِي مَدْحِ اَلْأَنْصَارِ هُمْ وَ اَللَّهِ رَبَّوُا اَلْإِسْلاَمَ كَمَا يُرَبَّى اَلْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِم بِأَيْدِيهِمُ اَلسِّبَاطِ وَ أَلْسِنَتِهِمُ اَلسِّلاَطِ الفلو المهر و يروى بأيديهم البساط أي الباسطة و الأولى جمع سبط يعني السماح و قد يقال للحاذق بالطعن إنه لسبط اليدين يريد الثقافة و ألسنتهم السلاط يعني الفصيحة.و قد تقدم القول في مدح الأنصار و لو لم يكن إلا

قول رسول الله ص فيهم إنكم لتكثرون عند الفزع و تقلون عند الطمع و لو لم يكن إلا ما قاله لعامر بن الطفيل فيهم لما قال له لأغزونك في كذا و كذا من الخيل يتوعده

فقال ع يكفي الله ذلك و أبناء قيلة لكان فخرا لهم و هذا عظيم جدا و فوق العظيم و لا ريب أنهم الذين أيد الله بهم الدين و أظهر بهم الإسلام بعد خفائه و لولاهم لعجز المهاجرون عن حرب قريش و العرب و عن حماية رسول الله ص و لو لا مدينتهم لم يكن للإسلام ظهر يلجئون عليه و يكفيهم فخرا يوم حمراء الأسد

يوم خرج بهم رسول الله ص إلى قريش بعد انكسار أصحابه و قتل من قتل منهم و خرجوا نحو القوم و الجراح فيهم فاشية و دماؤهم تسيل و إنهم مع ذلك كالأسد الغراث تتواثب على فرائسها و كم لهم من يوم أغر محجل و قالت الأنصار لو لا علي بن أبي طالب ع في المهاجرين لأبينا لأنفسنا أن يذكر المهاجرون معنا أو أن يقرنوا بنا و لكن رب واحد كألف بل كألوف.و قد تقدم ذكر الشعر المنسوب إلى الوزير المغربي و ما طعن به القادر بالله الخليفة العباسي في دينه بطريقه و كان الوزير المغربي يتبرأ منه و يجحده و قيل إنه وجدت مسودة بخطه فرفعت إلى القادر بالله.و مما وجد بخطه أيضا و كان شديد العصبية للأنصار و لقحطان قاطبة على عدنان و كان ينتمي إلى الأزد أزد شنوءة قوله:

إن الـــذي أرســـى دعـــائم أحمـــد و عـــلا بدعوتـــه علـــى كيـــوان
أبنـــاء قيلـــة وارثـــو شـــرف العـــلا و عراعـــر الأقيـــال مـــن قحطـــان
بســـيوفهم يـــوم الـــوغى و أكفهـــم ضـــربت مصـــاعب ملكـــه بجـــران
لـــو لا مصـــارعهم و صـــدق قـــراعهم خـــرت عـــروش الـــدين للأذقـــان
فليشـــكرن مُحَمَّد أســـياف مـــن لـــولاه كـــان كخالـــد بـــن ســـنان

و هذا إفراط قبيح و لفظ شنيع و الواجب أن يصان قدر النبوة عنه و خصوصا البيت الأخير فإنه قد أساء فيه الأدب و قال ما لا يجوز قوله و خالد بن سنان كان من بني عبس بن بغيض من قيس عيلان ادعى النبوة و قيل إنه كانت تظهر عليه آيات و معجزات ثم مات و انقرض دينه و دثرت دعوته و لم يبق إلا اسمه و ليس يعرفه كل الناس بل البعض منهم

٤٧٥

وَ قَالَ ع : اَلْعَيْنُ وِكَاءُ اَلسَّتَهِ اَلسَّهِ قال الرضي ﷺ تعالى و هذه من الاستعارات العجيبة كأنه شبه السته بالوعاء و العين بالوكاء فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء و هذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي ص و قد رواه قوم لأمير المؤمنين ع و ذكر ذلك المبرد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف قال الرضي و قد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية المعروف أن هذا من كلام رسول الله ص ذكره المحدثون في كتبهم و أصحاب غريب الحديث في تصانيفهم و أهل الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللغوية و لعل المبرد اشتبه عليه فنسبه إلى أمير المؤمنين ع و الرواية بلفظ التثنية

العينان وكاء السته و السته الاست.

و قد جاء في تمام الخبر

في بعض الروايات فإذا نامت العينان استطلق الوكاء و الوكاء رباط القربة فجعل العينين وكاء و المراد اليقظة للسته كالوكاء للقربة و منه

الحديث في اللقطة احفظ عفاصها و وكاءها و عرفها سنة فإن جاء صاحبها و إلا فشأنك بها و العفاص السداد و الوكاء السداد و هذه من الكنايات اللطيفة

فصل في ألفاظ الكنايات و ذكر الشواهد عليها

و قد كنا قدمنا قطعة صالحة من الكنايات المستحسنة و وعدنا أن نعاود ذكر طرف منها و هذا الموضع موضعه فمن الكناية عن الحدث الخارج و هو الذي كنى عنه أمير المؤمنين ع أو رسول الله ص الكناية التي ذكرها يحيى بن زياد في شعره قيل إن يحيى بن زياد و مطيع بن إياس و حمادا الراوية جلسوا على شرب لهم و معهم رجل منهم فانحل وكاؤه فاستحيا و خرج و لم يعد إليهم فكتب إليه يحيى بن زياد:

أ مــن قلــوص غــدت لم يؤذهــا أحــد إلا تـــــذكرها بالرمـــــل أوطـــــانا

خــان العقــال لهــا فانبــت إذ نفــرت و إنمــا الــذنب فيهــا للــذي خــانا

منحتنـــا منـــك هجـــرانا و مقليـــة و لم تــزرنا كمــا قــد كنــت تغشــانا

خفــض عليــك فمــا في النــاس ذو إبــل إلا و أينقـــــه يشـــــردن أحيـــــانا

و ليس هذا الكتاب أهلا أن يضمن حكاية سخيفة أو نادرة خليعة فنذكر فيه ما جاء في هذا المعنى و إنما جرأنا على ذكر هذه الحكاية خاصة كناية أمير المؤمنين ع أو رسول الله ص عنها و لكنا نذكر كنايات كثيرة في غير هذا المعنى مستحسنة ينتفع القارئ بالوقوف عليها.

يقال فلان من قوم موسى إذا كان ملولا إشارة إلى قوله تعالى (وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَـنْ نَصْـبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ) .قال الشاعر:

فيـــا مـــن لـــيس يكفيـــه صـــديق و لا ألفـــا صـــديق كـــل عـــام

أظنـــك مـــن بقـــايا قـــوم موســـى فهـــم لا يصـــبرون علـــى طعـــام

و قال العباس بن الأحنف:

كتبـــت تلـــوم و تســـتريث زيارتي و تقـــول لســـت لنـــا كعهـــد العاهـــد

فأجبتهـــا و دمـــوع عيـــني ســـجم تجـــري علـــى الخـــدين غـــير جوامـــد

يا فـــــوز لم أهجـــــركم لملالـــــة عرضـــت و لا لمقـــال واش حاســـد

لكنـــــني جـــــربتكم فوجـــــدتكم لا تصـــبرون علـــى طعـــام واحـــد

و يقولون للجارية الحسناء قد أبقت من رضوان قال الشاعر:

جســـت العـــود بالبنـــان الحســـان و تثنـــت كأنهـــا غصـــن بان

فســـجدنا لهـــا جميعـــا و قلنـــا إذ شـــجتنا بالحســـن و الإحســـان

حـــاش لله أن تكـــوني مـــن الإنـــس و لكـــن أبقـــت مـــن رضـــوان

و يقولون للمكشوف الأمر الواضح الحال ابن جلا و هو كناية عن الصبح و منه ما تمثل به الحجاج:

أنا ابـــن جـــلا و طـــلاع الثنـــايا مـــتى أضـــع العمامـــة تعرفـــوني

و منه قول القلاخ بن حزن

أنا القلاخ بن القلاخ ابن جلا.و منه قولهم فلان قائد الجمل لأنه لا يخفى لعظم الجمل و كبر جثته و في المثل ما استتر من قاد جملا و قالوا كفى برغائها نداء و مثل هذا قولهم ما يوم حليمة بسر يقال ذلك في الأمر المشهور الذي لا يستر و يوم حليمة يوم التقى المنذر الأكبر و الحارث الغساني الأكبر و هو أشهر أيام العرب يقال إنه ارتفع من العجاج ما ظهرت معه الكواكب نهارا و حليمة اسم امرأة أضيف اليوم إليها لأنها أخرجت إلى المعركة مراكن الطيب فكانت تطيب بها الداخلين إلى القتال فقاتلوا حتى تفانوا.و يقولون في الكناية عن الشيخ الضعيف قائد الحمار و إشارة إلى ما أنشده الأصمعي:

آتي النـــدي فـــلا يقـــرب مجلســـي و أقـــود للشـــرف الرفيـــع حمـــاري

أي أقوده من الكبر إلى موضع مرتفع لأركبه لضعفي و مثل ذلك كنايتهم عن الشيخ الضعيف بالعاجن لأنه إذا قام عجن في الأرض بكفيه قال الشاعر:

فأصـبحت كنتيـا و أصـبحت عاجنـا و شـر خصـال المـرء كنـت و عـاجن

قالوا الكنتي الذي يقول كنت أفعل كذا و كنت أركب الخيل يتذكر ما مضى من زمانه و لا يكون ذلك إلا عند الهرم أو الفقر و العجز.و مثله قولهم للشيخ راكع قال لبيد:

أخـبر أخبـار القـرون الـتي مضـت أدب كـأني كلمـا قمـت راكـع

و الركوع هو التطأطؤ و الانحناء بعد الاعتدال و الاستواء و يقال للإنسان إذا انتقل من الثروة إلى الفقر قد ركع قال:

لا تهـين الفقـير علـك أن تركـع يومـا و الـدهر قـد رفعـه

و في هذا المعنى قال الشاعر.

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه يوما فتدركه الحوادث قد نما

يجزيك أو يثني عليك و إن من يثني عليك بما فعلت فقد جزى

و مثله أيضا:

و أكرم كريما إن أتاك لحاجة لعاقبة إن العضاه تروح

تروح الشجر إذا انفطر بالنبت يقول إن كان فقيرا فقد يستغنى كما إن الشجر الذي لا ورق عليه سيكتسى ورقا و يقال ركع الرجل أي سقط.و قال الشاعر:

خرق إذا ركع المطي من الوجى لم يطو دون رفيقه ذا المرود

حتى يئوب به قليلا فضله حمد الرفيق نداك أو لم يحمد

و كما يشبهون الشيخ بالراكع فيكنون به عنه كذلك يقولون يحجل في قيده لتقارب خطوه قال أبو الطمحان القيني:

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل أدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني و لست مقيدا أني بقيد

و نحو هذا قولهم للكبير بدت له الأرنب و ذلك أن من يختل الأرنب ليصيدها يتمايل في مشيته و أنشد ابن الأعرابي في النوادر:

و طالت بي الأيام حتى كأنني من الكبر العالي بدت لي أرنب

و نحوه يقولون للكبير قيد بفلان البعير أي لا قوة ليده على أن يصرف البعير تحته على حسب إرادته فيقوده قائد يحمله حيث يريد.

و من أمثالهم لقد كنت و ما يقاد بي البعير يضرب لمن كان ذا قوة و عزم ثم عجز و فتر.و من الكنايا عن شيب العنفقة قولهم قد عض على صوفه.و يكنون عن المرأة التي كبر سنها فيقولون امرأة قد جمعت الثياب أي تلبس القناع و الخمار و الإزار و ليست كالفتاة التي تلبس ثوبا واحدا.و يقولون لمن يخضب يسود وجه النذير و قالوا في قوله تعالى (وَ جاءَكُمُ اَلنَّذِيرُ) إنه الشيب و قال الشاعر:

و قائلة لي اخضب فالغواني تطير من ملاحظة القتير

فقلت لها المشيب نذير موتي و لست مسودا وجه النذير

و زاحم شاب شيخا في طريق فقال الشاب كم ثمن القوس يعيره بانحناء الظهر فقال الشيخ يا ابن أخي إن طال بك عمر فسوف تشتريها بلا ثمن.و أنشد لابن خلف:

تعيرني وخط المشيب بعارضي و لو لا الحجول البلق لم تعرف الدهم

حنى الشيب ظهري فاستمرت مريرتي و لو لا انحناء القوس لم ينفذ السهم

و يقولون لمن رشا القاضي أو غيره صب في قنديله زيتا و أنشد:

و عند قضاتنا خبث و مكر و زرع حين تسقيه يسنبل

إذا ما صب في القنديل زيت تحولت القضية للمقندل

و كان أبو صالح كاتب الرشيد ينسب إلى أخذ الرشا و كان كاتب أم جعفر.

و هو سعدان بن يحيى كذلك فقال لها الرشيد يوما أ ما سمعت ما قيل في كاتبك قالت ما هو فأنشدها:

صـــــب في قنـــــديل ســـــعدان مـــــــع التســـــــليم زيتـــــــا

و قناديـــــــــــل بنيـــــــــــه قبـــــل أن تخفـــــى الكميتـــــا

قالت فما قيل في كاتبك أشنع و أنشدته:

قنـــــديل ســـــعدان عـــــلا ضـــــوءه فـــــرخ لقنـــــديل أبي صـــــالح

تـــــــراه في مجلســـــــه أحوصـــــا مـــــن لمحـــــه للـــــدرهم اللائـــــح

و يقولون لمن طلق ثلاثا قد نحرها بمثلثه.و يقولون أيضا أعطاها نصف السنة.و يقولون لمن يفخر بآبائه هو عظامي و لمن يفخر بنفسه هو عصامي إشارة إلى قول النابغة في عصام بن سهل حاجب النعمان:

نفـــس عصـــام ســـودت عصـــاما و علمتـــــه الكـــــر و الإقـــــداما

و جعلته ملكا هماما

و أشار بالعظامي إلى فخره بالأموات من آبائه و رهطه و قال الشاعر:

إذا مـــا الحـــي عـــاش بعظـــم ميـــت فـــذاك العظـــم حـــي و هـــو ميـــت

و نحو هذا أن عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي دخل على أبيه و هو يجود بنفسه فقال أ لا أوصي بك الأمير فقال إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت و يقال إن عطاء بن أبي سفيان قال ليزيد بن معاوية أغنني عن غيرك قال

حسبك ما أغناك به معاوية قال فهو إذن الحي و أنت الميت و مثل قولهم عظامي قولهم خارجي أي يفخر بغير أولية كانت له قال كثير لعبد العزيز:

أبا مـــــروان لســـــت بخـــــارجي و لـــيس قـــديم مجـــدك بانتحـــال

و يكنون عن العزيز و عن الذليل أيضا فيقولون بيضة البلد فمن يقولها للمدح يذهب إلى أن البيضة هي الحوزة و الحمى يقولون فلان يحمي بيضته أي يحمي حوزته و جماعته و من يقولها للذم يعني أن الواحدة من بيض النعام إذا فسدت تركها أبواها في البلد و ذهبا عنها قال الشاعر في المدح:

لكـــن قائلـــه مـــن لا كفـــاء لـــه مـــن كـــان يـــدعى أبـــوه بيضـــة البلـــد

و قال الآخر في الذم:

تأبى قضـــاعة لم تعـــرف لكـــم نســـبا و ابنـــا نـــزار فـــأنتم بيضـــة البلـــد

و يقولون للشيء الذي يكون في الدهر مرة واحدة هو بيضة الديك قال بشار:

يا أطيـــب النـــاس ريقـــا غـــير مختـــبر إلا شـــــهادة أطـــــراف المســـــاويك

قـــد زرتنـــا زورة في الـــدهر واحـــدة ثـــني و لا تجعليهـــا بيضـــة الـــديك

و يكنون عن الثقيل بالقذى في الشراب قال الأخطل يذكر الخمر و الاجتماع عليها:

و لـــيس قـــذاها بالـــذي قـــد يضـــيرها و لا بـــذباب نزعـــه أيســـر الأمـــر

و لكـــن قـــذاها كـــل جلـــف مكلـــف أتتنـــا بـــه الأيام مـــن حيـــث لا نـــدري

فذاك القذى و ابن القذى و أخو القذى فإن له من زائر آخر الدهر

و يكنون أيضا عنه بقدح اللبلاب قال الشاعر:

يا ثقيلا زاد في الثقل على كل ثقيل

أنت عندي قدح اللبلاب في كف العليل

و يكنون عنه أيضا بالقدح الأول لأن القدح الأول من الخمر تكرهه الطبيعة و ما بعده فدونه لاعتياده قال الشاعر:

و أثقل من حضين باديا و أبغض من قدح أول

و يكنون عنه بالكانون قال الحطيئة يهجو أمه:

تنحي فاقعدي عني بعيدا أراح الله منك العالمينا

أ غربالا إذا استودعت سرا و كانونا على المتحدثينا

قالوا و أصله من كننت أي سترت فكأنه إذا دخل على قوم و هم في حديث ستروه عنه و قيل بل المراد شدة برده.و يكنون عن الثقيل أيضا برحى البزر قال الشاعر:

و أثقل من رحى بزر علينا كأنك من بقايا قوم عاد

و يقولون لمن يحمدون جواره جاره جار أبي دواد و هو كعب بن مامة الإيادي كان إذا جاوره رجل فمات وداه و إن هلك عليه شاة أو بعير أخلف عليه فجاوره أبو دواد الإيادي فأحسن إليه فضرب به المثل.و مثله قولهم هو جليس قعقاع بن شور و كان قد قدم إلى معاوية فدخل عليه و المجلس غاص بأهله ليس فيه مقعد فقام له رجل من القوم و أجلسه مكانه فلم

يبرح القعقاع من ذلك الموضع يكلم معاوية و معاوية يخاطبه حتى أمر له بمائة ألف درهم فأحضرت إليه فجعلت إلى جانبه فلما قام قال للرجل القائم له من مكانه ضمها إليك فهي لك بقيامك لنا عن مجلسك فقيل فيه:

و كنت جليس قعقاع بن شور و لا يشقى بقعقاع جليس

ضحوك السن إن نطقوا بخير و عند الشر مطراق عبوس

أخذ قوله و لا يشقى بقعقاع جليس من قول النبي ص هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.و يكنون عن السمين من الرجال بقولهم هو جار الأمير و ضيف الأمير و أصله أن الغضبان بن القبعثرى كان محبوسا في سجن الحجاج فدعا به يوما فكلمه فقال له في جملة خطابه إنك لسمين يا غضبان فقال القيد و الرتعة و الخفض و الدعة و من يكن ضيف الأمير يسمن.و يكني الفلاسفة عن السمين بأنه يعرض سور حبسه و ذلك أن أفلاطون رأى رجلا سمينا فقال يا هذا ما أكثر عنايتك بتعريض سور حبسك.و نظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة فقال أرى عليك قطيفة محكمة قال نعم ذاك عنوان نعمة الله عندي.و يقولون للكذاب هو قموص الحنجرة و أيضا هو زلوق الكبد و أيضا لا يوثق بسيل بلقعه و أيضا أسير الهند لأنه يدعي أنه ابن الملك و إن كان من أولاد السفلة.و يكنى عنه أيضا بالشيخ الغريب لأنه يحب أن يتزوج في الغربة فيدعي أنه ابن خمسين سنة و هو ابن خمس و سبعين.

و يقولون هو فاختة البلد من قول الشاعر:

أكـــــــذب مـــــــن فاختـــــــة تصـــــــيح فـــــــوق الكـــــــرب

و الطلـــــــع لم يبـــــــد لهـــــــا هـــــــــــذا أوان الرطـــــــــــب

و قال آخر في المعنى:

حـــــــديث أبي حـــــــازم كلـــــــه كقـــول الفواخـــت جـــاء الرطـــب

و هـــــــن و إن كـــــــن يشـــــــبهنه فلســـــــن يدانينـــــــه في الكـــــــذب

و يكنون عن النمام بالزجاج لأنه يشف على ما تحته قال الشاعر:

أنم بمـــا اســـتودعته مـــن زجاجـــة يـرى الشـيء فيهـا ظـاهرا و هـو باطـن

و يكنون عنه بالنسيم من قول الآخر:

و إنـــك كلمـــا اســـتودعت ســـرا أنم مـــن النســـيم علـــى الـــرياض

و يقولون إنه لصبح و إنه لطيب كله في النمام و يقولون ما زال يفتل له في الذروة و الغارب حتى أسمحت قرونته و هي النفس و الذروة أعلى السنام و الغارب مقدمه.و يقولون في الكناية عن الجاهل ما يدري أي طرفيه أطول قالوا ذكره و لسانه و قالوا هل نسب أبيه أفضل أم نسب أمه.و مثله لا يعرف قطانه من لطانه أي لا يعرف جبهته مما بين وركيه.و قالوا الحدة كنية الجهل و الاقتصاد كنية البخل و الاستقصاء كنية الظلم.

و قالوا للجائع عضه الصفر و عضه شجاع البطن.و قال الهذلي:

أرد شـــجاع الـــبطن قـــد تعلمينـــه و أوثـــر غرثـــى مـــن عيالـــك بالطعـــم

مخافـــة أن أحيـــا بـــرغم و ذلـــة و للمـوت خـير مـن حيـاة علـى رغـم

و يقولون زوده زاد الضب أي لم يزوده شيئا لأن الضب لا يشرب الماء و إنما يتغذى بالريح و النسيم و يأكل القليل من عشب الأرض.و قال ابن المعتز:

يقـــول أكلنـــا لحـــم جـــدي و بطـــة و عشـــر دجاجـــات شـــواء بألبـــان

و قـــد كـــذب الملعـــون مـــا كـــان زاده ســوى زاد ضــب يبلــع الــريح عطشــان

و قال أبو الطيب:

لقـــد لعـــب البـــين المشـــت بهـــا و بي و زودني في الســـير مـــا زود الضـــبا

و يقولون للمختلفين من الناس هم كنعم الصدقة و هم كبعر الكبش قال عمرو بن لجأ:

و شـــعر كبعـــر الكـــبش ألـــف بينـــه لســـان دعـــي في القـــريض دخيـــل

و ذلك لأن بعر الكبش يقع متفرقا.و قال بعض الشعراء لشاعر آخر أنا أشعر منك لأني أقول البيت و أخاه و تقول البيت و ابن عمه فأما قول جرير في ذي الرمة إن شعره

بعر ظباء و نقط عروس ،فقد فسره الأصمعي فقال يريد أن شعره حلو أول ما تسمعه فإذا كرر إنشاده ضعف لأن أبعار الظباء أول ما تشم توجد لها رائحة ما أكلت من الجثجاث و الشيح

و القيصوم فإذا أدمت شمها عدمت تلك الرائحة و نقط العروس إذا غسلتها ذهبت.و يقولون أيضا للمختلفين أخياف و الخيف سواد إحدى العينين و زرق الأخرى و يقولون فيهم أيضا أولاد علات كالإخوة لأمهات شتى و العلة الضرة.و يقولون فيهم خبز كتاب لأنه يكون مختلفا قال شاعر يهجو الحجاج بن يوسف:

أ ينسى كليب زمان الهزال و تعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى و آخر كالقمر الأزهر

و مثله:

أ ما رأيت بني سلم وجوههم كأنها خبز كتاب و بقال

و يقال للمتساوين في الرداءة كأسنان الحمار قال الشاعر:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

و قال آخر:

شبابهم و شيبهم سواء فهم في اللؤم أسنان الحمار

و أنشد المبرد في الكامل لأعرابي يصف قوما من طيئ بالتساوي في الرداءة:

و لما أن رأيت بني جوين جلوسا ليس بينهم جليس

يئست من الذي أقبلت أبغي لديهم إنني رجل يئوس

إذا ما قلت أيهم لأي تشابهت المناكب و الرءوس

قال فقوله ليس بينهم جليس هجاء قبيح يقول لا ينتجع الناس معروفهم

فليس بينهم غيرهم و يقولون في المتساويين في الرداءة أيضا هما كحماري العبادي قيل له أي حماريك شر قال هذا ثم هذا و يقال في التساوي في الشر و الخير هم كأسنان المشط و يقال وقعا كركبتي البعير و كرجلي النعامة.و قال ابن الأعرابي كل طائر إذا كسرت إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعام فإنه متى كسرت إحدى رجليه جثم فلذلك قال الشاعر يذكر أخاه:

و إني و إياه كرجلـــــــي نعامـــــــة علـى مـا بنـا مـن ذي غـنى و فقـير

و قال أبو سفيان بن حرب لعامر بن الطفيل و علقمة بن علاثة و قد تنافرا إليه أنتما كركبتي البعير فلم ينفر واحدا منهما فقالا فأينا اليمنى فقال كل منكما يمنى.و سأل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب أيهم أفضل فقال هم كالحلقة الواحدة.و سئل ابن دريد عن المبرد و ثعلب فأثنى عليهما فقيل فابن قتيبة قال ربوة بين جبلين أي خمل ذكره بنباهتهما.و يكنى عن الموت بالقطع عند المنجمين و عن السعاية بالنصيحة عند العمال و عن الجماع بالوطء عند الفقهاء و عن السكر بطيب النفس عند الندماء و عن السؤال بالزوار عند الأجواد و عن الصدقة بما أفاء الله عند الصوفية.و يقال للمتكلف بمصالح الناس إنه وصي آدم على ولده و قد قال شاعر في هذا الباب:

فكـــأن آدم عنـــد قـــرب وفاتـــه أوصـــاك و هـــو يجـــود بالحـــوباء

ببنيـــــه أن ترعـــــاهم فـــــرعيتهم و كفيـــــت آدم عيلـــــة الأبنـــــاء

و يقولون فلان خليفة الخضر إذا كان كثير السفر قال أبو تمام

خليفـة الخضـر مـن يربـع علـى وطـن أو بلـــدة فظهـــور العـــيس أوطـــاني

بغـداد أهلـي و بالشـام الهـوى و أنا بالـــرقتين و بالفســـطاط إخـــواني

و مـا أظـن النـوى ترضـى بمـا صـنعت حـــتى تبلـــغ بي أقصـــى خراســـان

و يقولون للشيء المختار المنتخب هو ثمرة الغراب لأنه ينتفي خير الثمر.و يقولون سمن فلان في أديمه كناية عمن لا ينتفع به أي ما خرج منه يرجع إليه و أصله أن نحيا من السمن انشق في ظرف من الدقيق فقيل ذلك قال الشاعر:

ترحـــل فمـــا بغـــداد دار إقامـــة و لا عنـد مـن أضـحى ببغـداد طائـل

محـــل ملـــوك سمـــنهم في أديمهـــم و كلهـــم مـــن حليـــة المجـــد عاطـــل

فـلا غـرو أن شـلت يـد المجـد و العلـى و قـــل سمـــاح مـــن رجـــال و نائـــل

إذا غضـــغض البحـــر الغطـــامط مـــاءه فلـــيس عجيبـــا أن تغـــيض الجـــداول

و يقولون لمن لا يفي بالعهد فلان لا يحفظ أول المائدة لأن أولها(يا أَيُّهَا اَلَّذِيـنَ آمَنُـوا أَوْفُـوا بِـالْعُقُودِ).و يقولون لمن كان حسن اللباس و لا طائل عنده هو مشجب و المشجب خشبة القصار التي يطرح الثياب عليها قال ابن الحجاج:

لي ســـادة طـــائر الســـرور بهـــم يطـــــرده اليـــــأس بالمقـــــاليع

مشـــــاجب للثيـــــاب كلهـــــم و هـــــذه عـــــادة المشـــــاقيع

جـــــائزتي عنـــــدهم إذا سمعـــــوا شـــــعري هـــــذا كـــــلام مطبـــــوع

و إنهـــم يضـــحكون إن ضـــحكوا مـــني و أبكـــي أنا مـــن الجـــوع

و قال آخر:

إذا لبســوا دكــن الخــزوز و خضــرها و راحـوا فقـد راحـت عليـك المشـاجب

و روي أن كيسان غلام أبي عبيدة وفد على بعض البرامكة فلم يعطه شيئا فلما وافى البصرة قيل له كيف وجدته قال وجدته مشجبا من حيث ما أتيته وجدته.و يكنون عن الطفيلي فيقولون هو ذباب لأنه يقع في القدور قال الشاعر:

أتيتـــك زائـــرا لقضـــاء حـــق فحـــال الســـتر دونـــك و الحجـــاب

و لســـت بواقـــع في قـــدر قـــوم و إن كرهـــوا كمـــا يقـــع الـــذباب

و قال آخر:

و أنـت أخـو السـلام و كيـف أنـتم و لسـت أخـا الملمـات الشـداد

و أطفـل حـين يجفـى مـن ذباب و ألـزم حـين يـدعى مـن قـراد

و يكنون عن الجرب بحب الشباب قال الوزير المهلبي:

يا صـــروف الـــدهر حســـبي أي ذنـــب كـــان ذنـــبي

علـــة خصـــت و عمـــت في حبيـــب و محـــب

دب في كفيـــه يا مـــن حبـــه دب بقلـــبي

فهـــو يشـــكو حـــر حـــب و شـــكاتي حـــر حـــب

و يكنون عن القصير القامة بأبي زبيبة و عن الطويل بخيط باطل و كانت كنية مروان بن الحكم لأنه كان طويلا مضطربا قال فيه الشاعر:

لحـا الله قومـا أمـروا خـيط باطـل علـى النـاس يعطـي مـن يشـاء و يمنـع

و في خيط باطل قولان أحدهما أنه الهباء الذي يدخل من ضوء الشمس في الكوة

من البيت و تسميه العامة غزل الشمس و الثاني أنه الخيط الذي يخرج من في العنكبوت و تسميه العامة مخاط الشيطان.و تقول العرب للملقو لطيم الشيطان.و كان لقب عمرو بن سعيد الأشدق لأنه كان ملقوا.و قال بعضهم لآخر ما حدث قال قتل عبد الملك عمرا فقال قتل أبو الذبان لطيم الشيطان (وَ كَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ اَلظَّالِمِينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ) .و يقولون للحزين المهموم يعد الحصى و يخط في الأرض و يفت اليرمع قال المجنون:

عشية ما لي حيلة غير أنني بلقط الحصى و الخط في الدار مولع
أخط و أمحو كل ما قد خططته بدمعي و الغربان حولي وقع

و هذا كالنادم يقرع السن و البخيل ينكت الأرض ببنانه أو بعود عند الرد قال الشاعر:

عبيد إخوانهم حتى إذا ركبوا يوم الكريهة فالآساد في الأجم
يرضون في العسر و الإيسار سائلهم لا يقرعون على الأسنان من ندم

و قال آخر في نكت الأرض بالعيدان:

قوم إذا نزل الغريب بدارهم تركوه رب صواهل و قيان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدان

و يقولون للفارغ فؤاد أم موسى.

و يقولون للمشري من المال منقرس و ذلك أن علة النقرس أكثر ما تعتري أهل الثروة و التنعم.حكى المبرد قال كان الحرمازي في ناحية عمرو بن مسعدة و كان يجري عليه فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام و تخلف الحرمازي ببغداد فأصابه النقرس فقال:

أقام بأرض الشام فاختل جانبي و مطلبه بالشام غير قريب

و لا سيما من مفلس حلف نقرس أ ما نقرس في مفلس بعجيب

و قال بعضهم يهجو ابن زيدان الكاتب:

تواضع النقرس حتى لقد صار إلى رجل ابن زيدان

علة إنسان و لكنها قد وجدت في غير إنسان

و يقولون للمترف رقيق النعل و أصله قول النابغة:

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

يعني أنهم ملوك و الملك لا يخصف نعله و إنما يخصف نعله من يمشي و قوله طيب حجزاتهم أي هم أعفاء الفروج أي يشدون حجزاتهم على عفة و كذلك قولهم فلان مسمط النعال أي نعله طبقة واحدة غير مخصوف قال المرار بن سعيد الفقعسي:

وجدت بني خفاجة في عقيل كرام الناس مسمطة النعال

و قريب من هذا قول النجاشي:

و لا يأكل الكلب السروق نعالنا و لا ينتقي المخ الذي في الجماجم

يريد أن نعالهم سبت و السبت جلود البقر المدبوغة بالقرظ و لا تقربها الكلاب و إنما تأكل الكلاب غير المدبوغ لأنه إذا أصابه المطر دسمه فصار زهما.و يقولون للسيد لا يطأ على قدم أي هو يتقدم الناس و لا يتبع أحدا فيطأ على قدمه.و يقولون قد اخضرت نعالهم أي صاروا في خصب و سعة قال الشاعر:

يتـــــايهون إذا اخضـــــرت نعـــــالهم و في الحفيظـــــة أبـــــرام مضـــــاجير

و إذا دعوا على إنسان بالزمانة قالوا خلع الله نعليه لأن المقعد لا يحتاج إلى نعل.و يقولون أطفأ الله نوره كناية عن العمى و عن الموت أيضا لأن من يموت فقد طفئت ناره.و يقولون سقاه الله دم جوفه دعاء عليه بأن يقتل ولده و يضطر إلى أخذ ديته إبلا فيشرب ألبانها.و يقولون رماه الله بليلة لا أخت لها أي ليلة موته لأن ليلة الموت لا أخت لها.و يقولون وقعوا في سلا جمل أي في داهية لا يرى مثلها لأن الجمل لا سلا له و إنما السلا للناقة و هي الجليدة التي تكون ملفوفة على ولدها.و يقولون صاروا في حولاء ناقة إذ صاروا في خصب.و كانوا إذا وصفوا الأرض بالخصب قالوا كأنها حولاء ناقة.

و يقولون لأبناء الملوك و الرؤساء و من يجري مجراهم جفاة المحز قال الشاعر:

جفـــاة المحـــز لا يصـــيبون مفصـــلا و لا يأكلـــون اللحـــم إلا تخـــذما

يقول هم ملوك و أشباه الملوك لا حذق لهم بنحر الإبل و الغنم و لا يعرفون التجليد و السلخ و لهم من يتولى ذلك عنهم و إذا لم يحضرهم من يجزر الجزور تكلفوا هم ذلك بأنفسهم فلم يحسنوا حز المفصل كما يفعله الجزار و قوله

و لا يأكلون اللحم إلا تخذما

أي ليس بهم شره فإذا أكلوا اللحم تخذموا قليلا قليلا و الخذم القطع و أنشد الجاحظ في مثله:

و صـــلع الـــرءوس عظـــام البطـــون جفـــاة المحـــز غـــلاظ القصـــر

لأن ذلك كله أمارات الملوك و قريب من ذلك قوله:

لـــيس براعـــي إبـــل و لا غـــنم و لا بجـــزار علـــى ظهـــر وضـــم

و يقولون فلان أملس يكنون عمن لا خير فيه و لا شر أي لا يثبت فيه حمد و لا ذم.و يقولون ملحه على ركبته أي هو سيئ الخلق يغضبه أدنى شيء قال:

لا تلمهـــا إنهـــا مـــن عصـــبة ملحهـــا موضـــوعة فـــوق الركـــب

و يقولون كناية عن مجوسي هو ممن يخط على النمل و النمل جمع نملة و هي قرحة بالإنسان كانت العرب تزعم أن المجوسي إذا كان من أخته و خط عليها برأت قال الشاعر:

و لا عيـــب فينـــا غـــير عـــرق لمعشـــر كـــرام و أنا لا نخـــط علـــى النمـــل

و يقولون للصبي قد قطفت ثمرته أي ختن و قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

مـــــا زال عصـــــياننا لله يرذلنـــــا حـــتى دفعنـــا إلى يحـــيى و دينـــار

إلا عليجـــــين لم تقطـــــف ثمارهـــــا قـــد طالمـــا ســـجدا للشـــمس و النـــار

و يقولون قدر حليمة أي لا غليان فيها.و يقولون لمن يصلي صلاة مختصرة هو راجز الصلاة.و قال أعرابي لرجل رآه يصلي صلاة خفيفة صلاتك هذه رجز.و يقولون فلان عفيف الشفة أي قليل السؤال و فلان خفيف الشفة كثير السؤال.و تكني العرب عن المتيقظ بالقطامي و هو الصقر.و يكنون عن الشدة و المشقة بعرق القربة يقولون لقيت من فلان عرق القربة أي العرق الذي يحدث بك من حملها و ثقلها و ذلك لأن أشد العمل كان عندهم السقي و ما ناسبه من معالجة الإبل.و تكني العرب عن الحشرات و هوام الأرض بجنود سعد يعنون سعد الأخبية و ذلك لأنه إذا طلع انتشرت في ظاهر الأرض و خرج منها ما كان مستترا في باطنها قال الشاعر:

قـــد جـــاء ســـعد منـــذرا بحـــره موعـــــدة جنـــــوده بشـــــره

و يكني قوم عن السائلين على الأبواب بحفاظ سورة يوسف ع لأنهم يعتنون بحفظها دون غيرها و قال عمارة يهجو مُحَمَّد بن وهيب:

تشـــبهت بالأعـــراب أهـــل التعجـــرف فـــدل علـــى مـــا قلـــت قـــبح التكلـــف

لســـان عراقـــي إذا مـــا صـــرفته إلى لغـــة الأعـــراب لم يتصـــرف
و لم تـنس مـا قـد كـان بالأمـس حاكـه أبـــوك و عـــود الجـــف لم يتقصـــف
لـئن كنـت للأشـعار و النحـو حافظـا لقـد كـان مـن حفـاظ سـورة يوسـف

و يكنون عن اللقيط بتربية القاضي و عن الرقيب بثاني الحبيب لأنه يرى معه أبدا قال ابن الرومي:

موقـــــف للرقيـــــب لا أنســـــاه لســـــــت أختـــــــاره و لا آباه
مرحبـــا بالرقيـــب مـــن غـــير وعـــد جـــاء يجلـــو علـــي مـــن أهـــواه
لا أحـــــــب الرقيـــــــب إلا لأني لا أرى مـــــن أحـــــب حـــــتى أراه

و يكنون عن الوجه المليح بحجة المذنب إشارة إلى قول الشاعر:

قـــد وجـــدنا غفلـــة مـــن رقيـــب فســـرقنا نظـــرة مـــن حبيـــب
و رأينـــــا ثم وجهـــــا مليحـــــا فوجـــــدنا حجـــــة للـــــذنوب

و يكنون عن الجاهل ذي النعمة بحجة الزنادقة قال ابن الرومي:

مهـــلا أبا الصـــقر فكـــم طـــائر خـــر صـــريعا بعـــد تحليـــق
لا قدســـــت نعمـــــى تســـــربلتها كـــــم حجـــــة فيهـــــا لزنـــــديق

و قال ابن بسام في أبي الصقر أيضا:

يا حجـــــة الله في الأرزاق و القســـــم و عـــــبرة لأولى الألبـــــاب و الفهـــــم
تـــراك أصـــبحت في نعمـــاء ســـابغة إلا و ربـــك غضـــبان علـــى الـــنعم

فهذا ضد ذلك المقصد لأن ذاك جعله حجة على الزندقة و هذا جعله حجة على قدرة البارئ سبحانه على عجائب الأمور و غرائبها و أن النعم لا قدر لها عنده سبحانه حيث جعلها عند أبي الصقر مع دناءة منزلته و قال ابن الرومي

و قينـــة أبـــرد مـــن ثلجـــه تبيـــت منهـــا الـــنفس في ضـــجه
كأنهـــا مـــن نتنهـــا صـــخة لكنهـــا في اللـــون أترجـــه
تفاوتـــت خلقتهـــا فاغتـــدت لكـــل مـــن عطـــل محتجـــه

و قد يشابه ذلك قول أبي علي البصير في ابن سعدان:

يا ابـن سـعدان أجلـح الـرزق في أمـرك و استحســـن القبـــيح بمـــره
نلـــت مـــا لم تكـــن تمـــنى إذا مـــا أســـرفت غايـــة الأمـــاني عشـــره
لـــيس فيمـــا أظـــن إلا لكـــيلا ينكـــر المنكـــرون لله قـــدره

و للمفجع في قريب منه:

إن كنـــت خنـــتكم المـــودة غـــادرا أو حلـت عـن سـنن المحـب الوامـق
فمســخت في قــبح ابــن طلحــة إنــه مــا دل قــط علــى كمــال الخــالق

و يقولون عرض فلان على الحاجة عرضا سابريا أي خفيفا من غير استقصاء تشبيها له بالثوب السابري و الدرع السابرية و هي الخفيفة.و يحكى أن مرتدا مر على قوم يأكلون و هو راكب حمارا فقالوا انزل إلينا فقال هذا عرض سابري فقالوا انزل يا ابن الفاعلة و هذا ظرف و لباقه.و يقولون في ذلك وعد سابري أي لا يقرن به وفاء و أصل السابري اللطيف الرقق.و قال المبرد سألت الجاحظ من أشعر المولدين فقال القائل:

كـــــأن ثيابـــــه أطلعـــــن مـــــــن أزراره قمـــــــرا
يزيـــــدك وجهـــــه حســـــنا إذا مـــــا زدتـــــه نظـــــرا
بعـــــين خـــــالط التفتـــــير في أجفانهـــــا الحـــــورا

و وجـــــــه ســـــــابري لـــــــو تصـــــــوب مـــــــاؤه قطـــــــرا

يعني العباس بن الأحنف.و تقول العرب في معنى قول المحدثين عرض عليه كذا عرضا سابريا عرض عليه عرض عالة أي عرض الماء على النعم العالة التي قد شربت شربا بعد شرب و هو العلل لأنها تعرض على الماء عرضا خفيفا لا تبالغ فيه.و من الكنايات الحسنة قول أعرابية قالت لقيس بن سعد بن عبادة أشكو إليك قلة الجرذان في بيتي فاستحسن منها ذلك و قال لأكثرنها املئوا لها بيتها خبزا و تمرا و سمنا و أقطا و دقيقا.و شبيه بذلك ما روي أن بعض الرؤساء سايره صاحب له على برذون مهزول فقال له ما أشد هزال دابتك فقال يدها مع أيدينا ففطن لذلك و وصله.و قريب منه ما حكي أن المنصور قال لإنسان ما مالك قال ما أصون به وجهي و لا أعود به على صديقي فقال لقد تلطفت في المسألة و أمر له بصلة.و جاء أعرابي إلى أبي العباس ثعلب و عنده أصحابه فقال له ما أراد القائل بقوله:

الحمـــــــد لله الوهـــــــوب المنـــــــان صـــــــار الثريـــــــد في رءوس القضـــــــبان

فأقبل ثعلب على أهل المجلس فقال أجيبوه فلم يكن عندهم جواب و قال له نفطويه الجواب منك يا سيدي أحسن فقال على أنكم لا تعلمونه قالوا لا نعلمه فقال الأعرابي قد سمعت ما قال القوم فقال و لا أنت أعزك الله تعلمه فقال ثعلب أراد أن السنبل قد أفرك قال صدقت فأين حق الفائدة فأشار إليهم ثعلب

فبروه فقام قائلا بوركت من ثعلب ما أعظم بركتك.و يكنون عن الشيب بغبار العسكر و برغوة الشباب قال الشاعر:

قالــت أرى شــيبا برأســك قلــت لا هــذا غبــار مــن غبــار العســكر

و قالت آخر و سماه غبار وقائع الدهر:

غضــبت ظلــوم و أزمعــت هجــري وصــبت ضــمائرها إلى الغــدر

قالــت أرى شــيبا فقلــت لهــا هــذا غبــار وقــائع الــدهر

و يقولون للسحاب فحل الأرض.و قالوا القلم أحد اللسانين و رداءة الخط أحد الزمانتين.قال و قال الجاحظ رأيت رجلا أعمى يقول في الشوارع و هو يسأل ارحموا ذا الزمانتين قلت و ما هما قال أنا أعمى و صوتي قبيح و قد أشار شاعر إلى هذا فقال:

اثنــان إذا عــدا حقيــق بهمــا المــوت

فقــير مــا لــه زهــد و أعمــى مــا لــه صــوت

و قال رسول الله ص إياكم و خضراء الدمن فلما سئل عنها قال المرأة الحسناء في المنبت السوء و قال ع في صلح قوم من العرب إن بيننا و بينهم عيبة مكفوفة أي لا نكشف ما بيننا و بينهم من ضغن و حقد و دم و قال ع الأنصار كرشي و عيبتي أي موضع سري و كرشي جماعتي.

و يقال جاء فلان ربذ العنان أي منهزما.و جاء ينفض مذرويه أي يتوعد من غير حقيقة.و جاء ينظر عن شماله أي منهزما.و تقول فلان عندي بالشمال أي منزلته خسيسة و فلان عندي باليمين أي بالمنزلة العليا قال أبو نواس:

أقـــــول لنـــــاقتي إذ بلغتـــــني لقـــد أصـــبحت عنـــدي باليمـــين

فلـــم أجعلـــك للغـــربان نهبـــا و لم أقـــل اشـــرقي بـــدم الـــوتين

حرمـــت علـــى الأزمـــة و الـــولايا و أعـــلاق الرحالـــة و الوضـــين

و قال ابن ميادة:

أبيـــني أ في يمـــنى يـــديك جعلتـــني فـــأفرح أم صـــيرتني في شمالـــك

و تقول العرب التقى الثريان في الأمرين يأتلفان و يتفقان أو الرجلين قال أبو عبيدة و الثرى التراب الندي في بطن الوادي فإذا جاء المطر و سح في بطن الوادي حتى يلتقي نداه و الندى الذي في بطن الوادي يقال التقى الثريان.و يقولون هم في خير لا يطير غرابه يريدون أنهم في خير كثير و خصب عظيم فيقع الغراب فلا ينفر لكثرة الخصب.و كذلك أمر لا ينادى وليده أي أمر عظيم ينادى فيه الكبار دون الصغار.و قيل المراد أن المرأة تشتغل عن وليدها فلا تناديه لعظم الخطب و من هذا قول الشاعر يصف حربا عظيمة

إذا خـــرس الفحـــل وســـط الحجـــور و صـــاح الكـــلاب و عـــق الولـــد

يريد أن الفحل إذا عاين الجيش و البارقة لم يلتفت لفت الحجور و لم يصهل و تنبح الكلاب أربابها لأنها لا تعرفهم للبسهم الحديد و تذهل المرأة عن ولدها رعبا فجعل ذلك عقوقا.و يقولون أصبح فلان على قرن أعفر و هو الظبي إذا أرادوا أصبح على خطر و ذلك لأن قرن الظبي ليس يصلح مكانا فمن كان عليه فهو على خطر قال إمرؤ القيس:

و لا مثـــل يـــوم بالعظـــالى قطعتـــه كـــأني و أصـــحابي علـــى قـــرن أعفـــرا

و قال أبو العلاء المعري:

كأنني فوق روق الظبي من حذر

و أنشد ابن دريد في هذا المعنى:

و مـــا خـــير عـــيش لا يـــزال كأنـــه محلـــة يعســـوب بـــرأس ســـنان

يعني من القلق و أنه غير مطمئن.و يقولون به داء الظبي أي لا داء به لأن الظبي صحيح لا يزال و المرض قل أن يعتريه و يقولون للمتلون المختلف الأحوال ظل الذئب لأنه لا يزل مرة هكذا و مرة هكذا و يقولون به داء الذئب أي الجوع.

و عهد فلان عهد الغراب يعنون أنه غادر قالوا لأن كل طائر يألف أنثاه إلا الغراب فإنه إذا باضت الأنثى تركها و صار إلى غيرها.و يقولون ذهب سمع الأرض و بصرها أي حيث لا يدرى أين هو.و تقولون ألقى عصاه إذا أقام و استقر قال الشاعر:

فألقت عصاها و استقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

و وقع القضيب من يد الحجاج و هو يخطب فتطير بذلك حتى بان في وجهه فقام إليه رجل فقال إنه ليس ما سبق وهم الأمير إليه و لكنه قول القائل و أنشده البيت فسري عنه.و يقال للمختلفين طارت عصاهم شققا.و يقال فلان منقطع القبال أي لا رأي له.و فلان عريض البطان أي كثير الثروة.و فلان رخي اللب أي في سعة.و فلان واقع الطائر أي ساكن.و فلان شديد الكاهل أي منيع الجانب.و فلان ينظر في أعقاب نجم مغرب أي هو نادم آيس قال الشاعر:

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

و سقط في يده أي أيقن بالهلكة.و قد رددت يده إلى فيه أي منعته من الكلام.و بنو فلان يد على بني فلان أي مجتمعون.

و أعطاه كذا عن ظهر يد أي ابتداء لا عن مكافأة.و يقولون جاء فلان ناشرا أذنيه أي جاء طامعا.و يقال هذه فرس غير محلفة أي لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها كريمة قال:

كميـــت غـــير محلفـــة و لكـــن كلـــون الصـــرف عـــل بـــه الأديم

و تقول حلب فلان الدهر أشطره أي مرت عليه صروبه خيره و شره.و قرع فلان لأمر ظنبوبه أي جد فيه و اجتهد.و تقول أبدى الشر نواجذه أي ظهر.و قد كشفت الحرب عن ساقها و كشرت عن نابها.و تقول استنوق الجمل يقال ذلك للرجل يكون في حديث ينتقل إلى غيره يخلطه به.و تقول لمن يهون بعد عز استأتن العير.و تقول للضعيف يقوى استنسر البغاث.و يقولون شراب بأنقع أي معاود للأمور و قال الحجاج يا أهل العراق إنكم شرابون بأنقع أي معتادون الخير و الشر و الأنقع جمع نقع و هو ما استنقع من الغدران و أصله في الطائر الحذر يرد المناقع في الفلوات حيث لا يبلغه قانص و لا ينصب له شرك

حديث عن إمرئ القيس

و نختم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني قال أبو الفرج أخبرني مُحَمَّد بن القاسم الأنباري قال حدثني ابن عمي قال حدثنا أحمد بن عبد الله عن الهيثم بن عدي قال و حدثني عمي قال حدثنا مُحَمَّد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميرا على العراق فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم فسرنا عنده فقال ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة و ابدأ أنت يا أبا عمرو فقلت أصلح الله الأمير أ حديث حق أم حديث باطل قال بل حديث حق فقلت إن إمرأ القيس كان آلى ألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية و أربعة و اثنتين فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر فبينا هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه فأعجبته فقال لها يا جارية ما ثمانية و أربعة و اثنتان فقالت أما ثمانية فأطباء الكلبة و أما أربعة فأخلاف الناقة و أما اثنتان فثديا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها و شرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك و على أن يسوق إليها مائة من الإبل و عشرة أعبد و عشر وصائف و ثلاثة أفراس ففعل ذلك ثم بعث عبدا إلى المرأة و أهدى إليها معه نحيا من سمن و نحيا من عسل و حلة من عصب فنزل العبد على بعض المياه و نشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت و فتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا ثم قدم على المرأة و أهلها خلوف فسألها عن أبيها و أمها و أخيها و دفع إليها

هديتها فقالت أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدا و يبعد قريبا و أن أمي ذهبت تشق النفس نفسين و أن أخي ذهب يراعي الشمس و أن سماءكم انشقت و أن وعاءيكم نضبا.فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال أما قولها أن أبي ذهب يقرب بعيدا و يبعد قريبا فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه و أما قولها إن أمي ذهبت تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء و أما قولها إن أخي ذهب يراعي الشمس فإن أخاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به و أما قولها إن سماءكم انشقت فإن البرد الذي بعثت به انشق و أما قولها إن وعاءيكم نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقني فقال يا مولاي إني نزلت بماء من مياه العرب فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أني ابن عمك و نشرت الحلة و لبستها و تحملت بها فتعلقت بسمرة فانشقت و فتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء فقال أولى لك ثم ساق مائة من الإبل و خرج نحوها و معه العبد يسقي الإبل فعجز فأعانه إمرؤ القيس فرمى به العبد في البئر و خرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل فأخبرهم أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت و الله ما أدري أ زوجي هو أم لا و لكن انحروا له جزورا و أطعموه من كرشها و ذنبها ففعلوا فأكل ما أطعموه فقالت اسقوه لبنا حازرا و هو الحامض فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث و الدم ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه أني أريد أن أسألك فقال لها سلي عما بدا لك فقالت مم تختلج شفتاك قال من تقبيلي إياك فقالت مم يختلج كشحاك قال لالتزامي إياك قالت فمم يختلج فخذاك

قال لتوركي إياك فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به ففعلوا.قال و مر قوم فاستخرجوا إمرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه و ساق مائة من الإبل و أقبل إلى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك فقالت و الله ما أدري أ زوجي هو أم لا و لكن انحروا له جزورا و أطعموه من كرشها و ذنبها ففعلوا فلما أتوه بذلك قال و أين الكبد و السنام و الملحاء و أبى أن يأكل فقالت اسقوه لبنا حازرا فأتي به فأبى أن يشربه و قال فأين الضريب و الرثيئة فقالت افرشوا له عند الفرث و الدم ففرشوا له فأبى أن ينام و قال افرشوا لي عند التلعة الحمراء و اضربوا لي عليها خباء ثم أرسلت إليه هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث فأرسل إليها أن سلي عما شئت فقالت مم تختلج شفتاك فقال لشربي المشعشعات قالت فمم يختلج كشحاك قال للبسي الحبرات قالت فمم تختلج فخذاك قال لركضي المطهمات فقالت هذا زوجي لعمري فعليكم به فأهديت إليه الجارية.فقال ابن هبيرة حسبكم فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو و لن يأتينا أحد منكم بأعجب منه فانصرفنا و أمر لي بجائزة

٤٧٦

وَ قَالَ ع فِی کَلَامٍ لَهُ وَ وَلِیَهُم وَالٍ فَأَقَامَ وَ استَقَامَ حَتّی ضَرَبَ الدّینُ بِجِرَانِهِ.

الجران مقدم العنق و هذاالوالی هوعمر بن الخطاب . و هذاالکلام من خطبة خطبها فی أیام خلافته طویلة یذکر فیهاقربه من النبی -ص واختصاصه له وإفضاءه بأسراره إلیه حتی

قال فیها فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته علی ضعف وحد کانا فیه ولیهم بعده وال فأقام واستقام حتی ضرب الدین بجرانه علی عسف وعجرفیة کانا فیه ثم اختلفوا ثالثا لم یکن یملک من أمر نفسه شیئا غلب علیه أهله فقادوه إلی أهوائهم کماتقود الولیدة البعیر المخطوم فلم یزل الأمر بینه و بین الناس یبعد تارة ویقرب أخری حتی نزوا علیه فقتلوه ثم جاءوا بی مدب الدبا یریدون بیعتی.

.وتمام الخطبة معروف فلیطلب من الکتب الموضوعة لهذا الفن.

وَ قَالَ ع : يَأْتِي عَلَى اَلنَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ يَعَضُّ اَلْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ قَالَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ (وَ لا تَنْسَوُا اَلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) يَنْهَدُ تَنْهَدُ فِيهِ اَلْأَشْرَارُ وَ يُسْتَذَلُّ تُسْتَذَلُّ اَلْأَخْيَارُ وَ يُبَايِعُ اَلْمُضْطَرُّونَ وَ قَدْ نَهَى رَسُولُ اَللَّهِ ص عَنْ بَيْعِ اَلْمُضْطَرِّينَ زمان عضوض أي كلب على الناس كأنه يعضهم و فعول للمبالغة كالنفور العقوق و يجوز أن يكون من قولهم بئر عضوض أي بعيدة القعر ضيقة و ما كانت البئر عضوضا فأعضت كقولهم ما كانت جرورا فأجرت و هي كالعضوض.و عض فلان على ما في يده أي بخل و أمسك.و ينهد فيه الأشرار ينهضون إلى الولايات و الرئاسات و ترتفع أقدارهم في الدنيا و يستذل فيه أهل الخير و الدين و يكون فيه بيع على وجه الاضطرار و الإلجاء كمن بيعت ضيعته و هو ذليل ضعيف من رب ضيعة مجاورة لها ذي ثروة و عز و جاه فيلجئه بمنعه الماء و استذلاله الأكرة و الوكيل إلى أن يبيعها عليه و ذلك منهي عنه لأنه حرام محض

٤٧٨

وَ قَالَ ع : يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلاَنِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَ بَاهِتٌ مُفْتَرٍ قال الرضي ﷺ تعالى : و هذا مثل قوله ع يَهْلِكُ فِيَّ اِثْنَانِ رَجُلاَنِ مُحِبٌّ غَالٍ وَ مُبْغِضٌ قَالٍ قد تقدم شرح مثل هذا الكلام و خلاصة هذا القول أن الهالك فيه المفرط و المفرط أما المفرط فالغلاة و من قال بتكفير أعيان الصحابة و نفاقهم أو فسقهم و أما المفرط فمن استنقص به ع أو أبغضه أو حاربه أو أضمر له غلا و لهذا كان أصحابنا أصحاب النجاة و الخلاص و الفوز في هذه المسألة لأنهم سلكوا طريقة مقتصدة قالوا هو أفضل الخلق في الآخرة و أعلاهم منزلة في الجنة و أفضل الخلق في الدنيا و أكثرهم خصائص و مزايا و مناقب و كل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فإنه عدو لله سبحانه و خالد في النار مع الكفار و المنافقين إلا أن يكون ممن قد ثبتت توبته و مات على توليه و حبه.فأما الأفاضل من المهاجرين و الأنصار الذين ولوا الإمامة قبله فلو أنه أنكر إمامتهم

و غضب عليهم و سخط فعلهم فضلا عن أن يشهر عليهم السيف أو يدعو إلى نفسه لقلنا إنهم من الهالكين كما لو غضب عليهم رسول الله ص لأنه قد ثبت أن رسول الله ص قال له حربك حربي و سلمك سلمي و أنه قال اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و قال له لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق و لكنا رأينا رضي إمامتهم و بايعهم و صلى خلفهم و أنكحهم و أكل من فيئهم فلم يكن لنا أن نتعدى فعله و لا نتجاوز ما اشتهر عنه أ لا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه و لما لعنه لعناه و لما حكم بضلال أهل الشام و من كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص و عبد الله ابنه و غيرهما حكمنا أيضا بضلالهم.و الحاصل أنا لم نجعل بينه و بين النبي ص إلا رتبة النبوة و أعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه و بينه و لم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم و عاملناهم بما عاملهم ع به

فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة

و القول بالتفضيل قول قديم قد قال به كثير من الصحابة و التابعين فمن الصحابة عمار و المقداد و أبو ذر و سلمان و جابر بن عبد الله و أبي بن كعب و حذيفة و بريدة و أبو أيوب و سهل بن حنيف و عثمان بن حنيف و أبو الهيثم بن التيهان و خزيمة بن ثابت و أبو الطفيل عامر بن واثلة و العباس بن عبد المطلب و بنوه و بنو هاشم كافة و بنو المطلب كافة.

و كان الزبير من القائلين به في بدء الأمر ثم رجع و كان من بني أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص و منهم عمر بن عبد العزيز.و أنا أذكر هاهنا الخبر المروي المشهور عن عمر و هو من رواية ابن الكلبي قال بينا عمر بن عبد العزيز جالسا في مجلسه دخل حاجبه و معه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم و القامة و رجلان متعلقان بها و معهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر فدفعوا إليه الكتاب ففضه فإذا فيه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من ميمون بن مهران سلام عليك و رحمة الله و بركاته أما بعد فإنه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور و عجزت عنه الأوساع و هربنا بأنفسنا عنه و وكلناه إلى عالمه لقول الله عزوجل (وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى اَلرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ اَلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) و هذه المرأة و الرجلان أحدهما زوجها و الآخر أبوها و إن أباها يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب ع خير هذه الأمة و أولاها برسول الله ص و أنه يزعم أن ابنته طلقت منه و أنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهرا و هو يعلم أنها حرام عليه كأمه و إن الزوج يقول له كذبت و أثمت لقد بر قسمي و صدقت مقالتي و إنها امرأتي على رغم أنفك و غيظ قلبك فاجتمعوا إلي يختصمون في ذلك فسألت الرجل عن يمينه فقال نعم قد كان ذلك و قد حلفت بطلاقها أن عليا خير هذه الأمة و أولاها برسول الله ص عرفه من عرفه و أنكره من أنكره فليغضب من

غضب و ليرض من رضي و تسامع الناس بذلك فاجتمعوا له و إن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى و قد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم و تسرعهم إلى ما فيه الفتنة فاحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله و إنهما تعلقا بها و أقسم أبوها ألا يدعها معه و أقسم زوجها ألا يفارقها و لو ضربت عنقها إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته و الامتناع منه فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين أحسن الله توفيقك و أرشدك.و كتب في أسفل الكتاب:

إذا ما المشكلات وردن يوما فحارت في تأملها العيون

و ضاق القوم ذرعا عن نباها فأنت لها أبا حفص أمين

لأنك قد حويت العلم طرا و أحكمك التجارب و الشئون

و خلفك الإله على الرعايا فحظك فيهم الحظ الثمين

قال فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم و بني أمية و أفخاذ قريش ثم قال لأبي المرأة ما تقول أيها الشيخ قال يا أمير المؤمنين هذا الرجل زوجته ابنتي و جهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها حتى إذا أملت خيره و رجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذبا ثم أراد الإقامة معها فقال له عمر يا شيخ لعله لم يطلق امرأته فكيف حلف قال الشيخ سبحان الله الذي حلف عليه لأبين حنثا و أوضح كذبا من أن يختلج في صدري منه شك مع سني و علمي لأنه زعم أن عليا خير هذه الأمة و إلا فامرأته طالق ثلاثا فقال للزوج ما تقول أ هكذا حلفت قال نعم فقيل إنه لما قال نعم كاد المجلس يرتج بأهله و بنو أمية ينظرون إليه شزرا إلا أنهم لم ينطقوا بشيء كل ينظر إلى وجه عمر.

فأكب عمر مليا ينكت الأرض بيده و القوم صامتون ينظرون ما يقوله ثم رفع رأسه و قال:

إذا ولي الحكومـــــة بـــــين قـــــوم أصـــاب الحـــق و الـــتمس الســـدادا

و مـــا خـــير الإمـــام إذا تعـــدى خـــلاف الحـــق و اجتنـــب الرشـــادا

ثم قال للقوم ما تقولون في يمين هذا الرجل فسكتوا فقال سبحان الله قولوا فقال رجل من بني أمية هذا حكم في فرج و لسنا نجترئ على القول فيه و أنت عالم بالقول مؤتمن لهم و عليهم قل ما عندك فإن القول ما لم يكن يحق باطلا و يبطل حقا جائز علي في مجلسي.قال لا أقول شيئا فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب فقال له ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي فاغتنمها فقال يا أمير المؤمنين إن جعلت قولي حكما أو حكمي جائزا قلت و إن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي و أبقى للمودة قال قل و قولك حكم و حكمك ماض.فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا ما أنصفتنا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا و نحن من لحمتك و أولى رحمك فقال عمر اسكتوا أ عجزا و لؤما عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له قالوا لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي و لا حكمتنا كما حكمته فقال عمر إن كان أصاب و أخطأتم و حزم و عجزتم و أبصر و عميتم فما ذنب عمر لا أبا لكم أ تدرون ما مثلكم قالوا لا ندري قال لكن العقيلي يدري ثم قال ما تقول يا رجل قال نعم يا أمير المؤمنين كما قال الأول:

دعيـــتم إلى أمـــر فلمـــا عجـــزتم تناولـــه مـــن لا يداخلـــه عجـــز

فلمـــا رأيـــتم ذاك أبـــدت نفوســـكم نـــداما و هـــل يغـــني مـــن القـــدر الحـــذر

فقال عمر أحسنت و أصبت فقل ما سألتك عنه قال يا أمير المؤمنين

بر قسمه و لم تطلق امرأته قال و أنى علمت ذاك قال نشدتك الله يا أمير المؤمنين أ لم تعلم أن رسول الله ص قال لفاطمة ع و هو عندها في بيتها عائد لها يا بنية ما علتك قالت الوعك يا أبتاه و كان علي غائبا في بعض حوائج النبي ص فقال لها أ تشتهين شيئا قالت نعم أشتهي عنبا و أنا أعلم أنه عزيز و ليس وقت عنب فقال ص إن الله قادر على أن يجيئنا به ثم قال اللهم ائتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلة فطرق علي الباب و دخل و معه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه فقال له النبي ص ما هذا يا علي قال عنب التمسته لفاطمة فقال الله أكبر الله أكبر اللهم كما سررتني بأن خصصت عليا بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيتي ثم قال كلي على اسم الله يا بنية فأكلت و ما خرج رسول الله ص حتى استقلت و برأت فقال عمر صدقت و بررت أشهد لقد سمعته و وعيته يا رجل خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه ثم قال يا بني عبد مناف و الله ما نجهل ما يعلم غيرنا و لا بنا عمى في ديننا و لكنا كما قال الأول:

تصـــيدت الـــدنيا رجـــالا بفخهـــا فلـم يـدركوا خـيرا بـل اسـتقبحوا الشـرا

و أعمـــاهم حـــب الغـــنى و أصـــمهم فلـــم يـــدركوا إلا الخســـارة و الـــوزرا

قيل فكأنما ألقم بني أمية حجرا و مضى الرجل بامرأته.و كتب عمر إلى ميمون بن مهران عليك سلام فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد فهمت كتابك و ورد الرجلان و المرأة و قد صدق الله يمين الزوج و أبر قسمه و أثبته على نكاحه فاستيقن ذلك و اعمل عليه و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.

فأما من قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير كأويس القرني و زيد بن صوحان و صعصعة أخيه و جندب الخير و عبيدة السلماني و غيرهم ممن لا يحصى كثرة و لم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله و لم تكن مقالة الإمامية و من نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة و جميع ما ورد من الآثار و الأخبار في فضل الشيعة و أنهم موعودون بالجنة فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم و لذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم و تصانيفهم نحن الشيعة حقا فهذا القول هو أقرب إلى السلامة و أشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الإفراط و التفريط إن شاء الله

وَ سُئِلَ عَنِ اَلتَّوْحِيدِ وَ اَلْعَدْلِ فَقَالَ اَلتَّوْحِيدُ أَلاَّ تَتَوَهَّمَهُ وَ اَلْعَدْلُ أَلاَّ تَتَّهِمَهُ هذان الركنان هما ركنا علم الكلام و هما شعار أصحابنا المعتزلة لنفيهم المعاني القديمة التي يثبتها الأشعري و أصحابه و لتنزيههم البارئ سبحانه عن فعل القبيح.و معنى قوله ألا تتوهمه أي ألا تتوهمه جسما أو صورة أو في جهة مخصوصة أو مالئا لكل الجهات كما ذهب إليه قوم أو نورا من الأنوار أو قوة سارية في جميع العالم كما قاله قوم أو من جنس الأعراض التي تحل الحال أو تحل المحل و ليس بعرض كما قاله النصارى و غلاة الشيعة أو تحله المعاني و الأعراض فمتى توهم على شيء من هذا فقد خولف التوحيد و ذلك لأن كل جسم أو عرض أو حال في محل أو محل الحال أو مختص بجهة لا بد أن يكون منقسما في ذاته لا سيما على قول من نفى الجزاء مطلقا و كل منقسم فليس بواحد و قد ثبت أنه واحد و أضاف أصحابنا إلى التوحيد نفي المعاني القديمة و نفي ثان في الإلهية و نفي الرؤية و نفي كونه مشتهيا أو نافرا أو ملتذا أو آلما أو عالما بعلم محدث أو قادرا بقدرة محدثة أو حيا بحياة محدثة أو نفي كونه عالما بالمستقبلات أبدا أو نفي كونه عالما بكل معلوم أو قادرا

على كل الأجناس و غير ذلك من مسائل علم الكلام التي يدخلها أصحابنا في الركن الأول و هو التوحيد.و أما الركن الثاني فهو ألا تتهمه أي لا تتهمه في أنه أجبرك على القبيح و يعاقبك عليه حاشاه من ذلك و لا تتهمه في أنه مكن الكذابين من المعجزات فأضل بهم الناس و لا تتهمه في أنه كلفك ما لا تطيقه و غير ذلك من مسائل العدل التي يذكرها أصحابنا مفصلة في كتبهم كالعوض عن الألم فإنه لا بد منه و الثواب على فعل الواجب فإنه لا بد منه و صدق وعده و وعيده فإنه لا بد منه.و جملة الأمر أن مذهب أصحابنا في العدل و التوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين و هذا المواضع من الموضع التي قد صرح فيها بمذهب أصحابنا بعينه و في فرش كلامه من هذا النمط ما لا يحصى

٤٨٠

وَ قَالَ ع فِي دُعَاءٍ اِسْتَسْقَى بِهِ اَللَّهُمَّ اِسْقِنَا ذُلُلَ اَلسَّحَائِبِ اَلسَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا قال الرضي ﷺ تعالى و هذا من الكلام العجيب الفصاحة و ذلك أنه ع شبه السحب ذوات الرعود و البوارق و الرياح و الصواعق بالإبل الصعاب التي تقمص برحالها و تتوقص بركبانها و شبه السحائب الخالية من تلك الزوابع بالإبل الذلل التي تحتلب طيعة و تقتعد مسمحة قد كفانا الرضي ﷺ بشرحه هذه الكلمة مئونة الخوض في تفسيرها

٤٨١

وَ قِيلَ لَهُ ع لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع اَلْخِضَابُ زِينَةٌ وَ نَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ بِرَسُولِ اَللَّهِ ص يُرِيدُ وَفَاةَ رَسُولِ اَللَّهِ ص

مختارات مما قيل من الشعر في الشيب و الخضاب

قد تقدم لنا في الخضاب قول كاف و أنا أستملح قول الصابي فيه:

خضاب تقاسمناه بيني و بينها و لكن شأني فيه خالف شأنها

فيا قبحه إذ حل مني بمفرقي و يا حسنه إذ حل منها بنانها

و سحقا له عن لمتي حين شانها و أهلا به في كفها حيث زانها

و قال أبو تمام:

لعب الشيب بالمفارق بل جد فأبكى تماضرا و لعوبا

خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد دما أن رأت شواتي خضيبا

كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة و مشيبا

يا نسيب الثغام ذنبك أبقى حسناتي عند الحسان ذنوبا

و لـئن عـبن مـا رأيـن لقـد أنكـرن مسـتنكرا و عـبن معيبـا
لـو رأى الله أن في الشـيب فضـلا جاورتـه الأبـرار في الخلـد شـيبا

و قال:

فـإن يكـن المشـيب طغـى علينـا و أودى بالبشاشـة و الشـباب
فـإني لسـت أدفعـه بشـيء يكـون عليـه أثقـل مـن خضـاب
أردت بأن ذاك و ذا عـذاب فسـلطت العـذاب علـى العـذاب

ابن الرومي:

لم أخضـب الشـيب للغـواني أبغـي بـه عنـدهم ودادا
لكـن خضـابي علـى شـباب لبسـت مـن بعـده حـدادا

و من مختار ما جاء من الشعر في الشيب و إن لم يكن فيه ذكر الخضاب قول أبي تمام:

نسـج المشـيب لـه لفاعـا مغـدفا يققـا فقنـع مذرويـه و نصـفا
نظـر الزمـان إليـه قطـع دونـه نظـر الشـقيق تحسـرا و تلهفـا
مـا اسـود حـتى ابـيض كـالكرم الـذي لم يبـد حـتى جـيء كيمـا يقطفـا
لمـا تفوفـت الخطـوب سـوادها ببياضـها عبثـت بـه فتفوفـا
مـا كـان يخطـر قبـل ذا في فكـره للبـدر قبـل تمامـه أن يكسـفا

و قال أيضا:

غـدا الهـم مختطـا بفـودي خطـة طريـق الـردى منهـا إلى المـوت مهيـع

هــو الــزور يجفــى و المعاشــر يجتــوى و ذو الإلــف يقلــى و الجديــد يرقــع
لــه منظــر في العــين أبــيض ناصــع و لكنــه في القلــب أســود أســفع
و نحــن نرجيــه علــى الكــره و الرضــا و أنـف الفـتى مـن وجهـه و هـو أجـدع

و قال أيضا:

شــعلة في المفــارق اســتودعتني في صــميم الأحشــاء ثكــلا صــميما
تســتثير الهمــوم مــا اكــتن منهــا صــعدا و هــي تســتثير الهمومــا
غــرة مــرة ألا إنمــا كنــت أغــر أيام كنــت بهيمــا
دقــة في الحيــاة تــدعى جــلالا مثــل مــا سمــي اللــديغ ســليما
حلمتــني زعمــتم و أراني قبــل هــذا التحلــيم كنــت حليمــا

و قال الصابي و ذكر الخضاب:

خضــبت مشــيبي للتعلــق بالصــبا و أوهمــت مــن أهــواه أني لم أشــب
فلمــا ادعــى مــني العــذار شــبيبة إذا صـلعي قـد صـاح مـن فوقـه كـذب
فكــم طــرة طــارت و دانــت ذوائــب و كـم وجنـة حالـت و مـاء بهـا نضـب
شــواهد بالتزويــر يحــوين ربهــا فهجرانــه عنــد الأحبــة قــد وجــب

البحتري:

بان الشــباب فــلا عــين و لا أثــر إلا بقيــة بــرد منــه أسمــال
قـد كـدت أخرجـه عـن منتهـى عـددي يأســا و أســقطه إذ فــات مــن بالي
ســوء العواقــب يأس قبلــه أمــل و أعضـل الـداء نكـس بعـد إبـلال
و المــرء طاعــة أيام تنقلــه تنقــل الظــل مــن حــال إلى حــال

٤٨٢

وَ قَالَ ع : مَا اَلْمُجَاهِدُ اَلشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ لَكَادَ اَلْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ اَلْمَلاَئِكَةِ

نبذ و حكايات حول العفة

قد تقدم القول في العفة و هي ضروب عفة اليد و عفة اللسان و عفة الفرج و هي العظمى و قد جاء في الحديث المرفوع من عشق فكتم و عف و صبر فمات مات شهيدا و دخل الجنة و في حكمة سليمان بن داود أن الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده.نزل خارجي على بعض إخوانه منهم مستترا من الحجاج فشخص المنزول عليه لبعض حاجاته و قال لزوجته يا ظمياء أوصيك بضيفي هذا خيرا و كانت من أحسن الناس فلما عاد بعد شهر قال لها كيف كان ضيفك قالت ما أشغله بالعمى عن كل شيء و كان الضيف أطبق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة و لا إلى منزلها إلى أن عاد زوجها.

و قال الشاعر:

إن أكـــن طـــامح اللحـــاظ فـــإني و الـــذي يملـــك القلـــوب عفيـــف

خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه و رأسها مكشوف فرآها رجل أجنبي فرجعت و حلقت شعرها و كانت من أحسن النساء شعرا فقيل لها في ذلك قالت ما كنت لأدع على رأسي شعرا رآه من ليس لي بمحرم. كان ابن سيرين يقول ما غشيت امرأة قط في يقظة و لا نوم غير أم عبد الله و إني لأرى المرأة في المنام و أعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها. و قال بعضهم:

و إني لعـــف عـــن فكاهـــة جـــارتي و إني لمشـــــــنوء إلي اغتيابهـــــــا

إذا غـــاب عنهـــا بعلهـــا لم أكـــن لهـــا صـــــديقا و لم تأنـــــس إلي كلابهـــا

و لم أك طـــــلابا أحاديـــــث ســـــرها و لا عالمـــا مـــن أي حـــوك ثيابهـــا

دخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال ما أرى فيك يا بثينة شيئا مما كان يلهج به جميل فقالت إنه كان يرنو إلي بعينين ليستا في رأسك يا أمير المؤمنين قال فكيف صادفته في عفته قالت كما وصف نفسه إذ قال:

لا و الـــذي تســـجد الجبـــاه لـــه مـــا لي بمـــا ضـــم ثوبهـــا خـــبر

و لا بفيهـــــا و لا هممـــــت بـــــه مـــا كـــان إلا الحـــديث و النظـــر

و قال أبو سهل الساعدي دخلت على جميل في مرض موته فقال يا أبا سهل رجل يلقى الله و لم يسفك دما حراما و لم يشرب خمرا و لم يأت فاحشة أ ترجو له الجنة قلت إي و الله فمن هو قال إني لأرجو أن أكون أنا ذلك فذكرت له بثينة

فقال إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا و أول يوم من أيام الآخرة لا نالتني شفاعة مُحَمَّد إن كنت حدثت نفسي بريبة معها أو مع غيرها قط.قال الشاعر:

قالـــت و قلـــت ترفقـــي فصـــلي حبـــل امـــرئ بوصـــالكم صـــب
صـــادق إذا بعلـــي فقلـــت لهـــا الغـــدر شـــيء لـــيس مـــن شـــعبي
ثنتـــان لا أصـــبو لوصـــلهما عـــرس الصـــديق و جـــارة الجنـــب
أمـــا الصـــديق فلســـت خائنـــه و الجـــار أوصـــاني بـــه ربي

يقال إن امرأة ذات جمال دعت عبد الله بن عبد المطلب إلى نفسها لما كانت ترى على وجهه من النور فأبى و قال:

أمـــا الحـــرام فالممـــات دونـــه و الحـــل لا حـــل فأســـتبينه
فكيـــف بالأمـــر الـــذي تبغينـــه يحمـــي الكـــريم عرضـــه و دينـــه

راود توبة بن الحمير ليلى الأخيلية مرة عن نفسها فاشمأزت منه و قالت:

و ذي حاجـة قلنـا لـه لا تـبح بهـا فلـيس إليهـا مـا حييـت سـبيل
لنـا صـاحب لا ينبغـي أن نخونـه و أنـت لأخـرى صـاحب و خليـل

ابن ميادة:

موانـــع لا يعطـــين حبـــة خـــردل و هـــن زوان في الحـــديث أوانـــس
و يكـرهن أن يسـمعن في اللهـو ريبـة كمـا كرهـت صـوت اللجـام الشـوامس

آخر:

بـــيض أوانـــس مـــا هممـــن بريبـــة كظبـــاء مكـــة صـــيدهن حـــرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا و يصدهن عن الخنا الإسلام

في الحديث المرفوع لا تكونن حديد النظر إلى ما ليس لك فإنه لا يزني فرجك ما حفظت عينيك و إن استطعت ألا تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحل لك فافعل و لن تستطيع ذلك إلا بإذن الله.كان ابن المولى الشاعر المدني موصوفا بالعفة و طيب الإزار فأنشد عبد الملك شعرا له من جملته:

و أبكي فلا ليلى بكت من صبابة لباك و لا ليلى لذي البذل تبذل

و أخنع بالعتبى إذا كنت مذنبا و إن أذنبت كنت الذي أتنصل

فقال عبد الملك من ليلى هذه إن كانت حرة لأزوجنكها و إن كانت أمة لأشترينها لك بالغة ما بلغت فقال كلا يا أمير المؤمنين ما كنت لأصعر وجه حر أبدا في حرته و لا في أمته و ما ليلى التي أنست بها إلا قوسي هذه سميتها ليلى لأن الشاعر لا بد له من النسيب.ابن الملوح المجنون:

كأن على أنيابها الخمر مجه بماء الندى من آخر الليل غابق

و ما ذقته إلا بعيني تفرسا كما شيم من أعلى السحابة بارق

هذا مثل بيت الحماسة:

بأعذب من فيها و ما ذقت طعمه و لكني فيما ترى العين فارس

شاعر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشة إلا نهاني الحياء و الكرم

و لا إلى محـــــرم مـــــددت يـــــدي و لا مشـــــت بي لريبـــــة قـــــدم

العباس بن الأحنف:

أ تأذنـــــون لصـــــب في زيارتكـــــم فعنـــدكم شـــهوات الســـمع و البصـــر

لا يضـــمر الســـوء إن طـــال الجلـــوس بـــه عـــف الضـــمير و لكـــن فاســـق النظـــر

قال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في الموسم و هي في غاية الضر و النحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل لك من حاجة قالت حاجتي إن تنادي في الموقف بقولي:

تـــــزود كـــــل النـــــاس زادا يقـــــيمهم و مـــا لي زاد و الســـلام علـــى نفســـي

ففعلت و إذا أنا بفتى منهوك فقال أنا الزاد فمضيت به إليها فما زادوا على النظر و البكاء ثم قالت له انصرف مصاحبا فقلت ما علمت أن التقاء كما يقتصر فيه على هذا فقالت أمسك يا فتى أ ما علمت أن ركوب العار و دخول النار شديد.قال بعضهم:

كـــم قـــد ظفـــرت بمـــن أهـــوى فيمنعـــني منـــه الحيـــاء و خـــوف الله و الحـــذر

و كـــم خلـــوت بمـــن أهـــوى فيقنعـــني منـــه الفكاهـــة و التحـــديث و النظـــر

أهـــوى المـــلاح و أهـــوى أن أجالســـهم و لـــيس لي في حـــرام مـــنهم وطـــر

كـــذلك الحـــب لا إتيـــان معصـــية لا خـــير في لـــذة مـــن بعـــدها ســـقر

قال مُحَمَّد بن عبد الله بن طاهر لبنيه اعشقوا تظرفوا و عفوا تشرفوا.وصف أعرابي امرأة طرقها فقال ما زال القمر يرينيها فلما غاب أرتنيه فقيل فما كان بينكما قال ما أقرب ما أحل الله مما حرم إشارة في غير بأس و دنو من غير مساس و لا وجع أشد من الذنوب.

كثير عزة:

و إني لأرضـــى منـــك يا عـــز بالـــذي لـــو أبصـــره الواشـــي لقـــرت بلابلـــه
بـــــلا و بألا أســـــتطيع و بالمـــــنى و بالوعـــد حـــتى يســـأم الوعـــد آملـــه
و بالنظـرة العجلـي و بالحـول ينقضـي أواخـــــره لا نلتقـــــي و أوائلـــــه

و قال بعض الظرفاء كان أرباب الهوى يسرون فيما مضى و يقنعون بأن يمضغ أحدهم لبانا قد مضغته محبوبته أو يستاك بسواكها و يرون ذاك عظيما و اليوم يطلب أحدهم الخلوة و إرخاء الستور كأنه قد أشهد على نكاحها أبا سعيد و أبا هريرة.و قال أحمد بن أبي عثمان الكاتب:

و إني ليرضـــــيني المـــــرور ببابهـــــا و أقنـــع منهـــا بالوعيـــد و بالزجـــر

قال يوسف بن الماجشون أنشدت مُحَمَّد بن المنكدر قول وضاح اليمن:

إذا قلـــت هـــاتي نـــوليني تبســـمت و قالـت معـاذ الله مـن فعـل مـا حـرم
فمـــا نولـــت حـــتى تضـــرعت حولهـــا و عرفتهـــا مـــا رخـــص الله في اللمـــم

فضحك و قال إن كان وضاح لفقيها في نفسه.قال آخر:

فقالـــــت بحـــــق الله إلا أتيتنـــــا إذا كـــان لـــون الليـــل لـــون الطيـــالس
فجئـت و مـا في القـوم يقظـان غيرهـا و قـد نام عنهـا كـل وال و حـارس
فبتنـــــا مبيتـــــا طيبـــــا نســـــتلذه جميعـا و لم أمـدد لهـا كـف لامـس

مرت امرأة حسناء بقوم من بني نمير مجتمعين في ناد لهم فرمقوها بأبصارهم.و قال قائل منهم ما أكملها لو لا أنها رسحاء فالتفتت إليهم و قالت و الله

يا بني نمير ما أطعتم الله و لا الشاعر قال الله تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ) .و قال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

فأخجلتهم.و قال أبو صخر الهذلي من شعر الحماسة:

لليلة منها تعود لنا من غير ما رفث و لا إثم

أشهى إلى نفسي و لو برحت مما ملكت و من بني سهم

آخر:

و ما نلت منها محرما غير أنني أقبل بساما من الثغر أفلجا

و الثم فاها آخذا بقرونها و أترك حاجات النفوس تحرجا

و أعف من هذا الشعر قول عبد بني الحسحاس على فسقه:

لعمر أبيها ما صبوت و لا صبت إلي و إني من صبا لحليم

سوى قبلة أستغفر الله ذنبها سأطعم مسكينا لها و أصوم

و قال آخر:

و مجدولة جدل العناق كأنما سنا البرق في داجي الظلام ابتسامها

ضربت لها الميعاد ليست بكنة و لا جارة يخشى على ذمامها

فلما التقينا قالت الحكم فاحتكم سوى خلة هيهات منك مرامها

فقلت معاذ الله أن أركب التي تبيد و يبقى في المعاد أثامها

قوله ليست بكنة و لا جارة يخشى علي ذمامها مأخوذ من قول قيس بن الخطيم:

و مثلك قد أحببت ليست بكنة و لا جارة و لا حليلة صاحب

و هذا الشاعر قد زاد عليه بقوله و لا حليلة صاحب.و أنشد ابن مندويه لبعضهم:

أنا زاني اللسان و الطرف إلا أن قلبي يعاف ذاك و يأبى

لا يراني الإله أشرب إلا كل ما حل شربه لي و طابا

آخر:

نلهو بهن كذا من غير فاحشة لهو الصيام بتفاح البساتين

بشار بن برد:

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم ما في التزام و لا في قبلة حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته و فاز بالطيبات الفاتك اللهج

البيت الآخر مثل قول القائل:

من راقب الناس مات هما و فاز باللذة الجسور

أبو الطيب المتنبي:

و ترى الفتوة و المروءة و الأبوة في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

كان الصاحب ﷺ يستهجن قوله عما في سراويلاتها و يقول إن كثيرا من العهر أحسن من هذه العفة و معنى البيت الأول أن هذه الخلال الثلاث تراهن الملاح ضرائر لهن لأنهن يمنعنه عن الخلوة بالملاح و التمتع بهن ثم قال إن هذه الخلال هي التي تمنعه لا الخوف من تبعاتها و قال قوم هذا تهاون بالدين و نوع من الإلحاد و عندي أن هذا مذهب للشعراء معروف لا يريدون به التهاون بالدين بل المبالغة في وصف سجاياهم و أخلاقهم بالطهارة و أنهم يتركون القبيح لأنه قبيح لا لورود الشرع به و خوف العقاب منه و يمكن أيضا أن يريد بتبعاتها تبعات الدنيا أي لا أخاف من قوم هذه المحبوبة التي أنست بها و لا أشفق من حربهم و كيدهم فأما عفة اليد و عفة اللسان فهما باب آخر و قد ذكرنا طرفا صالحا من ذلك في الأجزاء المتقدمة عند ذكرنا الورع.و في الحديث المرفوع لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذار ما به البأس.و قال أبو بكر في مرض موته إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأخذ لهم درهما و لا دينارا و أكلنا من جريش الطعام و لبسنا من خشن الثياب و ليس عندنا من فيء المسلمين إلا هذا الناضح و هذا العبد الحبشي و هذه القطيفة فإذا قبضت فادفعوا ذلك إلى عمر ليجعله في بيت مال المسلمين فلما مات حمل ذلك إلى عمر فبكى كثيرا ثم قال رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده.قال سليمان بن داود يا بني إسرائيل أوصيكم بأمرين أفلح من فعلهما لا تدخلوا أجوافكم إلا الطيب و لا تخرجوا من أفواهكم إلا الطيب.

و قال بعض الحكماء إذا شئت أن تعرف ربك معرفة يقينية فاجعل بينك و بين المحارم حائطا من حديد فسوف يفتح عليك أبواب معرفته.و مما يحكى من ورع حسان بن أبي سنان أن غلاما له كتب إليه من الأهواز أن قصب السكر أصابته السنة آفة فابتع ما قدرت عليه من السكر فإنك تجد له ربحا كثيرا فيما بعد فابتاع و طلب منه ما ابتاعه بعد قليل بربح ثلاثين ألف درهم فاستقال البيع من صاحبه و قال إنه لم يعلم ما كنت أعلم حين اشتريته منه فقال البائع قد علمت الآن مقدار الربح و قد طيبته لك و أحللتك فلم يطمئن قلبه و ما زال حتى رده عليه.يقال إن غنم الغارة اختلطت بغم أهل الكوفة فتورع أبو حنيفة أن يأكل اللحم و سأل كم تعيش الشاة قالوا سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين.و يقال إن المنصور حمل إليه بدرة فرمى بها إلى زاوية البيت فلما مات جاء بها ابنه حماد بن أبي حنيفة إلى أبي الحسن بن أبي قحطبة و قال إن أبي أوصاني أن أرد هذه عليك و قال إنها كانت عندي كالوديعة فاصرفها فيما أمرك الله به فقال أبو الحسن رحم الله أبا حنيفة لقد شح بدينه إذ سخت به نفوس أقوام.و قال سفيان الثوري انظر درهمك من أين هو و صل في الصف الأخير.

جابر سمعت النبي ص يقول لكعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت النار أولى به.الحسن لو وجدت رغيفا من حلال لأحرقته ثم سحقته ثم جعلته ذرورا ثم داويت به المرضى.

عائشة قالت يا رسول الله من المؤمن قال من إذا أصبح نظر إلى رغيفيه كيف يكتسبهما قالت يا رسول الله أما إنهم لو كلفوا ذلك لتكلفوه فقال لها إنهم قد كلفوه و لكنهم يعسفون الدنيا عسفا

حذيفة بن اليمان يرفعه أن قوما يجيئون يوم القيامة و لهم من الحسنات كأمثال الجبال فيجعلها الله هباء منثورا ثم يؤمر بهم إلى النار فقيل خلهم لنا يا رسول الله قال إنهم كانوا يصلون و يصومون و يأخذون أهبة من الليل و لكنهم كانوا إذا عرض عليهم الحرام وثبوا عليه

٤٨٣

وَ قَالَ ع : اَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ قال و قد روى بعضهم هذا الكلام عن رسول الله ص قد تقدم القول في هذا المعنى و قد تكررت هذه اللفظة بذاتها في كلامه ع.و من جيد القول في القناعة قول الغزي:

أنا كالثعبان جلدي ملبسي لست محتاجا إلى ثوب الجمال
فالخمول العز و اليأس الغنى و القنوع الملك هذا ما بدا لي

و قال أيضا:

لا تعجبن لمن يهوى و يصعد في دنياه فالخلق في أرجوحة القدر
و اقنع بما قل فالأوشال صافية و لجة البحر لا تخلو من الكدر

٤٨٤

وَ قَالَ ع لِزِيَادِ اِبْنِ أَبِيهِ وَ قَدِ اِسْتَخْلَفَهُ لِعَبْدِ اَللَّهِ بْنِ اَلْعَبَّاسِ عَلَى فَارِسَ وَ أَعْمَالِهَا فِي كَلاَمٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نَهَاهُ فِيهِ عَنْ تَقْدِيمِ تَقَدُّمِ اَلْخَرَاجِ.اِسْتَعْمِلِ اَلْعَدْلَ وَ اِحْذَرِ اَلْعَسْفَ وَ اَلْحَيْفَ فَإِنَّ اَلْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلاَءِ وَ اَلْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى اَلسَّيْفِ قد سبق الكلام في العدل و الجور و كانت عادة أهل فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستسلاف أو لأنهم كانوا يظنون أن أول السنة القمرية هو مبتدأ وجوب الخراج حملا للخراج التابع لسنة الشمس على الحقوق الهلالية التابعة لسنة القمر كأجرة العقار و جوالي أهل الذمة فكان ذلك يجحف بالناس و يدعو إلى عسفهم و حيفهم.و قد غلط في هذا المعنى جماعة من الملوك في كثير من الأعصار و لم يعلموا فرق ما بين السنتين ثم تنبه له قوم من أذكياء الناس فكبسوا و جعلوا السنين واحدة ثم أهمل الناس الكبس و انفرج ما بين السنة القمرية و السنة الخراجية التي هي سنة الشمس انفراجا كثيرا.و استقصاء القول في ذلك لا يليق بهذا الموضع لأنه خارج عن فن الأدب الذي هو موضوع كتابنا هذا

٤٨٥

وَ قَالَ ع : أَشَدُّ اَلذُّنُوبِ مَا اِسْتَخَفَّ بِهَا صَاحِبُهَا صَاحِبُهُ عظم المصيبة على حسب نعمة العاصي و لهذا كان لطم الولد وجه الوالد كبيرا ليس كلطمة وجه غير الوالد.و لما كان البارئ تعالى أعظم المنعمين بل لا نعمة إلا و هي في الحقيقة من نعمه و منسوبة إليه كانت مخالفته و معصيته عظمة جدا فلا ينبغي لأحد أن يعصيه في أمر و إن كان قليلا في ظنه ثم يستقله و يستهين به و يظهر الاستخفاف و قلة الاحتفال بمواقعته فإنه يكون قد جمع إلى المعصية معصية أخرى و هي الاستخفاف بقدر تلك المعصية التي لو أمعن النظر لعلم أنها عظيمة ينبغي له لو كان رشيدا أن يبكي عليها الدم فضلا عن الدمع فلهذا قال ع أشد الذنوب ما استخف بها صاحبها

٤٨٦

وَ قَالَ ع : مَا أَخَذَ اَللَّهُ عَلَى أَهْلِ اَلْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ اَلْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا تعليم العلم فرض كفاية و

في الخبر المرفوع من علم علما و كتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار و روى معاذ بن جبل عن النبي ص قال تعلموا العلم فإن تعلمه خشية الله و دراسته تسبيح و البحث عنه جهاد و طلبه عبادة و تعليمه صدقة و بذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال و الحرام و بيان سبيل الجنة و المؤنس في الوحشة و المحدث في الخلوة و الجليس في الوحدة و الصاحب في الغربة و الدليل على السراء و المعين على الضراء و الزين عند الأخلاء و السلاح على الأعداء.و رئي واصل بن عطاء يكتب من صبي حديثا فقيل له مثلك يكتب من هذا فقال أما إني أحفظ له منه و لكني أردت أن أذيقه كأس الرئاسة ليدعوه ذلك إلى الازدياد من العلم.

و قال الخليل العلوم أقفال و السؤالات مفاتيحها.و قال بعضهم كان أهل العلم يضنون بعلمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه و يبذلون لهم دنياهم و اليوم قد بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهدوا فيه و ضنوا عنهم بدنياهم.و قال بعضهم ابذل علمك لمن يطلبه و ادع إليه من لا يطلبه و إلا كان مثلك كمن أهديت له فاكهة فلم يطعمها و لم يطعمها حتى فسدت

٤٨٧

وَ قَالَ ع : شَرُّ اَلْإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفُ تُكُلِّفَ لَهُ إنما كان كذلك لأن الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط و ترك التكلف فإذا احتيج إلى التكلف له فقد دل ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق و من ليس بأخ صادق فهو من شر الإخوان.و روى ابن ناقيا في كتاب ملح المالحة قال دخل الحسن بن سهل على المأمون فقال له كيف علمك بالمروءة قال ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه قال عليك بعمرو بن مسعدة قال فوافيت عمرا و في داره صناع و هو جالس على آجرة ينظر إليهم فقلت إن أمير المؤمنين يأمرك أن تعلمني المروءة فدعا بآجرة فأجلسني عليها و تحدثنا مليا و قد امتلأت غيظا من تقصيره بي ثم قال يا غلام عندك شيء يؤكل فقال نعم فقدم طبقا لطيفا عليه رغيفان و ثلاث سكرجات في إحداهن خل و في الأخرى مريء و في الأخرى ملح فأكلنا و جاء الفراش فوضأنا ثم قال إذا شئت فنهضت متحفظا و لم أودعه فقال لي إن رأيت أن تعود إلي في يوم مثله فلم أذكر للمأمون شيئا مما جرى فلما كان في اليوم الذي وعدني فيه لقياه

سرت إليه فاستؤذن لي عليه فتلقاني على باب الدار فعانقني و قبل بين عيني و قدمني أمامه و مشى خلفي حتى أقعدني في الدست و جلس بين يدي و قد فرشت الدار و زينت بأنواع الزينة و أقبل يحدثني و يتنادر معي إلى أن حضرت وقت الطعام فأمر فقدمت أطباق الفاكهة فأصبنا منها و نصبت الموائد فقدم عليها أنواع الأطعمة من حارها و باردها و حلوها و حامضها ثم قال أي الشراب أعجب إليك فاقترحت عليه و حضر الوصائف للخدمة فلما أردت الانصراف حمل معي جميع ما أحضر من ذهب و فضة و فرش و كسوة و قدم إلى البساط فرس بمركب ثقيل فركبته و أمر من بحضرته من الغلمان الروم و الوصائف حتى سعوا بين يدي و قال عليك بهم فهم لك ثم قال إذا زارك أخوك فلا تتكلف له و اقتصر على ما يحضرك و إذا دعوته فاحتفل به و احتشد و لا تدعن ممكنا كفعلنا إياك عند زيارتك إيانا و فعلنا يوم دعوناك

٤٨٨

وَ قَالَ ع فِي كَلاَمٍ لَهُ : إِذَا اِحْتَشَمَ اَلْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ قال الرضي يقال حشمه و أحشمه إذا أغضبه و قيل أخجله أو احتشمه طلب ذلك و هو مظنة مفارقته ليس يعني أن الاحتشام علة الفرقة بل هو دلالة و أمارة على الفرقة لأنه لو لم يحدث عنه ما يقتضي الاحتشام لانبسط على عادته الأولى فالانقباض أمارة المباينة.هذا آخر ما دونه الرضي أبو الحسن ﷺ من كلام أمير المؤمنين ع في نهج البلاغة قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى.و نحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم إليه فبعضه مشهور عنه و بعضه ليس بذلك المشهور لكنه قد روي عنه و عزي إليه و بعضه من كلام غيره من الحكماء و لكنه كالنظير لكلامه و المضارع لحكمته و لما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة رأينا ألا نخلي هذا الكتاب عنه لأنه كالتكملة و التتمة لكتاب نهج البلاغة.

و ربما وقع في بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبه له لطول الكتاب و تباعد أطرافه و قد عددنا ذلك كلمة كلمة فوجدناه ألف كلمة.فإن اعترضنا معترض و قال فإذا كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له فلما ذا ذكرتموه و هل ذلك إلا نوع من التطويل.أجبناه و قلنا لو كان هذا الاعتراض لازما لوجب ألا نذكر شيئا من الأشباه و النظائر لكلامه فالعذر هاهنا هو العذر هناك و هو أن الغرض بالكتاب الأدب و الحكمة فإذا وجدنا ما يناسب كلامه ع و ينصب في قالبه و يحتذي حذوه و يتقبل منهاجه ذكرناه على قاعدتنا في ذكر النظير عند الخوض في شرح نظيره.و هذا حين الشروع فيها خالية عن الشرح لجلائها و وضوحها و إن أكثرها قد سبقت نظائره و أمثاله و بالله التوفيق

الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

١ كان كثيرا ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل أشهد أن السماوات و الأرض و ما بينهما آيات تدل عليك و شواهد تشهد بما إليه دعوت كل ما يؤدي عنك الحجة و يشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك و معالم تدبيرك علوت بها عن خلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر و كفاها رجم الاحتجاج فهي مع معرفتها بك و ولهها إليك شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام و لا تدركك العقول و لا الأبصار أعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يد إلى غيرك لا إله إلا أنت واحدا أحدا فردا صمدا و نحن لك مسلمون

٢ إلهي كفاني فخرا أن تكون لي ربا و كفاني عزا أن أكون لك عبدا أنت كما أريد فاجعلني كما تريد

٣ ما خاف امرؤ عدل في حكمه و أطعم من قوته و ذخر من دنياه لآخرته

٤ أفضل على من شئت تكن أميره و استغن عمن شئت تكن نظيره و احتج إلى من شئت تكن أسيره

٥ لو لا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في العاجل سرعة زوالها و في الآجل عظيم ثوابها بين أضعاف نعم لو اجتمع أهل السماوات و الأرض على إحصائها ما وفوا بها فضلا عن القيام بشكرها

٦ من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار و العمل الحزم في أمره و الصدق في قوله و العدل في حكمه و الشفقة على رعيته لا تخرجه القدرة إلى خرق و لا اللين إلى ضعف و لا تمنعه العزة من كرم عفو و لا يدعوه العفو إلى

إضاعة حق و لا يدخله الإعطاء في سرف و لا يتخطى به القصد إلى بخل و لا تأخذه نعم الله ببطر

٧ الفسق نجاسة في الهمة و كلب في الطبيعة

٨ قلوب الجهال تستفزها الأطماع و ترتهن بالأماني و تتعلق بالخدائع و كثرة الصمت زمام اللسان و حسم الفطنة و إماطة الخاطر و عذاب الحس

٩ عداوة الضعفاء للأقوياء و السفهاء للحلماء و الأشرار للأخيار طبع لا يستطاع تغييره

١٠ العقل في القلب و الرحمة في الكبد و التنفس في الرئة

١١ إذا أراد الله بعبد خيرا حال بينه و بين شهوته و حجز بينه و بين قلبه و إذا أراد به شرا وكله إلى نفسه

١٢ الصبر مطية لا تكبو و القناعة سيف لا ينبو

١٣ رحم الله عبدا اتقى ربه و ناصح نفسه و قدم توبته و غلب شهوته فإن أجله مستور عنه و أمله خادع له و الشيطان موكل به

١٤ مر بمقبرة فقال السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة و المحال المقفرة من المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات أنتم لنا فرط و نحن لكم تبع نزوركم عما قليل و نلحق بكم بعد زمان قصير اللهم اغفر لنا و لهم و تجاوز عنا و عنهم

الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا أحياء و أمواتا و الحمد لله الذي منها خلقنا و عليها ممشانا و فيها معاشنا و إليها يعيدنا طوبى لمن ذكر المعاد و قنع بالكفاف و أعد للحساب

١٥ إنكم مخلوقون اقتدارا و مربوبون اقتسارا و مضمنون أجداثا و كائنون رفاتا و مبعوثون أفرادا و مدينون حسابا فرحم الله امرأ اقترف فاعترف و وجل فعقل و حاذر فبادر و عمر فاعتبر و حذر فازدجر و أجاب فأناب و راجع فتاب و اقتدى فاحتذى و تأهب للمعاد و استظهر بالزاد ليوم رحيله و وجه سبيله و لحال حاجته و موطن فاقته فقدم أمامه لدار مقامه فمهدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان و فسحة الأعمار فهل ينتظر أهل غضارة الشباب إلا حواني الهرم و أهل بضاضة الصحة إلا نوازل السقم و أهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء و اقتراب الفوت و مشارفة الانتقال و إشفاء الزوال و حفز الأنين و رشح الجبين و امتداد العرنين و علز القلق و قيظ الرمق و شدة المضض و غصص الجرض

١٦ ثلاث منجيات خشية الله في السر و العلانية و القصد في الفقر و الغنى و العدل في الغضب و الرضا

١٧ إياكم و الفحش فإن الله لا يحب الفحش و إياكم و الشح فإنه أهلك من كان قبلكم هو الذي سفك دماء الرجال و هو الذي قطع أرحامها فاجتنبوه

١٨ إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث صدقة جارية و علم كان علمه الناس فانتفعوا به و ولد صالح يدعو له

١٩ إذا فعلت كل شيء فكن كمن لم يفعل شيئا

٢٠ سأله رجل فقال بما ذا أسوء عدوي فقال بأن تكون على غاية الفضائل لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فاره أو كلب صيود فهو لأن تذكر بالجميل و ينسب إليك أشد مساءة

٢١ إذا قذفت بشيء فلا تتهاون به و إن كان كذبا بل تحرز من طرق القذف جهدك فإن القول و إن لم يثبت يوجب ريبة و شكا

٢٢ عدم الأدب سبب كل شر

٢٣ الجهل بالفضائل عدل الموت

٢٤ ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلا

٢٥ من لم يقهر حسده كان جسده قبرا لنفسه

٢٦ احمد من يغلظ عليك و يعظك لا من يزكيك و يتملقك

٢٧ اختر أن تكون مغلوبا و أنت منصف و لا تختر أن تكون غالبا و أنت ظالم

٢٨ لا تهضمن محاسنك بالفخر و التكبر

٢٩ لا تنفك المدنية من شر حتى يجتمع مع قوة السلطان قوة دينه و قوة حكمته

٣٠ إذا أردت أن تحمد فلا يظهر منك حرص على الحمد

٣١ من كثر همه سقم بدنه و من ساء خلقه عذب نفسه و من لاحى الرجال سقطت مروءته و ذهبت كرامته و أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان

٣٢ كن ورعا تكن من أعبد الناس و ارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس و أحسن جوار من جاورك تكن مسلما و لا تكثرن الضحك فإن كثرته تميت القلب و أخرس لسانك و اجلس في بيتك و ابك على خطيئتك

٣٣ إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه و لا يرد القدر إلا الدعاء و لا يزيد في العمر إلا البر و لا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه و عن شبابه فيم أبلاه و عن ماله من أين اكتسبه و فيم أنفقه و عما عمل فيما علم

٣٤ في التجارب علم مستأنف و الاعتبار يفيدك الرشاد و كفاك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك و عليك لأخيك مثل الذي عليه لك

٣٥ الغضب يثير كامن الحقد و من عرف الأيام لم يغفل الاستعداد و من أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول

٣٦ اسكت و استر تسلم و ما أحسن العلم يزينه العمل و ما أحسن العمل يزينه الرفق

٣٧ أكبر الفخر ألا تفخر

٣٨ ما أصعب اكتساب الفضائل و أيسر إتلافها

٣٩ لا تنازع جاهلا و لا تشايع مائقا و لا تعاد مسلطا

٤٠ الموت راحة للشيخ الفاني من العمل و للشاب السقيم من السقم و للغلام

الناشئ من استقبال الكد و الجمع لغيره و لمن ركبه الدين لغرمائه و للمطلوب بالوتر و هو في جملة الأمر أمنية كل ملهوف مجهود

٤١ ما كنت كاتمه عدوك من سر فلا تطلعن عليه صديقك و اعرف قدرك يستعل أمرك و كفى ما مضى مخبرا عما بقي

٤٢ لا تعدن عدة تحقرها قلة الثقة بنفسك و لا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرا

٤٣ اتق العواقب عالما بأن للأعمال جزاء و أجرا و احذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها

٤٤ من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأي و من أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل و من أخل بالصبر أخل به حسن العاقبة فإن الصبر قوة من قوى العقل و بقدر مواد العقل و قوتها يقوى الصبر

٤٥ الخطأ في إعطاء من لا يبتغي و منع من يبتغي واحد

٤٦ العشق مرض ليس فيه أجر و لا عوض

٤٧ أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب و قائل كلمة الزور و من يمد بحبلها في الإثم سواء

٤٨ الخصومة تمحق الدين

٤٩ الجهاد ثلاثة جهاد باليد و جهاد باللسان و جهاد بالقلب فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ثم يصير إلى القلب فإن كان لا يعرف معروفا و لا ينكر منكرا نكس فجعل أعلاه أسفله

٥٠ ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه

٥١ الحاجة مسألة و الدعاء زيادة و الحمد شكر و الندم توبة

٥٢ لن و احلم تنبل و لا تكن معجبا فتمقت و تمتهن

٥٣ ما لي أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلا تكلفوا إنارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون بطونهم و لا يهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة و الذنوب في اعتقاداتهم و أعمالهم

٥٤ الفقر هو أصل حسن سياسة الناس و ذلك أنه إذا كان من حسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس و بعضهم يساس و كان من يساس لا يستقيم أن يساس من غير أن يكون فقيرا محتاجا فقد تبين أن الفقر هو السبب الذي به يقوم حسن السياسة

٥٥ لا تتكلم بين يدي أحد من الناس دون أن تسمع كلامه و تقيس ما في نفسك من العلم إلى ما في نفسه فإن وجدت ما في نفسه أكثر فحينئذ ينبغي لك أن تروم زيادة الشيء الذي به يفضل على ما عندك

٥٦ إذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر في النفس فليس ينبغي أن تستعمله فيما لم يخطر فيها

٥٧ إذا كان الآباء هم السبب في الحياة فمعلمو الحكمة و الدين هم السبب في جودتها

٥٨ و شكا إليه رجل تعذر الرزق فقال مه لا تجاهد الرزق جهاد المغالب و لا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة و الإجمال

في الطلب من العفة و ليست العفة دافعة رزقا و لا الحرص جالبا فضلا لأن الرزق مقسوم و في شدة الحرص اكتساب المآثم

٥٩ إذا استغنيت عن شيء فدعه و خذ ما أنت محتاج إليه

٦٠ العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه فتعلم الأهم فالأهم

٦١ من رضي بما قسم له استراح قلبه و بدنه

٦٢ أبعد ما يكون العبد من الله إذا كان همه بطنه و فرجه

٦٣ ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين فلا تعطوها سؤلها فيشغلكم عن ذكر الله

٦٤ ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم

٦٥ إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت فاستعينوا بالله و اصبروا ف إِنَّ اَلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ

٦٦ قال له عثمان في كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبي بكر و عمر أبو بكر و عمر خير منك فقال أنا خير منك و منهما عبدت الله قبلهما و عبدته بعدهما

٦٧ أوثق سلم يتسلق عليه إلى الله تعالى أن يكون خيرا

٦٨ ليس الموسر من كان يساره باقيا عنده زمانا يسيرا و كان يمكن أن يغتصبه غيره منه و لا يبقى بعد موته له لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائما عند مالكه و لا يمكن أن يؤخذ منه و يبقى له بعد موته و ذلك هو الحكمة

٦٩ الشرف اعتقاد المنن في أعناق الرجال

٧٠ يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة و تكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة و التفريط في العمل اتكالا على القدر

٧١ أحزم الناس من ملك جده هزله و قهر رأيه هواه و أعرب عن ضميره فعله و لم يخدعه رضاه عن حظه و لا غضبه عن كيده

٧٢ من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه

٧٣ من اتبع هواه ضل و من حاد ساد و خمود الذكر أجمل من ذميم الذكر

٧٤ لهب الشوق أخف محملا من مقاساة الملالة

٧٥ بالرفق تنال الحاجة و بحسن التأني تسهل المطالب

٧٦ عزيمة الصبر تطفئ نار الهوى و نفي العجب يؤمن به كيد الحساد

٧٧ ما شيء أحق بطول سجن من لسان

٧٨ لا نذر في معصية و لا يمين في قطيعة

٧٩ لكل شيء ثمرة و ثمرة المعروف تعجيل السراح

٨٠ إياكم و الكسل فإنه من كسل لم يؤد لله حقا

٨١ احسبوا كلامكم من أعمالكم و أقلوه إلا في الخير

٨٢ أحسنوا صحبة النعم فإنها تزول و تشهد على صاحبها بما عمل فيها

٨٣ أكثروا ذكر الموت و يوم خروجكم من قبوركم و يوم وقوفكم بين يدي الله عزوجل يهن عليكم المصاب

٨٤ بحسب مجاهدة النفوس و ردها عن شهواتها و منعها عن مصافحة لذاتها و منع ما أدت إليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون المثوبات و العقوبات و الحازم من ملك هواه فكان بملكه له قاهرا و لما قدحت الأفكار من سوء الظنون زاجرا فمتى لم ترد النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شغفت به فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة و الأطماع الكاذبة و الأماني المتلاشية و كما أن البصر إذا اعتل رأى أشباحا و خيالات لا حقيقة لها كذلك النفس إذا اعتلت بحب الشهوات و انطوت على قبيح الإرادات رأت الآراء الكاذبة فإلى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا و به نستعين على إرشاد نفوسنا فإن القلوب بيده يصرفها كيف شاء

٨٥ لا تؤاخين الفاجر فإنه يزين لك فعله و يود لو أنك مثله و يحسن لك أقبح خصاله و مدخله و مخرجه من عندك شين و عار و نقص و لا الأحمق فإنه يجهد لك نفسه و لا ينفعك و ربما أراد أن ينفعك فضرك سكوته خير لك من نطقه و بعده خير لك من قربه و موته خير لك من حياته و لا الكذاب فإنه لا ينفعك معه شيء ينقل حديثك و ينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فلا يصدق

٨٦ ما استقصى كريم قط قال تعالى في وصف نبيه (عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ)

٨٧ رب كلمة يخترعها حليم مخافة ما هو شر منها و كفى بالحلم ناصرا

٨٨ من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا و لا عن النار مهربا من عرف الله فأطاعه و عرف الشيطان فعصاه و عرف الحق فاتبعه و عرف الباطل فاتقاه و عرف الدنيا فرفضها و عرف الآخرة فطلبها

٨٩ من استحيا من الناس و لم يستحي من نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدر

٩٠ غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه

٩١ البلاغة النصر بالحجة و المعرفة بمواضع الفرصة و من البصر بالحجة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة و كانت الكناية أبلغ في الدرك و أحق بالظفر

٩٢ إياك و الشهوات و ليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك مهجنة لرأيك شائنة لغرضك شاغلة لك عن معاظم أمورك مشتدة بها التبعة عليك في آخرتك إنما الشهوات لعب فإذا حضر اللعب غاب الجد و لن يقام الدين و تصلح الدنيا إلا بالجد فإذا نازعتك نفسك إلى اللهو و اللذات فاعلم أنها قد نزعت بك إلى شر منزع و أرادت بك أفضح الفضوح فغالبها مغالبة ذلك و امتنع منها امتناع ذلك و ليكن مرجعك منها إلى الحق فإنك مهما تترك من الحق لا تتركه إلا إلى الباطل و مهما تدع من الصواب لا تدعه إلا إلى الخطإ فلا تداهنن هواك في اليسير فيطمع منك في الكثير و ليس شيء مما أوتيت فاضلا عما يصلحك و ليس لعمرك و إن طال فضل عما ينوبك من الحق اللازم لك و لا بمالك و إن كثر فضل عما يجب عليك فيه و لا بقوتك و إن تمت فضل عن أداء حق الله عليك و لا برأيك و إن حزم فضل عما لا تعذر بالخطإ فيه فليمنعنك علمك بذلك من أن تطيل لك عمرا في غير نفع أو تضيع لك مالا في غير حق أو أن تصرف لك قوة في غير عبادة أو تعدل لك رأيا في غير رشد

فالحفظ الحفظ لما أوتيت فإن بك إلى صغير ما أوتيت الكثير منه أشد الحاجة و عليك بما أضعته منه أشد الرزية و لا سيما العمر الذي كل منفذ سواه مستخلف و كل ذاهب بعده مرتجع فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فلتكن لذتك في محادثة العلماء و درس كتبهم فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغا منك مبلغا إلا و إكبابك على ذلك و نظرك فيه بالغه منك غير أن ذلك يجمع إلى عاجل السرور تمام السعادة و خلاف ذلك يجمع إلى عاجل الغي و خامة العاقبة و قديما قيل أسعد الناس أدركهم لهواه إذا كان هواه في رشده فإذا كان هواه في غير رشده فقد شقي بما أدرك منه و قديما قيل عود نفسك الجميل فباعتيادك إياه يعود لذيذا

٩٣ وكل ثلاث بثلاث الرزق بالحمق و الحرمان بالعقل و البلاء بالمنطق ليعلم ابن آدم أن ليس له من الأمر شيء

٩٤ ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك عبدك و زوجتك و ابنك و قد روينا هذه الكلمة لعمر فيما تقدم

٩٥ للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة و طعامهم تهمة و غنيمتهم غلول لا يعرفون المساجد إلا هجرا و لا يأتون الصلاة إلا دبرا مستكبرون لا يألفون و لا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار

٩٦ الحسد حزن لازم و عقل هائم و نفس دائم و النعمة على المحسود نعمة و هي على الحاسد نقمة

٩٧ يا حملة العلم أ تحملونه فإنما العلم لمن علم ثم عمل و وافق عمله علمه و سيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم و يخالف عملهم علمهم يقعدون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه

٩٨ تعلموا العلم صغارا تسودوا به كبارا تعلموا العلم و لو لغير الله فإنه سيصير لله العلم ذكر لا يحبه إلا ذكر من الرجال

٩٩ ليس شيء أحسن من عقل زانه علم و من علم زانه حلم و من حلم زانه صدق و من صدق زانه رفق و من رفق زانه تقوى إن ملإك العقل و مكارم الأخلاق صون العرض و الجزاء بالفرض و الأخذ بالفضل و الوفاء بالعهد و الإنجاز للوعد و من حاول أمرا بالمعصية كان أقرب إلى ما يخاف و أبعد مما يرجو

١٠٠ إذا جرت المقادير بالمكاره سبقت الآفة إلى العقل فحيرته و أطلقت الألسن بما فيه تلف الأنفس

١٠١ لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهم

١٠٢ لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم

١٠٣ لا تطلب سرعة العمل و اطلب تجويده فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل إنما يسألون عن جودة صنعته

١٠٤ ليس كل ذي عين يبصر و لا كل ذي أذن يسمع فتصدقوا على أولي العقول الزمنة و الألباب الحائرة بالعلوم التي هي أفضل صدقاتكم ثم تلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ اَلْبَيِّناتِ وَ اَلْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي اَلْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اَللاَّعِنُونَ)

١٠٥ من أتت عليه الأربعون من السنين قيل له خذ حذرك من حلول المقدور فإنك غير معذور و ليس أبناء الأربعين بأحق بالحذر من أبناء العشرين فإن طالبهما واحد و ليس عن الطلب براقد و هو الموت فاعمل لما أمامك من الهول و دع عنك زخرف القول

١٠٦ سئل عن القدر فقال أقصر أم أطيل قيل بل تقصر فقال جل الله أن يريد الفحشاء و عز عن أن يكون له في الملك إلا ما يشاء

١٠٧ من علم أنه يفارق الأحباب و يسكن التراب و يواجه الحساب و يستغني عما ترك و يفتقر إلى ما قدم كان حريا بقصر الأمل و طول العمل

١٠٨ المؤمن لا تختله كثرة المصائب و تواتر النوائب عن التسليم لربه و الرضا بقضائه كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود إليه

١٠٩ ما مات من أحيا علما و لا افتقر من ملك فهما

١١٠ العلم صبغ النفس و ليس يفوق صبغ الشيء حتى ينظف من كل دنس

١١١ اعلم أن الذي مدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك و ثوابه و جزاؤه قد سقطا عنك

١١٢ إحسانك إلى الحر يحركه على المكافأة و إحسانك إلى النذل يبعثه على معاودة المسألة

١١٣ الأشرار يتتبعون مساوئ الناس و يتركون محاسنهم كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة

١١٤ موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة

١١٥ ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته و إلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود

١١٦ إذا قوي الوالي في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركوز في طبعه من الخير و الشر

١١٧ ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب و الأناة فيما يرتئيه من رأي و تعجيل مكافأة المحسن بالإحسان فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو و في تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية و في الأناة انفساح الرأي و حمد العاقبة و وضوح الصواب ١١٨ من حق العالم على المتعلم ألا يكثر عليه السؤال و لا يعنته في الجواب و لا يلح عليه إذا كسل و لا يفشي له سرا و لا يغتاب عنده أحدا و لا يطلب عثرته فإذا زل تأنيت أوبته و قبلت معذرته و أن تعظمه و توقره ما حفظ أمر الله و عظمه و ألا تجلس أمامه و إن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها و لا تضجرن من صحبته فإنما هو بمنزلة النخلة ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة و خصه بالتحية و احفظ شاهده و غائبة و ليكن ذلك كله لله عزوجل فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله و إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه و طالب العلم تشيعه الملائكة حتى يرجع

١١٩ وصول معدم خير من جاف مكثر و من أراد أن ينظر ما له عند الله فلينظر ما لله عنده

١٢٠ لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة و لا صياما و لا حجا و لا اعتمارا و لكن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم و صح ورعهم و كمل يقينهم ففاقوا غيرهم بالحظوة و رفيع المنزلة

١٢١ ما من عبد إلا و معه ملك يقيه ما لم يقدر له فإذا جاء القدر خلاه و إياه

١٢٢ إن الله سبحانه أدب نبيه ص بقوله (خُذِ اَلْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ اَلْجاهِلِينَ) فلما علم أنه قد تأدب قال له (وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فلما استحكم له من رسوله ما أحب قال (وَ ما آتاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)

١٢٣ كنت أنا و العباس و عمر نتذاكر المعروف فقلت أنا خير المعروف ستره و قال العباس خيره تصغيره و قال عمر خيره تعجيله فخرج علينا رسول الله فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال خيره أن يكون هذا كله فيه

١٢٤ العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم

١٢٥ إذا خبث الزمان كسدت الفضائل و ضرت و نفقت الرذائل و نفعت و كان خوف الموسر أشد من خوف المعسر

١٢٦ انظر إلى المتنصح إليك فإن دخل من حيث يضار الناس فلا تقبل

نصيحته و تحرز منه و إن دخل من حيث العدل و الصلاح فاقبلها منه

١٢٧ أعداء الرجل قد يكونوا أنفع من إخوانه لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها و يخاف شماتتهم به فيضبط نعمته و يتحرز من زوالها بغاية طوقه

١٢٨ المرآة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم و مساويه من أعدائه فيهم

١٢٩ انظر وجهك كل وقت في المرآة فإن كان حسنا فاستقبح أن تضيف إليه فعلا قبيحا و تشينه به و إن كان قبيحا فاستقبح أن تجمع بين قبحين

١٣٠ موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطإ من العلماء

١٣١ ذك قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب

١٣٢ كفر النعمة لؤم و صحبة الجاهل شؤم

١٣٣ عاديت من ماريت

١٣٤ لا تصرم أخاك على ارتياب و لا تقطعه دون استعتاب

١٣٥ خير المقال ما صدقه الفعال

١٣٦ إذا لم ترزق غنى فلا تحرمن تقوى

١٣٧ من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى

١٣٨ دع الكذب تكرما إن لم تدعه تأثما

١٣٩ الدنيا طواحة طراحة فضاحة آسية جراحة

١٤٠ الدنيا جمة المصائب مرة المشارب لا تمتع صاحبا بصاحب

١٤١ المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب

١٤٢ من كسل لم يؤد حقا

١٤٣ كثرة الجدال تورث الشك

١٤٤ خير القلوب أوعاها

١٤٥ الحياء لباس سابغ و حجاب مانع و ستر من المساوئ واق و حليف للدين و موجب للمحبة و عين كالئة تذود عن الفساد و تنهى عن الفحشاء و العجلة في الأمور مكسبة للمذلة و زمام للندامة و سلب للمروءة و شين للحجى و دليل على ضعف العقيدة

١٤٦ إذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه

١٤٧ لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شرا و أنت لا تعلم

١٤٨ موت الصالح راحة لنفسه و موت الطالح راحة للناس

١٤٩ ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء

١٥٠ إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك فلا تقابله بمثل ما كافحك به فتعذر نفسه في الإساءة إليك و تشرع له طريقا إلى ما يحبه فيك لكن اجتهد في التزيد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها فإنك تسوءه من غير أن توجده حجة عليك

١٥١ إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره فإنك تقف من مشورته على عدله و جوره و خيره و شره

١٥٢ يجب عليك أن تشفق على ولدك أكثر من إشفاقه عليك

١٥٣ زمان الجائر من السلاطين و الولاة أقصر من زمان العادل لأن الجائر مفسد و العادل مصلح و إفساد الشيء أشرع من إصلاحه

١٥٤ إذا خدمت رئيسا فلا تلبس مثل ثوبه و لا تركب مثل مركوبه و لا تستخدم كخدمه فعساك تسلم منه

١٥٥ لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك و لا الجهال فيستثقلوك و لكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول و فهم يفهم عنك ما تقول و يكتم عليك ما يسمع فإن لعلمك عليك حقا كما أن عليك في مالك حقا بذله لمستحقه و منعه عن غير مستحقه

١٥٦ اليقين فوق الإيمان و الصبر فوق اليقين و من أفرط رجاؤه غلبت الأماني على قلبه و استعبدته

١٥٧ إياك و صاحب السوء فإنه كالسيف كالمسلول يروق منظره و يقبح أثره

١٥٨ يا ابن آدم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجده

١٥٩ من أخطأه سهم المنية قيده الهرم

١٦٠ من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها

١٦١ العاقل من اتهم رأيه و لم يثق بما سولته له نفسه

١٦٢ من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لا يحب

١٦٣ كفى ما مضى مخبرا عما بقي و كفى عبرا لذوي الألباب ما جربوا

١٦٤ أمر لا تدري متى يغشاك ما يمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك

١٦٥ ليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة

١٦٦ إذا أعجبك ما يتواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساوئك و لتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك

١٦٧ من مدحك بما ليس فيك من الجميل و هو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح و هو ساخط عليك

١٦٨ إذا تشبه صاحب الرياء بالمخلصين في الهيئة كان مثل الوارم الذي يوهم الناس أنه سمين فيظن الناس ذلك فيه و هو يستر ما يلقى من الألم التابع للورم

١٦٩ إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأي و إذ ضعفت انقطع إلى البخت

١٧٠ الرغبة إلى الكريم تحركه على البذل و إلى الخسيس تغريه بالمنع

١٧١ خيار الناس يترفعون عن ذكر معايب الناس و يتهمون المخبر بها و يأثرون الفضائل و يتعصبون لأهلها و يستعرضون مآثر الرؤساء و إفضالهم عليهم و يطالبون أنفسهم بالمكافأة عليها و حسن الرعاية لها

١٧٢ لكل شيء قوت و أنتم قوت الهوام و من مشى على ظهر الأرض فإن مصيره إلى بطنها

١٧٣ من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه و حنينه إلى أوطانه و حفظه قديم إخوانه

١٧٤ و من دعائه اللهم إن كنا قد قصرنا عن بلوغ طاعتك فقد تمسكنا من طاعتك بأحبها إليك لا إله إلا أنت جاءت بالحق من عندك

١٧٥ أصابت الدنيا من أمنها و أصاب الدنيا من حذرها

١٧٦ و وقف على قوم أصيبوا بمصيبة فقال إن تجزعوا فحق الرحم بلغتم و إن تصبروا فحق الله أديتم

١٧٧ مكارم الأخلاق عشر خصال السخاء و الحياء و الصدق و أداء الأمانة و التواضع و الغيرة و الشجاعة و الحلم و الصبر و الشكر

١٧٨ من أداء الأمانة المكافأة على الصنيعة لأنها كالوديعة عندك

١٧٩ الخير النفس تكون الحركة في الخير عليه سهلة متيسرة و الحركة في الإضرار عسرة بطيئة و الشرير بالضد من ذلك

١٨٠ البخلاء من الناس يكون تغافلهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على يسير الإحسان

١٨١ مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف يسخن بطيئا و تبرد تلك السخونة بأطول من ذلك الزمان

١٨٢ ثلاثة يرحمون عاقل يجري عليه حكم جاهل و ضعيف في يد ظالم قوي و كريم قوم احتاج إلى لئيم

١٨٣ من صحب السلطان وجب أن يكون معه كراكب البحر إن سلم بجسمه من الغرق لم يسلم بقلبه من الفرق

١٨٤ لا تقبلن في استعمال عمالك و أمرائك شفاعة إلا شفاعة الكفاية و الأمانة

١٨٥ إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عدواتك و دخل في مودتك

١٨٦ العدل صورة واحدة و الجور صور كثيرة و لهذا سهل ارتكاب الجور و صعب تحري العدل و هما يشبهان الإصابة في الرماية و الخطأ فيها و إن الإصابة تحتاج إلى ارتياض و تعهد و الخطأ لا يحتاج إلى شيء من ذلك

١٨٧ لا يخطئ المخلص في الدعاء إحدى ثلاث ذنب يغفر أو خير يعجل أو شر يؤجل

١٨٨ لا ينتصف ثلاثة من ثلاثة بر من فاجر و عاقل من جاهل و كريم من لئيم

١٨٩ أشرف الملوك من لم يخالطه البطر و لم يحل عن الحق و أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا و خير الأصدقاء من لم يكن على إخوانه مستصعبا و خير الأخلاق أعونها على التقى و الورع

١٩٠ أربع القليل منهن كثير النار و العداوة و المرض و الفقر

١٩١ أربعة من الشقاء جار السوء و ولد السوء و امرأة السوء و المنزل الضيق

١٩٢ أربعة تدعو إلى الجنة كتمان المصيبة و كتمان الصدقة و بر الوالدين و الإكثار من قول لا إله إلا الله

١٩٣ لا تصحب الجاهل فإن فيه خصالا فاعرفوه بها يغضب من غير غضب و يتكلم في غير نفع و يعطي في غير موضع الإعطاء و لا يعرف صديقه من عدوه و يفشي سره إلى كل أحد

١٩٤ إياك و مواقف الاعتذار فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه و إن كان بريئا

١٩٥ الصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناج و العاثر هالك

١٩٦ لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل

١٩٧ إن لله عبادا في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم و أهل النار في نارهم اليقين و أنواره لامعة على وجوههم قلوبهم محزونة و شرورهم مأمونة و أنفسهم عفيفة و حوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة لراحة طويلة أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم قد حلا في أفواههم و حلا في قلوبهم طعم مناجاته و لذيذ الخلوة به قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثنهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده و أما نهارهم فحلماء علماء برررة أتقياء كالقداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى و ما بالقوم من مرض أو يقول قد خولطوا و لعمري لقد خالطهم أمر عظيم جليل

١٩٨ عاتبه عثمان فأكثر و هو ساكت فقال ما لك لا تقول قال إن قلت لم أقل إلا ما تكره و ليس لك عندي إلا ما تحب

١٩٩ بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة و أكثر الخلق ثروة و بذلا و أعظم الخلق في الخلق طاعة و أوفى الخلق كيدا و تكثرا بليت بالزبير لم يرد وجهه قط

و بيعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة و يعطي كل رجل ثلاثين دينارا و فرسا على أن يقاتلني و بعائشة ما قالت قط بيدها هكذا إلا و اتبعها الناس و بطلحة لا يدرك غوره و لا يطال مكره

٢٠٠ بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة و الزبير فعاد فقال يا أمير المؤمنين جئتك بالخيبة فقال كلا أصبت خيرا و أجرت ثم قال إن من العجب انقيادهما لأبي بكر و عمر و خلافهما علي أما و الله إنهما ليعلمان أني لست بدون واحد منهما اللهم عليك بهما

٢٠١ الرزق مقسوم و الأيام دول و الناس شرع سواء آدم أبوهم و حواء أمهم

٢٠٢ قوت الأجسام الغذاء و قوت العقول الحكمة فمتى فقد واحد منهما قوته بار و اضمحل

٢٠٣ الصبر على مشقة العباد يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر

٢٠٤ الروح حياة البدن و العقل حياة الروح

٢٠٥ حقيق بالإنسان أن يخشى الله بالغيب و يحرس نفسه من العيب و يزداد خيرا مع الشيب

٢٠٦ أفضل الولاة من بقي بالعدل ذكره و استمده من يأتي بعده

٢٠٧ قدم العدل على البطش تظفر بالمحبة و لا تستعمل الفعل حيث ينجع القول

٢٠٨ البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله و السخي يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو به من ماله

٢٠٩ فضل العقل على الهوى لأن العقل يملكك الزمان و الهوى يستعبدك للزمان

٢١٠ كل ما حملت عليه الحر احتمله و رآه زيادة في شرفه إلا ما حطه جزءا من حريته فإنه يأباه و لا يجيب إليه

٢١١ إذا منعك اللئيم البر مع إعظامه حقك كان أحسن من بذل السخي لك إياه مع الاستخفاف بك

٢١٢ الملك كالنهر العظيم تستمد منه الجداول فإن كان عذبا عذبت و إن كان ملحا ملحت

٢١٣ الفرق بين السخاء و التبذير أن السخي يسمح بما يعرف مقداره و مقدار الرغبة فيه إليه و يضعه بحيث يحسن وضعه و تزكو عارفته و المبذر يسمح بما لا يوازن به رغبة الراغب و لا حق القاصد و لا مقدار ما أولى و يستفزه لذلك خطرة من خطراته و التصدي لإطراء مطر له بينهما بون بعيد

٢١٤ لا تلاج الغضبان فإنك تقلقه باللجاج و لا ترده إلى الصواب

٢١٥ لا تفرح بسقطة غيرك فإنك لا تدري ما تتصرف الأيام بك

٢١٦ قليل العلم إذا وقر في القلب كالطل يصيب الأرض المطمئنة فتعشب

٢١٧ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب و طعمها

طيب و مثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب و طعمها مر و مثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر و لا ريح لها

٢١٨ المؤمن إذا نظر اعتبر و إذا سكت تفكر و إذا تكلم ذكر و إذا استغنى شكر و إذا أصابته شدة صبر فهو قريب الرضا بعيد السخط يرضيه عن الله اليسير و لا يسخطه البلاء الكثير قوته لا تبلغ به و نيته تبلغ مغموسة في الخير يده ينوي كثيرا من الخير و يعمل بطائفة منه و يتلهف على ما فاته من الخير كيف لم يعمل به و المنافق إذا نظر لها و إذا سكت سها و إذا تكلم لغا و إذا أصابه شدة شكا فهو قريب السخط بعيد الرضا يسخطه على الله اليسير و لا يرضيه الكثير قوته تبلغ و نيته لا تبلغ مغموسة في الشر يده ينوي كثيرا من الشر و يعمل بطائفة منه فيتلهف على ما فاته من الشر كيف لم يأمر به و كيف لم يعمل به على لسان المؤمن نور يسطع و على لسان المنافق شيطان ينطق

٢١٩ سوء الظن يدوي القلوب و يتهم المأمون و يوحش المستأنس و يغير مودة الإخوان

٢٢٠ إذا لم يكن في الدنيا إلا محتاج فأغنى الناس أقنعهم بما رزق

٢٢١ قيل له إن درعك صدر لا ظهر لها إنا نخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال إذا وليت فلا واءلت

٢٢٢ أشد الأشياء الإنسان لأن أشدها فيما يرى الجبل و الحديد

ينحت الجبل و النار تأكل الحديد و الماء يطفي النار و السحاب يحمل الماء و الريح يفرق السحاب و الإنسان يتقي من الريح

٢٢٣ إنما الناس في نفس معدود و أمل ممدود و أجل محدود فلا بد للأجل أن يتناهى و للنفس أن يحصى و للأمل إن ينقضي ثم قرأ(وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ)

٢٢٤ اللهم لا تجعل الدنيا لي سجنا و لا فراقها علي حزنا أعوذ بك من دنيا تحرمني الآخرة و من أمل يحرمني العمل و من حياة تحرمني خير الممات

٢٢٥ تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم رائحة الذنوب

٢٢٦ للنكبات غايات تنتهي إليها و دواؤها الصبر عليها و ترك الحيلة في إزالتها فإن الحيلة في إزالتها قبل انقضاء مدتها سبب لزيادتها

٢٢٧ لا يرضى عنك الحاسد حتى يموت أحدكما

٢٢٨ لا يكون الرجل سيد قومه حتى لا يبالي أي ثوبيه لبس

٢٢٩ كتب إلى عامل له اعمل بالحق ليوم لا يقضى فيه إلا بالحق

٢٣٠ نظر إلى رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن فقال يا بني نزه سمعك عنه فإنه نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك

٢٣١ احذروا الكلام في مجالس الخوف فإن الخوف يذهل العقل الذي منه نستمد و يشغله بحراسة النفس عن حراسة المذهب الذي نروم نصرته و احذر الغضب ممن يحملك عليه فإنه مميت للخواطر مانع من التثبت و احذر من تبغضه فإن بغضك له يدعوك إلى الضجر به و قليل الغضب كثير في أذى النفس و العقل و الضجر مضيق

للصدر مضعف لقوى العقل و احذر المحافل التي لا إنصاف لأهلها في التسوية بينك و بين خصمك في الإقبال و الاستماع و لا أدب لهم يمنعهم من جور الحكم لك و عليك و احذر حين تظهر العصبية لخصمك بالاعتراض عليك و تشييد قوله و حجته فإن ذلك يهيج العصبية و الاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام و يذهب بهجة المعاني و احذر كلام من لا يفهم عنك فإنه يضجرك و احذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفظ و رب صغير غلب كبير

٢٣٢ لا تقبل الرئاسة على أهل مدينتك فإنهم لا يستقيمون لك إلا بما تخرج به من شرط الرئيس الفاضل

٢٣٣ لا تهزأ بخطإ غيرك فإن المنطق لا يملكه و أقلل من الخطإ الذي أنت فيه بقدر الصبر و اجعل العقل و الحق إماميك تنل البغية بهما

٢٣٤ الرأي يريك غاية الأمر مبدأه

٢٣٥ الخير من الناس من قدر على أن يصرف نفسه كما يشاء و يدفعها عن الشرور و الشرير من لم يكن كذلك

٢٣٦ السلطان الفاضل هو الذي يحرس الفضائل و يجود بها لمن دونه و يرعاها من خاصته و عامته حتى تكثر في أيامه و يتحسن بها من لم تكن فيه

٢٣٧ للكريم رباطان أحدهما الرعاية لصديقه و ذوي الحرمة به و الآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل ما يجب له عليه

٢٣٨ إذا تحركت صورة الشر و لم تظهر ولدت الفزع فإذا ظهرت ولدت الألم و إذا تحركت صورة الخير و لم تظهر ولدت الفرج فإذا ظهرت ولدت اللذة

٢٣٩ الفرق بين الاقتصاد و البخل أن الاقتصاد تمسك الإنسان بما في يده خوفا على حريته و جاهه من المسألة فهو يضع الشيء موضعه و يصبر عما لا تدعو ضرورة إليه و يصل صغير بره بعظيم بشره و لا يستكثر من المودات خوفا من فرط الإجحاف به و البخيل لا يكافئ على ما يسدى إليه و يمنع أيضا اليسير من استحق الكثير و يصبر لصغير ما يجري عليه على كثير من الذلة

٢٤٠ لا تحتقرن صغيرا يمكن أن يكبر و لا قليلا يمكن أن يكثر

٢٤١ ما زلت مظلوما منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا و لقد كنت أظلم قبل ظهور الإسلام و لقد كان أخي عقيل يذنب أخي جعفر فيضربني

٢٤٢ لو كسرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتى تزهر تلك القضايا إلى الله عزوجل و تقول يا رب إن عليا قضى بين خلقك بقضائك

٢٤٣ مر بدار بالكوفة في مراد تبنى فوقعت منها شظية على صلعته فأدمتها فقال ما يومي من مراد بواحد اللهم لا ترفعها قالوا فو الله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجماء بين الغنم ذوات القرون

٢٤٤ أقتل الأشياء لعدوك ألا تعرفه أنك اتخذته عدوا

٢٤٥ الخيرة في ترك الطيرة

٢٤٦ قيل له في بعض الحروب إن جالت الخيل أين نطلبك قال حيث تركتموني

٢٤٧ شفيع المذنب إقراره و توبته اعتذاره

٢٤٨ قصم ظهري رجلان جاهل متنسك و عالم متهتك

٢٤٩ أ لا أخبركم بذات نفسي أما الحسن ففتى من الفتيان و صاحب جفنة و خوان و لو التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب غناء عصفور و أما عبد الله بن جعفر فصاحب لهو و ظل باطل و أما أنا و الحسين فنحن منكم و أنتم منا

٢٥٠ قال في المنبرية صار ثمنها تسعا على البديهة و هذا من العجائب

٢٥١ جاء الأشعث إليه و هو على المنبر فجعل يتخطى رقاب الناس حتى قرب منه ثم قال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك يعني العجم فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان ما لنا و للأشعث ليقولن أمير المؤمنين ع اليوم في العرب قولا لا يزال يذكر فقال ع من يعذرني من هؤلاء الضياطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار و يهجر قوما للذكر أ فتأمرونني أن أطردهم ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين أما و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا

٢٥٢ كان إذا رأى ابن ملجم يقول أريد حياته البيت فيقال له فاقتله فيقول كيف أقتل قاتلي

٢٥٣ إلهي ما قدر ذنوب أقابل بها كرمك و ما قدر عبادة أقابل بها نعمك و إني لأرجو أن تستغرق ذنوبي في كرمك كما استغرقت أعمالي في نعمك

٢٥٤ إذا غضب الكريم فألن له الكلام و إذا غضب اللئيم فخذ له العصا

٢٥٥ غضب العاقل في فعله و غضب الجاهل في قوله

٢٥٦ رأى رجلا يحدث منكر الحديث فقال يا هذا أنصف أذنيك من فمك فإنما جعل الأذنان اثنتين و الفم واحدا لتسمع أكثر مما تقول

٢٥٧ إياك و كثرة الاعتذار فإن الكذب كثيرا ما يخالط المعاذير

٢٥٨ اشكر لمن أنعم عليك و أنعم على من شكرك

٢٥٩ سل مسألة الحمقى و احفظ حفظ الأكياس

٢٦٠ مروا الأحداث بالمراء و الجدال و الكهول بالفكر و الشيوخ بالصمت

٢٦١ عود نفسك الصبر على جليس السوء فليس يكاد يخطئك

٢٦٢ يا بني إن الشر تاركك إن تركته

٢٦٣ لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة إلى الكذوب فإنه يقربها و إن كانت بعيدة و لا إلى أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك و لا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته

٢٦٤ إياك و صدر المجلس فإنه مجلس قلعة

٢٦٥ احذروا صولة الكريم إذا جاع و صولة اللئيم إذا شبع

٢٦٦ سرك دمك فلا تجرينه إلا في أوداجك

٢٦٧ و سئل عن الفرق بين الغم و الخوف فقال الخوف مجاهدة الأمر المخوف قبل وقوعه و الغم ما يلحق الإنسان من وقوعه

٢٦٨ المعروف كنز فانظر عند من تودعه

٢٦٩ إذا أرسلت لبعر فلا تأت بتمر فيؤكل تمرك و تعنف على خلافك

٢٧٠ إذا وقع في يدك يوم السرور فلا تخله فإنك إذا وقعت في يد يوم الغم لم يخلك

٢٧١ إذا أردت أن تصادق رجلا فانظر من عدوه

٢٧٢ الانقباض من الناس مكسبة للعداوة و الانبساط مجلبة لقرين السوء فكن بين المنقبض و المسترسل فإن خير الأمور أوساطها

٢٧٣ إنا عبد الله و أخو رسول الله لا يقولها بعدي إلا كذاب

٢٧٤ أخذ رسول الله ص بيدي فهزها و قال ما أول نعمة أنعم الله بها عليك قلت أن خلقني حيا و أقدرني و أكمل حواسي و مشاعري و قواي قال ثم ما ذا قلت أن جعلني ذكرا و لم يجعلني أنثى قال و الثالثة قلت أن هداني للإسلام قال و الرابعة قلت (وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اَللَّهِ لا تُحْصُوها)

٢٧٥ اللهم إني أسألك إخبات المخبتين و إخلاص الموقنين و مرافقة الأبرار و العزيمة في كل بر و السلامة من كل إثم و الفوز بالجنة و النجاة من النار

٢٧٦ لما ضربه ابن ملجم و أوصى ابنيه بما أوصاهما قال لابن الحنفية هل فهمت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فإني أوصيك بمثله و بتوقير أخويك و اتباع أمرهما و ألا تبرم أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما به فإنه شقيقكما و ابن أبيكما و قد علمتما أن أباكما كان يحبه فأحباه

٢٧٧ أما هذا الأعور يعني الأشعث فإن الله لم يرفع شرفا إلا حسده و لا أظهر فضلا إلا عابه و هو يمني نفسه و يخدعها يخاف و يرجو فهو بينهما لا يثق

بواحد منهما و قد من الله عليه بأن جعله جبانا و لو كان شجاعا لقتله الحق و أما هذا الأكثف عند الجاهلية يعني جرير بن عبد الله البجلي فهو يرى كل أحد دونه و يستصغر كل أحد و يحتقره قد ملئ نارا و هو مع ذلك يطلب رئاسة و يروم إمارة و هذا الأعور يغويه و يطغيه إن حدثه كذبه و إن قام دونه نكص عنه فهما كالشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين

٢٧٨ بلوغ أعلى المنازل بغير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة

٢٧٩ الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب و إذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان

٢٨٠ الكرم حسن الفطنة و اللؤم سوء التغافل

٢٨١ أسوأ الناس حالا من اتسعت معرفته و بعدت همته و ضاقت قدرته

٢٨٢ أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد و شدة الاعتذار

٢٨٣ عادة النوكى الجلوس فوق القدر و المجيء في غير الوقت

٢٨٤ العافية الملك الخفي

٢٨٥ سوء حمل الغنى يورث مقتا و سوء حمل الفاقة يضع شرفا

٢٨٦ لا ينبغي لأحد أن يدع الحزم لظفر ناله عاجز و لا يسامح نفسه في التفريط لنكبة دخلت على حازم

٢٨٧ ليس من حسن التوكل أن يقال العاشر عثرة ثم يركبها ثانية

٢٨٨ سوء القالة في الإنسان إذا كان كذبا نظير الموت لفساد دنياه فإن كان صدقا فأشد من الموت لفساد آخرته

٢٨٩ ترضى الكرام بالكلام و تصاد اللئام بالمال و تستصلح السفلة بالهوان

٢٩٠ لا يزال المرء مستمرا ما لم يعثره فإذا عثر مرة لج به العثار و لو كان في جدد

٢٩١ المتواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها و قطر غيرها و المتكبر كالربوة لا يقر عليها قطرها و لا قطر غيرها

٢٩٢ لا يصبر على الحرب و يصدق في اللقاء إلا ثلاثة مستبصر في دين أو غيران على حرمة أو ممتعض من ذل

٢٩٣ مجاوزتك ما يكفيك فقر لا منتهى له

٢٩٤ قيل له أي الأمور أعجل عقوبة و أسرع لصاحبها صرعة فقال ظلم من لا ناصر له إلا الله و مجازاة النعم بالتقصير و استطالة الغني على الفقير

٢٩٥ الجماع للمحن جماع و للخيرات مناع حياء يرتفع و عورات تجتمع أشبه شيء بالجنون و لذلك حجب عن العيون نتيجته ولد فتون إن عاش كد و إن مات هد

٢٩٦ ما شيء أهون من ورع و إذا رابك أمر فدعه

٢٩٧ إذا أتى علي يوم لا ازداد فيه عملا يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم

٢٩٨ أشرف الأشياء العلم و الله تعالى عالم يحب كل عالم

٢٩٩ ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم بل أي شيء فات من أدرك العلم

٣٠٠ لا يسود الرجل حتى لا يبالي في أي ثوبيه ظهر

٣٠١ سمع رجلا يدعو لصاحبه فقال لا أراك الله مكروها فقال إنما دعوت له بالموت لأن من عاش في الدنيا لا بد أن يرى المكروه

٣٠٢ من صفة العاقل ألا يتحدث بما يستطاع تكذيبه فيه

٣٠٣ السعيد من وعظ بغيره و الشقي من اتعظ به غيره

٣٠٤ ذو الهمة و إن حط نفسه يأبى إلا علوا كالشعلة من النار يخفيها صاحبها و تأبى إلا ارتفاعا

٣٠٥ الدين غل الله في أرضه إذا أراد أن يذل عبدا جعله في عنقه

٣٠٦ العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها حكمة و مثلا و الأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها حلفا

٣٠٧ الحركة لقاح الجد العظيم

٣٠٨ ثلاثة لا يستحي من الختم عليها المال لنفي التهمة و الجوهر لنفاسته و الدواء للاحتياط من العدو

٣٠٩ إذا أيسرت فكل الرجال رجالك و إذا أعسرت أنكرك أهلك

٣١٠ من الحكمة جعل المال في أيدي الجهال فإنه لو خص به العقلاء لمات

الجهال جوعا و لكنه جعل في أيدي الجهال ثم استنزلهم عنه العقلاء بلطفهم و فطنتهم

٣١١ ما رد أحد أحدا عن حاجة إلا و تبين العز في قفاه و الذل في وجهه

٣١٢ ابتداء الصنيعة نافلة و ربها فريضة

٣١٣ الحاسد المبطن للحسد كالنحل يمج الدواء و يبطن الداء

٣١٤ الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه

٣١٥ التواضع إحدى مصايد الشرف

٣١٦ تواضع الرجل في مرتبته ذب للشماتة عنه عند سقطته

٣١٧ رب صلف أدى إلى تلف

٣١٨ سوء الخلق يعدي و ذاك أنه يدعو صاحبك إلى أن يقابلك بمثله

٣١٩ المروءة التامة مباينة العامة

٣٢٠ أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداه و أحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه

٣٢١ السفلة إذا تعلموا تكبروا و إذا تمولوا استطالوا و العلية إذا تعلموا تواضعوا و إذا افتقروا صالوا

٣٢٢ ثلاث لا يستصلح فسادهن بحيلة أصلا العداوة بين الأقارب و تحاسد الأكفاء و ركاكة الملوك

٣٢٣ السخي شجاع القلب و البخيل شجاع الوجه

٣٢٤ العزلة توفر العرض و تستر الفاقة و ترفع ثقل المكافأة

٣٢٥ ما احتنك أحد قط إلا أحب الخلوة و العزلة

٣٢٦ خير الناس من لم تجربه

٣٢٧ الكريم لا يلين على قسر و لا يقسو على يسر

٣٢٨ المرأة إذا أحبتك آذتك و إذا أبغضتك خانتك و ربما قتلتك فحبها أذى و بغضها داء بلا دواء

٣٢٩ المرأة تكتم الحب أربعين سنة و لا تكتم البغض ساعة واحدة

٣٣٠ الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطرابا ازداد اختناقا

٣٣١ كل ما لا ينتقل بانتقالك من مالك فهو كفيل بك

٣٣٢ أجل ما ينزل من السماء التوفيق و أجل ما يصعد من الأرض الإخلاص

٣٣٣ اثنان يهون عليهما كل شيء عالم عرف العواقب و جاهل يجهل ما هو فيه

٣٣٤ شر من الموت ما إذا نزل تمنيت بنزوله الموت و خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة

٣٣٥ ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذل له

٣٣٦ المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء لا إذا شاءت

٣٣٧ أبصر الناس لعوار الناس المعور

٣٣٨ العجب ممن يخاف عقوبة السلطان و هي منقطعة و لا يخاف عقوبة الديان و هي دائمة

٣٣٩ من عرف نفسه فقد عرف ربه

٣٤٠ من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز

٣٤١ لو تكاشفتم لما تدافنتم

٣٤٢ شيطان كل إنسان نفسه

٣٤٣ إن لم تعلم من أين جئت لم تعلم إلى أين تذهب

٣٤٤ غاية كل متعمق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور عن إدراكها

٣٤٥ الكمال في خمس ألا يعيب الرجل أحدا بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس و ألا يطلق لسانه و يده حتى يعلم أ في طاعة ذلك أم في معصية و ألا يلتمس من الناس إلا ما يعطيهم من نفسه مثله و أن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم و توفيتهم حقوقهم و أن ينفق الفضل من ماله و يمسك الفضل من قوله

٣٤٦ صديق البخيل من لم يجربه

٣٤٧ من الخيط الضعيف يفتل الحبل الحصيف و من مقدحة صغيرة تحترق مدينة كبيرة و من لبنة لبنة تبنى قرية حصينة

٣٤٨ محب الدراهم معذور و إن أدنته من الدنيا لأنها صانته عن أبناء الدنيا

٣٤٩ عجبا لمن قيل فيه الخير و ليس فيه كيف يفرح و عجبا لمن قيل فيه الشر و ليس فيه كيف يغضب

٣٥٠ ثلاث موبقات الكبر فإنه حط إبليس عن مرتبته و الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة و الحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه

٣٥١ الفطام عن الحطام شديد

٣٥٢ إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمار قطوف و إذا أدبرت أدبرت على البراق

٣٥٣ أصاب متأمل أو كاد و أخطأ مستعجل أو كاد

٣٥٤ ستة لا تخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى و مكثر يخاف على ماله و طالب مرتبة فوق قدره و الحسود و الحقود و مخالط أهل الأدب و ليس بأديب

٣٥٥ طلبت الراحة لنفسي فلم أجد شيئا أروح من ترك ما لا يعنيني و توحشت في القفر البلقع فلم أر وحشة أشد من قرين السوء و شهدت الزحوف و لقيت الأقران فلم أر قرنا أغلب من المرأة و نظرت إلى كل ما يذل العزيز و يكسره فلم أر شيئا أذل له و لا أكسر من الفاقة

٣٥٦ أول رأي العاقل آخر رأي الجاهل

٣٥٧ المسترشد موقى و المحترس ملقى

٣٥٨ الحر عبد ما طمع و العبد حر ما قنع

٣٥٩ ما أحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز و ما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم

٣٦٠ ما الحيلة فيما أعنى إلا الكف عنه و لا الرأي فيما ينال إلا اليأس منه

٣٦١ الأحمق إذا حدث ذهل و إذا حدث عجل و إذا حمل على القبيح فعل

٣٦٢ إثبات الحجة على الجاهل سهل و لكن إقراره بها صعب

٣٦٣ كما تعرف أواني الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الإنسان بمنطقه فيعرف ما عنده

٣٦٤ احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل لأن الصبر على الفقر قناعة و الصبر على الذل ضراعة

٣٦٥ الدنيا حمقاء لا تميل إلا إلى أشباهها

٣٦٦ السفر ميزان الأخلاق

٣٦٧ العقل ملك و الخصال رعيته فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها

٣٦٨ الكذاب يخيف نفسه و هو آمن

٣٦٩ لو لا ثلاث لم يسلل سيف سلك أدق من سلك و وجه أصبح من وجه و لقمة أسوغ من لقمة

٣٧٠ قد يحسن الامتنان بالنعمة و ذلك عند كفرانها و لو لا أن بني إسرائيل

كفروا النعمة لما قال الله لهم (اُذْكُرُوا نِعْمَتِيَ اَلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)

٣٧١ إذا تناهى الغم انقطع الدمع

٣٧٢ إذا ولي صديقك ولاية فأصبته على العشر من صداقته فليس بصاحب سوء

٣٧٣ أعجب الأشياء بديهة أمن وردت في مقام خوف

٣٧٤ الحرص محرمة و الجبن مقتلة و إلا فانظر فيمن رأيت و سمعت أ من قتل في الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا و انظر أ من يطلب بالإجمال و التكرم أحق أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالشره و الحرص

٣٧٥ إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليقدم به صاحبه على الأمور فإن العاقل أبدا متوان مترقب متخوف

٣٧٦ عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى و الهوى آفة العفاف و ترك العمل بما يعلم أنه صواب تهاون و التهاون آفة الدين و إقدامه على ما لا يدري أ صواب هو أم خطأ لجاج و اللجاج آفة العقل

٣٧٧ ضعف العقل أمان من الغم

٣٧٨ لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت و لا طعاما حتى يستمرئه و لا صديقا حتى يستقرضه و ليس من حسن الجوار ترك الأذى و لكن حسن الجوار الصبر على الأذى

٣٧٩ لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يضرب

٣٨٠ الفرق بين المؤمن و الكافر الصلاة فمن تركها و ادعى الإيمان كذبه فعله و كان عليه شاهد من نفسه

٣٨١ من خاف الله خافه كل شيء

٣٨٢ من النقص أن يكون شفيعك شيئا خارجا عن ذاتك و صفاتك

٣٨٣ و يلي على العبد اللئيم عبد بني ربيعة نزع به عرق الشرك العبشمي إلى مساءتي و تذكر دم الوليد و عتبة و شيبة أولى له و الله ليريني في موقف يسوءه ثم لا يجد هناك فلانا و فلانا يعني سالما مولى حذيفة

٣٨٤ أنا قاتل الأقران و مجدل الشجعان أنا الذي فقأت عين الشرك و ثللت عرشه غير ممتن على الله بجهادي و لا مدل إليه بطاعتي و لكن أحدث بنعمة ربي

٣٨٥ الصوم عبادة بين العبد و خالقه لا يطلع عليها غيره و كذلك لا يجازي عنها غيره

٣٨٦ طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن لا يعرف الناس و لا يعرفه الناس طوبى لمن كان حيا كميت و موجودا كمعدوم قد كفى جاره خيره و شره لا يسأل عن الناس و لا يسأل الناس عنه

٣٨٧ ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز له من الصدق

٣٨٨ لا يكن فقرك كفرا و غناك طغيانا

٣٨٩ ثمرة القناعة الراحة و ثمرة التواضع المحبة

٣٩٠ الكريم يلين إذا استعطف و اللئيم يقسو إذا لوطف

٣٩١ أنكى لعدوك ألا تريه أنك اتخذته عدوا

٣٩٢ عذابان لا يأبه الناس لهما السفر البعيد و البناء الكثير

٣٩٣ ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم تاجر البحر و صاحب السلطان و المرتشي في الحكم

٣٩٤ أعجز الناس من قصر في طلب الصديق و أعجز منه من وجده فضيعه

٣٩٥ أشد المشاق وعد كذاب لحريص

٣٩٦ العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في سره و خلوته فضحه في جهره و علانيته

٣٩٧ الأخ البار مغيض الأسرار

٣٩٨ عدم المعرفة بالكتابة زمانة خفية

٣٩٩ قديم الحرمة و حديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة

٤٠٠ ركوب الخيل عز و ركوب البراذين لذة و ركوب البغال مهرمة و ركوب الحمير مذلة

٤٠١ العقل يظهر بالمعاملة و شيم الرجال تعرف بالولاية

٤٠٢ قال له قائل علمني الحلم فقال هو الذل فاصطبر عليه إن استطعت

٤٠٣ قلتم إن فلانا أفاد مالا عظيما فهل أفاد أياما ينفقه فيها

٤٠٤ عيادة النوكى أشد على المريض من وجعه

٤٠٥ المريض يعاد و الصحيح يزار

٤٠٦ الشيء الذي لا يحسن أن يقال و إن كان حقا مدح الإنسان نفسه

٤٠٧ الشيء الذي لا يستغنى عنه بحال من الأحوال التوفيق

٤٠٨ أوسع ما يكون الكريم مغفرة إذا ضاقت بالذنب المعذرة

٤٠٩ ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت

٤١٠ التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه

٤١١ إذا رفعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن يحط منك بقدر ما رفعت منه

٤١٢ إساءة المحسن أن يمنعك جدواه و إحسان المسيء أن يكف عنك أذاه

٤١٣ اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم أضمروا لرسولك ص ضروبا من الشر و الغدر فعجزوا عنها و حلت بينهم و بينها فكانت الوجبة بي و الدائرة علي اللهم احفظ حسنا و حسينا و لا تمكن فجرة قريش منهما ما دمت حيا فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم و أنت على كل شيء شهيد

٤١٤ قال له قائل يا أمير المؤمنين أ رأيت لو كان رسول الله ص ترك ولدا ذكرا قد بلغ الحلم و آنس منه الرشد أ كانت العرب تسلم إليه أمرها قال لا بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت إن العرب كرهت أمر مُحَمَّد ص و حسدته على ما آتاه الله من فضله و استطالت أيامه حتى قذفت زوجته و نفرت به ناقته مع عظيم إحسانه إليها و جسيم مننه عندها و أجمعت مذ كان حيا على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته و لو لا أن قريشا جعلت اسمه ذريعة إلى الرئاسة و سلما إلى العز و الإمرة لما عبدت الله بعد موته يوما واحدا

و لارتدت في حافرتها و عاد قارحها جذعا و بازلها بكرا ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة و تمولت بعد الجهد و المخمصة فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجا و ثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا و قالت لو لا أنه حق لما كان كذا ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها و حسن تدبير الأمراء القائمين بها فتأكد عند الناس نباهة قوم و خمول آخرين فكنا نحن ممن خمل ذكره و خبت ناره و انقطع صوته وصيته حتى أكل الدهر علينا و شرب و مضت السنون و الأحقاب بما فيها و مات كثير ممن يعرف و نشأ كثير ممن لا يعرف و ما عسى أن يكون الولد لو كان إن رسول الله ص لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب و اللحمة بل للجهاد و النصيحة أ فتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت و كذاك لم يكن يقرب ما قربت ثم لم يكن عند قريش و العرب سببا للحظوة و المنزلة بل للحرمان و الجفوة اللهم إنك تعلم أني لم أرد الإمرة و لا علو الملك و الرئاسة و إنما أردت القيام بحدودك و الأداء لشرعك و وضع الأمور في مواضعها و توفير الحقوق على أهلها و المضي على منهاج نبيك و إرشاد الضال إلى أنوار هدايتك

٤١٥ البر ما سكنت إليه نفسك و اطمأن إليه قلبك و الإثم ما جال في نفسك و تردد في صدرك

٤١٦ الزكاة نقص في الصورة و زيادة في المعنى

٤١٧ ليس الصوم الإمساك عن المأكل و المشرب الصوم الإمساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه

٤١٨ إذا كان الراعي ذئبا فالشاة من يحفظها

٤١٩ كل شيء يعصيك إذا أغضبته إلا الدنيا فإنها تطيعك إذا أغضبتها

٤٢٠ رب مغبوط بنعمة هي داؤه و مرحوم من سقم هو شفاؤه

٤٢١ إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا

٤٢٢ شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب ينقيه و لكن يخلقه

٤٢٣ الحسد خلق دنئ و من دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب

٤٢٤ لو كان أحد مكتفيا من العلم لاكتفى نبي الله موسى و قد سمعتم قوله (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً)

٤٢٥ أستغفر الله مما أملك و أستصلحه فيما لا أملك

٤٢٦ إذا قعدت و أنت صغير حيث تحب قعدت و أنت كبير حيث تكره

٤٢٧ الولد العاق كالإصبع الزائدة إن تركت شانت و إن قطعت آلمت

٤٢٨ خرج العز و الغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا

٤٢٩ الصديق نسيب الروح و الأخ نسيب الجسم

٤٣٠ جزية المؤمن كراء منزله و عذابه سوء خلق زوجته

٤٣١ الوعد وجه و الإنجاز محاسنه

٤٣٢ أنعم الناس عيشا من عاش في عيشه غيره

٤٣٣ لا تشاتمن أحدا و لا تردن سائلا إما هو كريم تسد خلته أو لئيم تشتري عرضك منه

٤٣٤ النمام سهم قاتل

٤٣٥ ثلاثة أشياء لا دوام لها المال في يد المبذر و سحابة الصيف و غضب العاشق

٤٣٦ الزاهد في الدينار و الدرهم أعز من الدينار و الدرهم

٤٣٧ رب حرب أحييت بلفظة و رب ود غرس بلحظة

٤٣٨ إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فإن ولد له فقد كسر به

٤٣٩ صلاح كل ذي نعمة في خلاف ما فسد عليه

٤٤٠ أنعم الناس عيشة من تحلى بالعفاف و رضي بالكفاف و تجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف

٤٤١ التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد

٤٤٢ ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل و اللئيم و السفيه أما الجاهل فلا يعرف المعروف و لا يشكر عليه و أما اللئيم فأرض سبخة لا تنبت و أما السفيه فيقول إنما أعطاني فرقا من لساني

٤٤٣ خير العيش ما لا يطغيك و لا يلهيك

٤٤٤ ما ضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر

٤٤٥ إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة كان أول ما يغير منه عقله

٤٤٦ خير الدنيا و الآخرة في خصلتين الغنى و التقى و شر الدنيا و الآخرة في خصلتين الفقر و الفجور

٤٤٧ ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم الآتي طعاما لم يدع إليه

و المتأمر على رب البيت في بيته و طالب المعروف من غير أهله و الداخل بين اثنين لم يدخلاه و المستخف بالسلطان و الجالس مجلسا ليس له بأهل و المقبل بحديثه على من لا يسمعه و من جرب المجرب

٤٤٨ أنفس الأعلاق عقل قرن إليه حظ

٤٤٩ اللطافة في الحاجة أجدى من الوسيلة

٤٥٠ احتمال نخوة الشرف أشد من احتمال بطر الغنى و ذلة الفقر مانعة من الصبر كما أن عز الغنى مانع من كرم الإنصاف إلا لمن كان في غريزته فضل قوة و أعراق تنازعه إلى بعد الهمة

٤٥١ أبعد الناس سفرا من كان في طلب صديق يرضاه

٤٥٢ استشارة الأعداء من باب الخذلان

٤٥٣ الجاهل يعرف بست خصال الغضب من غير شيء و الكلام في غير نفع و العطية في غير موضعها و ألا يعرف صديقه من عدوه و إفشاء السر و الثقة بكل أحد

٤٥٤ سوء العادة كمين لا يؤمن

٤٥٥ العادة طبيعة ثانية غالبة

٤٥٦ التجني وافد القطيعة

٤٥٧ صديقك من نهاك و عدوك من أغراك

٤٥٨ يا عجبا من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد

٤٥٩ من سعادة المرء أن يطول عمره و يرى في أعدائه ما يسره

٤٦٠ الضغائن تورث كما تورث الأموال

٤٦١ رب عزيز أذله خرقه و ذليل أعزه خلقه

٤٦٢ لا يصلح اللئيم لأحد و لا يستقيم إلا من فرق أو حاجة فإذا استغنى أو ذهب خوفه عاد إليه جوهره

٤٦٣ ثلاثة في المجلس و ليسوا فيه الحاقن و الضيق الخف و السيئ الظن بأهله

٤٦٤ و سئل ما أبقى الأشياء في نفوس الناس فقال أما في أنفس العلماء فالندامة على الذنوب و أما في نفوس السفهاء فالحقد

٤٦٥ إذا انقضى ملك قوم خيبوا في آرائهم

٤٦٦ الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالعدو الضعيف

٤٦٧ الحزن سوء استكانة و الغضب لؤم قدرة

٤٦٨ كل ما يؤكل ينتن و كل ما يوهب يأرج

٤٦٩ الطرش في الكرام و الهوج في الطوال و الكيس في القصار و النبل في الربعة و حسن الخلق في الحول و الكبر في العور و البهت في العميان و الذكاء في الخرس

٤٧٠ ألأم الناس من سعى بإنسان ضعيف إلى سلطان جائر

٤٧١ أعسر الحيل تصوير الباطل في صورة الحق عند العاقل المميز

٤٧٢ الغدر ذل حاضر و الغيبة لؤم باطن

٤٧٣ القلب الفارغ يبحث عن السوء و اليد الفارغة تنازع إلى الإثم

٤٧٤ لا كثير مع إسراف و لا قليل مع احتراف و لا ذنب مع اعتراف

٤٧٥ المتعبد على غير فقه كحمار الرحى يدور و لا يبرح

٤٧٦ المحروم من طال نصبه و كان لغيره مكسبه

٤٧٧ في الاعتبار غنى عن الاختبار

٤٧٨ غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله

٤٧٩ أذل الناس معتذر إلى اللئيم

٤٨٠ أشجع الناس أثبتهم عقلا في بداهة الخوف

٤٨١ المعتذر منتصر و المعاتب مغاضب

٤٨٢ المروءة بلا مال كالأسد الذي يهاب و لم يفترس و كالسيف الذي يخاف و هو مغمد و المال بلا مروءة كالكلب الذي يجتنب عقرا و لم يعقر

٤٨٣ عليكم بالأدب فإن كنتم ملوكا برزتم و إن كنتم وسطا فقتم و إن أعوزتكم المعيشة عشتم بأدبكم

٤٨٤ الملوك حكام على الناس و العلماء حكام على الملوك

٤٨٥ لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين أما في الغاية القصوى من مطالب الدنيا و أما في الغاية القصوى من الترك لها

٤٨٦ من أفضل أعمال البر الجود في العسر و الصدق في الغضب و العفو عند القدرة

٤٨٧ إن الله أنعم على العباد بقدر قدرته و كلفهم من الشكر بقدر قدرتهم

٤٨٨ العيش في ثلاث صديق لا يعد عليك في أيام صداقتك ما يرضى به أيام عداوتك و زوجة تسرك إذا دخلت عليها و تحفظ غيبك إذا غبت عنها و غلام يأتي على ما في نفسك كأنه قد علم ما تريد

٤٨٩ تحتاج القرابة إلى مودة و لا تحتاج المودة إلى قرابة

٤٩٠ الصابر على مخالطة الأشرار و صحبتهم كراكب البحر إن سلم ببدنه من التلف لم يسلم بقلبه من الحذر

٤٩١ لأخيك عليك إذا حزبه أمر أن تشير عليه بالرأي ما أطاعك و تبذل له النصر إذا عصاك

٤٩٢ الغيبة ربيع اللئام

٤٩٣ أطول الناس نصبا الحريص إذا طمع و الحقود إذا منع

٤٩٤ الشريف دون حقه يقتل و يعطي نافلة فوق الحق عليه

٤٩٥ اجعل عمرك كنفقة دفعت إليك فكما لا تحب أن يذهب ما تنفق ضياعا فلا تذهب عمرك ضياعا

٤٩٦ من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه فاحذر أن يكفرك فيما أسديت إليه

٤٩٧ لا تستعن في حاجتك بمن هو للمطلوب إليه أنصح منه لك

٤٩٨ لا يؤمننك من شر جاهل قرابة و لا جوار فإن أخوف ما تكون لحريق النار أقرب ما تكون إليها

٤٩٩ كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوك

٥٠٠ عليك بسوء الظن فإن أصاب فالحزم و إلا فالسلامة

٥٠١ رضا الناس غاية لا تدرك فتحر الخير بجهدك و لا تبال بسخط من يرضيه الباطل

٥٠٢ لا تماكس في البيع و الشراء فما يضيع من عرضك أكثر مما تنال من عرضك

٥٠٣ الدين رق فلا تبذل رقك لمن لا يعرف حقك

٥٠٤ احذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في صورة التوكل و يورثك الهوينى بالإحالة على القدر فإن الله أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل و بالتسليم للقضاء بعد الإعذار فقال (خُذُوا حِذْرَكُمْ)، (وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى اَلتَّهْلُكَةِ) و قال النبي ص اعقلها و توكل

٥٠٥ لا تصحب في السفر غنيا فإنك إن ساويته في الإنفاق أضر بك و إن تفضل عليك استذلك

٥٠٦ إذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فإنه لا يفكر إلا في خير و إذا سألت لئيما حاجة فغافصه فإنه إذا فكر عاد إلى طبعه

٥٠٧ ما أقبح بالصبيح الوجه أن يكون جاهلا كدار حسنة البناء و ساكنها شر و كجنة يعمرها بوم أو صرمة يحرسها ذئب

٥٠٨ قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة و قد أمكنه أن يكون إنسانا و قد أمكنه أن يكون ملكا و أن يرضى لنفسه بقنية معارة و حياة مستردة و له أن يتخذ قنية مخلدة و حياة مؤبدة

٥٠٩ الذي يستحق اسم السعادة على الحقيقة سعادة الآخرة و هي أربعة أنواع بقاء بلا فناء و علم بلا جهل و قدرة بلا عجز و غنى بلا فقر

٥١٠ ما خاب من استخار

٥١١ الدين قد كشف عن غطاء قلبه يرى مطلوبه قد طبق الخافقين فلا يقع بصره على شيء إلا رآه فيه

٥١٢ من غرس النخل أكل الرطب و من غرس الصفصاف و العليق عدم ثمرته و ذهبت ضياعا خدمته

٥١٣ إذا أردت العلم و الخير فانفض عن يدك أداة الجهل و الشر فإن الصائغ لا يتهيأ له الصياغة إلا إذا ألقى أداة الفلاحة عن يده

٥١٤ الصبر مفتاح الفرج

٥١٥ غاية كل متعمق في علمنا أن يجهل

٥١٦ ستعرف الحال على حقيقتها و لكن حيث لا تستطيع أن تذاكر أحدا بها

٥١٧ السعادة التامة بالعلم و السعادة الناقصة بالزهد و العبادة من غير علم و لا زهادة تعب الجسد

٥١٨ الآمال مطايا و ربما حسرت و نقبت أخفافها

٥١٩ حب الرئاسة شاغل عن حب الله سبحانه

٥٢٠ يا أبا عبيدة طال عليك العهد فنسيت أم نافست فأنسيت لقد سمعتها و وعيتها فهلا رعيتها

٥٢١ قال لما سمعت خطبة عمر بالمدينة التي شرح فيها قصة السقيفة معذرة و رب الكعبة و لكن بعد ما ذا هيهات علقت معالقها و صر الجندب

٥٢٢ أول من جرأ الناس علينا سعد بن عبادة فتح بابا ولجه

غيره و أضرم نارا كان لهبها عليه و ضوءها لأعدائه

٥٢٣ ما لنا و لقريش يخضمون الدنيا باسمنا و يطئون على رقابنا فيا لله و للعجب من اسم جليل لمسمى ذليل

٥٢٤ الخير كله في السيف و ما قام هذا الدين إلا بالسيف أ تعلمون ما معنى قوله تعالى وَ أَنْزَلْنَا اَلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ هذا هو السيف

٥٢٥ لم يفت من لم يمت

٥٢٦ من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فإنه لو غص بغيره لأساغ الماء غصته

٥٢٧ من ضن بعرضه فليدع المراء

٥٢٨ من أيقظ فتنة فهو آكلها

٥٢٩ من أثرى كرم على أهله و من أملق هان على ولده

٥٣٠ من أمل أحدا هابه و من جهل شيئا عابه

٥٣١ أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه و لا يثق به أحد لسوء أثره

٥٣٢ أحب الناس إليك من كثرت أياديه عندك فإن لم يكن فمن كثرت أياديك عنده

٥٣٣ من طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه و من الوحشة ما لا يضره

٥٣٤ من زاد عقله نقص حظه و ما جعل الله لأحد عقلا وافرا إلا احتسب به عليه من رزقه

٥٣٥ من عمل بالعدل فيمن دونه رزق العدل ممن فوقه

٥٣٦ من طلب عزا بظلم و باطل أورثه الله ذلا بإنصاف و حق

٥٣٧ من وطئته الأعين وطئته الأرجل

٥٣٨ ينادي مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا (فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اَللَّهِ)

٥٣٩ اصحب الناس بأي خلق شئت يصحبوك بمثله

٥٤٠ كأنك بالدنيا لم تكن و كأنك بالآخرة لم تزل

٥٤١ قال لمريض أبل من مرضه إن الله ذكرك فاذكره و أقالك فاشكره

٥٤٢ الدار دار من لا دار له و بها يفرح من لا عقل له فأنزلوها منزلتها

٥٤٣ لا تستصغرن أمر عدوك إذا حاربته فإنك إن ظفرت به لم تحمد و إن ظفر بك لم تعذر و الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالضعيف

٥٤٤ لا تصحب من تحتاج إلى أن تكتمه ما يعرف الله منك

٥٤٥ لا تسأل غير الله فإنه إن أعطاك أغناك

٥٤٦ الصاحب كالرقعة في الثوب فاتخذه مشاكلا

٥٤٧ إياك و كثرة الإخوان فإنه لا يؤذيك إلا من يعرفك

٥٤٨ دع اليمين لله إجلالا و للناس إجمالا

٥٤٩ العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في سره فضحه في علانيته

٥٥٠ إذا كان لك صديق و لم تحمد إخاءه و مودته فلا تظهر ذلك للناس فإنما هو بمنزلة السيف الكليل في منزل الرجل يرهب به عدوه و لا يعلم العدو أ صارم هو أم كليل

٥٥١ دع الذنوب قبل أن تدعك

٥٥٢ إذا نزل بك مكروه فانظر فإن كان لك حيلة فلا تعجز و إن لم يكن فيه حيلة فلا تجزع

٥٥٣ تعلموا العلم فإنه زين للغني و عون للفقير و لست أقول إنه يطلب به و لكن يدعوه إلى القناعة

٥٥٤ لا ترضين قول أحد حتى ترضى فعله و لا ترض فعله حتى ترضى عقله و لا ترض عقله حتى ترضى حياءه فإن الإنسان مطبوع على كرم و لؤم فإن قوي الحياء عنده قوي الكرم و إن ضعف الحياء قوي اللؤم

٥٥٥ تعلموا العلم و إن لم تنالوا به حظا فلأن يذم الزمان لكم أحسن من أن يذم بكم

٥٥٦ اجعل سرك إلى واحد و مشورتك إلى ألف

٥٥٧ إن الله خلق النساء من عي و عورة فداووا عيهن بالسكوت و استروا العورة بالبيوت

٥٥٨ لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها و لا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرا و اعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب و أن للأمور بغتات فكن على حذر

٥٥٩ لا تجاهد الطلب جهاد المغالب و لا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة و الإجمال في الطلب من العفة و ليست العفة برافعة رزقا و لا الحرص بجالب فضلا

٥٦٠ من لم تستقم له نفسه فلا يلومن من لم يستقم له

٥٦١ من رجي الرزق لديه صرفت أعناق الرجال إليه

٥٦٢ من انتجعك مؤملا فقد أسلفك حسن الظن

٥٦٣ إذا شئت أن تطاع فاسأل ما يستطاع

٥٦٤ من أعذر كمن أنجح

٥٦٥ من كانت الدنيا همه كثر في القيامة غمه

٥٦٦ من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب

٥٦٧ من ركب العجلة لم يأمن الكبوة

٥٦٨ من لم يثق لم يوثق به

٥٦٩ من أفاده الدهر أفاد منه

٥٧٠ من أكثر ذكر الضغائن اكتسب العداوة

٥٧١ من لم يحمد صاحبه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة

٥٧٢ تأمل ما تتحدث به فإنما تملي على كاتبيك صحيفة يوصلانها إلى ربك فانظر على من تملي و إلى من تكتب

٥٧٣ أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك و عظم نفسك عن التعظم و تطول و لا تتطاول

٥٧٤ عاملوا الأحرار بالكرامة المحضة و الأوساط بالرغبة و الرهبة و السفلة بالهوان

٥٧٥ كن للعدو المكاتم أشد حذرا منك للعدو المبارز

٥٧٦ احفظ شيئك ممن تستحيي أن تسأله عن مثل ذلك الشيء إذا ضاع لك

٥٧٧ إذا كنت في مجلس و لم تكن المحدث و لا المحدث فقم

٥٧٨ لا تستصغرن حدثا من قريش و لا صغيرا من الكتاب و لا صعلوكا من الفرسان و لا تصادقن ذميا و لا خصيا و لا مؤنثا فلا ثبات لموداتهم

٥٧٩ لا تدخل في مشورتك بخيلا فيقصر بفعلك و لا جبانا فيخوفك ما لا تخاف و لا حريصا فيعدك ما لا يرجى فإن الجبن و البخل و الحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله تعالى

٥٨٠ لا تكن ممن تغلبه نفسه على ما يظن و لا يغلبها على ما يستيقن

٥٨١ أعص هواك و النساء و افعل ما بدا لك

٥٨٢ ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك

٥٨٣ كل من الطعام ما تشتهي و البس من الثياب ما يشتهي الناس

٥٨٤ و لتكن دارك أول ما يبتاع و آخر ما يباع

٥٨٥ من كان في يده شيء من رزق الله سبحانه فليصلحه فإنكم في زمان إذا احتاج المرء فيه إلى الناس كان أول ما يبذله لهم دينه

٥٨٦ ابذل لصديقك مالك و لمعرفتك رفدك و محضرك و للعامة بشرك و تحننك و لعدوك عدلك و إنصافك و اضنن بدينك و عرضك عن كل أحد

٥٨٧ جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء فإن العقل يقع على العقل

٥٨٨ كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك و بحذرك أفرح منك بنجدتك فإن الحرب حرب المتهور و غنيمة المتحذر

٥٨٩ النعم وحشية فقيدوها بالمعروف

٥٩٠ إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقي الله فاصنعها إلى من يتقي العار

٥٩١ لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض

٥٩٢ إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبنك ذاك فإن زوال الكرامة بزوالهما و لكن ليعجبك إن أكرمك الناس لدين أو أدب

٥٩٣ ينبغي لمن لم يكرم وجهه عن مسألتك أن تكرم وجهك عن رده

٥٩٤ إياك و مشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن و عزمهن إلى وهن و اكفف من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب و ليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا تثق به عليهن و إن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل و لا تمكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها فإن ذلك أنعم لبالها و أرخى لحالها و إنما المرأة ريحانة و ليست بقهرمانة فلا تعد بكرامتها نفسها و لا تعطها أن تشفع لغيرها و لا تطل الخلوة معهن فيملنك و تملهن و استبق من نفسك بقية فإن إمساكك عنهن و هن يردنك ذلك باقتدار خير من أن يهجمن منك على انكسار و إياك و التغاير في غير موضع الغيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم

٥٩٥ إذا أردت أن تختم على كتاب فأعد النظر فيه فإنما تختم على عقلك

٥٩٦ إن يوما أسكر الكبار و شيب الصغار لشديد

٥٩٧ كم من مبرد له الماء و الحميم يغلى له

٥٩٨ الصلاة صابون الخطايا

٥٩٩ إن امرأ عرف حقيقة الأمر و زهد فيه لأحمق و إن امرأ جهل حقيقة الأمر مع وضوحه لجاهل

٦٠٠ إذا قال أحدكم و الله فلينظر ما يضيف إليها

٦٠١ رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم من أمورك و مالك لا يغني الناس كلهم فاخصص به أهل الحق و كرامتك لا تطيق بذلها في العامة فتوخ بها أهل الفضل و ليلك و نهارك لا يستوعبان حوائجك فأحسن القسمة بين عملك و دعتك

٦٠٢ أحي المعروف بإماتته

٦٠٣ اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه و ينسى أياديه عندكم

٦٠٤ جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم

٦٠٥ إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم

٦٠٦ لا تثقن كل الثقة بأخيك فإن سرعة الاسترسال لا تقال

٦٠٧ انتقم من الحرص بالقناعة كما تنتقم من العدو بالقصاص

٦٠٨ إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر

٦٠٩ من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك

٦١٠ الزمان ذو ألوان و من يصحب الزمان ير الهوان

٦١١ لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب أصبح مرغوبا إليه و متبوع أمسى تابعا

٦١٢ إن غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على كل حال

٦١٣ كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا أقل ما تكون في الباطن مالا

٦١٤ لا تكونن المحدث من لا يسمع منه و الداخل في سر اثنين لم يدخلاه

فيه و لا الآتي وليمة لم يدع إليها و لا الجالس في مجلس لا يستحقه و لا طالب الفضل من أيدي اللئام و لا المتحمق في الدالة و لا المتعرض للخير من عند العدو

٦١٥ اطبع الطين ما دام رطبا و اغرس العود ما دام لدنا

٦١٦ خف الله حتى كأنك لم تطعه و ارج الله حتى كأنك لم تعصه

٦١٧ لا تبلغ في سلامك على الإخوان حد النفاق و لا تقصرهم عن درجة الاستحقاق

٦١٨ انصح لكل مستشير و لا تستشير إلا الناصح اللبيب

٦١٩ ما أقبح بك أن ينادي غدا يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم ثم ينادي ثانيا يا أهل خطيئة كذا فتقوم معهم ما أراك يا مسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة

٦٢٠ ما أصاب أحد ذنبا ليلا إلا أصبح و عليه مذلته

٦٢١ الاستغفار يحت الذنوب حت الورق ثم تلا قوله تعالى (وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اَللَّهَ يَجِدِ اَللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً)

٦٢٢ أيها المستكثر من الذنوب إن أباك أخرج من الجنة بذنب واحد

٦٢٣ إذا عصى الرب من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه

٦٢٤ لقاء أهل الخير عمارة القلوب

٦٢٥ أنا من رسول الله ص كالعضد من المنكب و كالذراع

من العضد و كالكف من الذراع رباني صغيرا و آخاني كبيرا و لقد علمتم أني كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري و أنه أوصى إلي دون أصحابه و أهل بيته و لأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذا اليوم سألته مرة أن يدعو لي بالمغفرة فقال أفعل ثم قام فصلى فلما رفع يده للدعاء استمعت عليه فإذا هو قائل اللهم بحق علي عندك اغفر لعلي فقلت يا رسول الله ما هذا فقال أ واحد أكرم منك عليه فأستشفع به إليه

٦٢٦ و الله ما قلعت باب خيبر و دكدكت حصن يهود بقوة جسمانية بل بقوة إلهية

٦٢٧ يا ابن عوف كيف رأيت صنيعك مع عثمان رب واثق خجل و من لم يتوخ بعمله وجه الله عاد مادحه من الناس له ذاما

٦٢٨ لو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك

٦٢٩ ليس الحلم ما كان حال الرضا بل الحلم ما كان حال الغضب

٦٣٠ ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول لا إله إلا الله كلمة التقوى

٦٣١ لا تحملوا ذنوبكم و خطاياكم على الله و تذروا أنفسكم و الشيطان

٦٣٢ إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة من الدجال أئمة مضلون و هم رؤساء أهل البدع

٦٣٣ إذا زللت فارجع و إذا ندمت فاقلع و إذا أسأت فاندم و إذا مننت فاكتم و إذا منعت فأجمل و من يسلف المعروف يكن ربحه الحمد

٦٣٤ استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار عداوته

٦٣٥ لا تطلبن من نفسك العام ما وعدتك عاما أول

٦٣٦ أطول الناس عمرا من كثر علمه فتأدب به من بعده أو كثر معروفه فشرف به عقبه

٦٣٧ استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه

٦٣٨ لا دين لمن لا نية له و لا مال لمن لا تدبير له و لا عيش لمن لا رفق له

٦٣٩ من اشتغل بتفقد اللفظة و طلب السجعة نسي الحجة

٦٤٠ الدنيا مطية المؤمن عليها يرتحل إلى ربه فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم

٦٤١ من رأى أنه مسيء فهو محسن و من رأى أنه محسن فهو مسيء

٦٤٢ سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك

٦٤٣ اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس فإن بيد الله قضاءها

٦٤٤ عذب حسادك بالإحسان إليهم

٦٤٥ إظهار الفاقة من خمول الهمة

٦٤٦ يا عالم قد قام عليك حجة العلم فاستيقظ من رقدتك

٦٤٧ الرفق يفل حد المخالفة

٦٤٨ أرجح الناس عقلا و أكملهم فضلا من صحب أيامه بالموادعة و إخوانه بالمسالمة و قبل من الزمان عفوه

٦٤٩ الوجوه إذا كثر تقابلها اعتصر بعضها ماء بعض

٦٥٠ أداء الأمانة مفتاح الرزق

٦٥١ حصن علمك من العجب و وقارك من الكبر و عطاءك من السرف و صرامتك من العجلة و عقوبتك من الإفراط و عفوك من تعطيل الحدود و صمتك من العي و استماعك من سوء الفهم و استئناسك من البذاء و خلواتك من الإضاعة و غراماتك من اللجاجة و روغانك من الاستسلام و حذراتك من الجبن

٦٥٢ لا تجد للموتور المحقود أمانا من أذاه أوثق من البعد عنه و الاحتراس منه

٦٥٣ احذر من أصحابك و مخالطيك الكثير المسألة الخشن البحث اللطيف الاستدراج الذي يحفظ أول كلامك على آخره و يعتبر ما أخرت بما قدمت و لا تظهرن له المخافة فيرى أنك قد تحرزت و تحفظت و اعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر فخالط هذا مخالطة الآمن و تحفظ منه تحفظ الخائف فإن البحث يظهر الخفي و يبدي المستور الكامن

٦٥٤ من سره الغنى بلا سلطان و الكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته فإنه واجد ذلك كله

٦٥٥ الشيب إعذار الموت

٦٥٦ من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح أن يكون سائسا

٦٥٧ لله تعالى كل لحظة ثلاثة عساكر فعسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام و عسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض و عسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة

٦٥٨ اللهم ارحمني رحمة الغفران إن لم ترحمني رحمة الرضا

٦٥٩ إلهي كيف لا يحسن مني الظن و قد حسن منك المن إلهي إن عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة و إن أنلتنا فضلك لم يبق لنا سيئة

٦٦٠ العلم سلطان من وجده صال به و من لم يجده صيل عليه

٦٦١ يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة فإذا مضى يوم مضى بعضك

٦٦٢ حيث تكون الحكمة تكون خشية الله و حيث تكون خشيته تكون رحمته

٦٦٣ اللهم إني أرى لدي من فضلك ما لم أسألك فعلمت أن لديك من الرحمة ما لا أعلم فصغرت قيمة مطلبي فيما عاينت و قصرت غاية أملي عند ما رجوت فإن ألحفت في سؤالي فلفاقتي إلى ما عندك و إن قصرت في دعائي فبما عودت من ابتدائك

٦٦٤ من كان همته ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه

٦٦٥ يقول الله تعالى : يا ابن آدم لم أخلقك لأربح عليك إنما خلقتك لتربح علي فاتخذني بدلا من كل شيء فإني ناصر لك من كل شيء

٦٦٦ الرجاء للخالق سبحانه أقوى من الخوف لأنك تخافه لذنبك و ترجوه لجوده فالخوف لك و الرجاء له

٦٦٧ أسألك بعزة الوحدانية و كرم الإلهية ألا تقطع عني برك بعد مماتي كما لم تزل تراني أيام حياتي أنت الذي تجيب من دعاك و لا تخيب من رجاك ضل من يدعو إلا إياك فإنك لا تحجب من أتاك و تفضل على من

عصاك و لا يفوتك من ناواك و لا يعجزك من عاداك كل في قدرتك و كل يأكل رزقك

٦٦٨ لا تطلبن إلى أحد حاجة ليلا فإن الحياء في العينين

٦٦٩ من ازداد علما فليحذر من توكيد الحجة عليه

٦٧٠ العاقل ينافس الصالحين ليلحق بهم و يحبهم ليشاركهم بمحبته و إن قصر عن مثل عملهم و الجاهل يذم الدنيا و لا يسخو بإخراج أقلها يمدح الجود و يبخل بالبذل يتمنى التوبة بطول الأمل و لا يعجلها لخوف حلول الأجل يرجو ثواب عمل لم يعمل به و يفر من الناس ليطلب و يخفى شخصه ليشتهر و يذم نفسه ليمدح و ينهى عن مدحه و هو يحب ألا ينتهي من الثناء عليه

٦٧١ الأنس بالعلم من نبل الهمة

٦٧٢ اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك

٦٧٣ من الناس من ينقصك إذا زدته و يهون عليك إذا خاصصته ليس لرضاه موضع تعرفه و لا لسخطه مكان تحذره فإذا لقيت أولئك فابذل لهم موضع المودة العامة و احرمهم موضع الخاصة ليكون ما بذلت لهم من ذلك حائلا دون شرهم و ما حرمتهم من هذا قاطعا لحرمتهم

٦٧٤ من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات يلقى الغطاء على قلبه و النعاس على عينه و الكسل على بدنه

٦٧٥ ذم العقلاء أشد من عقوبة السلطان

٦٧٦ يقطع البليغ عن المسألة أمران ذل الطلب و خوف الرد

٦٧٧ المؤمن محدث

٦٧٨ قل أن ينطق لسان الدعوى إلا و يخرسه كعام الامتحان

٦٧٩ انظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه و ما عند غيرك فلا تأخذه إلا بحقه

٦٨٠ إذا صافاك عدوك رياء منه فتلق ذلك بأوكد مودة فإنه إن ألف ذلك و اعتاده خلصت لك مودته

٦٨١ لا تألف المسألة فيألفك المنع

٦٨٢ لا تسأل الحوائج غير أهلها و لا تسألها في غير حينها و لا تسأل ما لست له مستحقا فتكون للحرمان مستوجبا

٦٨٣ إذا غشك صديقك فاجعله مع عدوك

٦٨٤ لا تعدن من إخوانك من آخاك في أيام مقدرتك للمقدرة و اعلم أنه ينتقل عنك في أحوال ثلاث يكون صديقا يوم حاجته إليك و معرضا يوم غناه عنك و عدوا يوم حاجتك إليه

٦٨٥ لا تسرن بكثرة الإخوان ما لم يكونوا أخيارا فإن الإخوان بمنزلة النار التي قليلها متاع و كثيرها بوار

٦٨٦ كفاك خيانة أن تكون أمينا للخونة

٦٨٧ لا تحقرن شيئا من الخير و إن صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه و لا تحقرن شيئا من الشر و إن صغر فإنك إذا رأيته ساءك مكانه

٦٨٨ يا ابن آدم ليس بك غناء عن نصيبك من الدنيا و أنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر

٦٨٩ معصية العالم إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها و إذا ظهرت ضرت صاحبها و العامة

٦٩٠ يجب على العاقل أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسمه من الغذاء

٦٩١ أعسر العيوب صلاحا العجب و اللجاجة

٦٩٢ لكل نعمة مفتاح و مغلاق فمفتاحها الصبر و مغلاقها الكسل

٦٩٣ الحزن و الغضب أميران تابعان لوقوع الأمر بخلاف ما تحب إلا أن المكروه إذا أتاك ممن فوقك نتج عليك حزنا و إن أتاك ممن دونك نتج عليك غضبا

٦٩٤ أول المعروف مستخف و آخره مستثقل تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأي و أواخره للرأي دون الهوى و لذلك قيل رب الصنيعة أشد من الابتداء بها

٦٩٥ لا تدع الله أن يغنيك عن الناس فإن حاجات الناس بعضهم إلى بعض متصلة كاتصال الأعضاء فمتى يستغني المرء عن يده أو رجله و لكن ادع الله أن يغنيك عن شرارهم

٦٩٦ احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه و من ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له فإن ذلك مما يحقدهما عليك

٦٩٧ ينبغي لذوي القرابات أن يتزاوروا و لا يتجاوروا

٦٩٨ لا تواخ شاعرا فإنه يمدحك بثمن و يهجوك مجانا

٦٩٩ لا تنزل حوائجك بجيد اللسان و لا بمتسرع إلى الضمان

٧٠٠ كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته

٧٠١ إذا شككت في مودة إنسان فاسأل قلبك عنه

٧٠٢ العقل لم يجن على صاحبه قط و العلم من غير عقل يجني على صاحبه

٧٠٣ يا ابن آدم هل تنتظر إلا هرما حائلا أو مرضا شاغلا أو موتا نازلا

٧٠٤ ابنك يأكلك صغيرا و يرثك كبيرا و ابنتك تأكل من وعائك و ترث من أعدائك و ابن عمك عدوك و عدو عدوك و زوجتك إذا قلت لها قومي قامت

٧٠٥ إذا ظفرتم فأكرموا الغلبة و عليكم بالتغافل فإنه فعل الكرام و إياكم و المن فإنه مهدمة للصنيعة منبهة للضغينة

٧٠٦ من لم يرج إلا ما يستوجبه أدرك حاجته

٧٠٧ بلغ من خدع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء و الثناء على الغائب استمالة للشاهد

٧٠٨ من احتاج إليك ثقل عليك و من لم يصلحه الخير أصلحه الشر و من لم يصلحه الطالي أصلحه الكاوي

٧٠٩ من أكثر من شيء عرف به و من زنى زني به و من طلب عظيما خاطر بعظمته و من أحب أن يصرم أخاه فليقرضه ثم ليتقاضه و من أحبك لشيء ملك عند انقضائه و من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار

٧١٠ من بلغ السبعين اشتكى من غير علة

٧١١ في المال ثلاث خصال مذمومة إما أن يكتسب من غير حله أو يمنع إنفاقه في حقه أو يشغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى

٧١٢ يباعدك من غضب الله ألا تغضب

٧١٣ لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفادا ما استقام لك فإنك إن فعلت فقد غيرت و إن غيرت تغيرت نعم الله عليك

٧١٤ أشد من البلاء شماتة الأعداء

٧١٥ ليس يزني فرجك إن غضضت طرفك

٧١٦ كما ترك لكم الملوك الحكمة و العلم فاتركوا لهم الدنيا

٧١٧ الهدية تفقأ عين الحكيم

٧١٨ ليكن أصدقاؤك كثيرا و اجعل سرك منهم إلى واحد

٧١٩ يا عبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم أصولكم و عقولكم أهواءكم قولكم شفاء يبرئ الداء و عملكم داء لا يقبل الدواء و لستم كالكرمة التي حسن ورقها و طاب ثمرها و سهل مرتقاها و لكنكم كالشجرة التي قل ورقها و كثر شوكها و خبث ثمرها و صعب مرتقاها جعلتم العلم تحت أقدامكم و الدنيا فوق رءوسكم فالعلم عندكم مذال ممتهن و الدنيا لا يستطاع تناولها فقد منعتم كل أحد من الوصول إليها فلا أحرار كرام أنتم و لا عبيد أتقياء ويحكم يا أجراء السوء أما الأجر فتأخذون و أما العمل فلا تعملون إن عملتم فللعمل تفسدون و سوف تلقون ما تفعلون يوشك رب العمل أن ينظر في عمله الذي أفسدتم و في أجره الذي أخذتم يا غرماء السوء تبدءون بالهدية قبل قضاء

الدين تتطوعون بالنوافل و لا تؤدون الفرائض إن رب الدين لا يرضى بالهدية حتى يقضى دينه

٧٢٠ الدنيا مزرعة إبليس و أهلها أكرة حراثون له فيها

٧٢١ وا عجبا ممن يعمل للدنيا و هو يرزق فيها بغير عمل و لا يعمل للآخرة و هو لا يرزق فيها إلا بالعمل

٧٢٢ لا تجالسوا إلا من يذكركم الله رؤيته و يزيد في عملكم منطقه و يرغبكم في الآخرة عمله

٧٢٣ كثرة الطعام تميت القلب كما تميت كثرة الماء الزرع

٧٢٤ ضرب الوالد الولد كالسماد للزرع

٧٢٥ إذا أردت أن تصادق رجلا فأغضبه فإن أنصفك في غضبه و إلا فدعه

٧٢٦ إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس يعني السلام فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم و إن أفاضوا في غيره فخلهم و انهض

٧٢٧ الأوطار تكسب الأوزار فارفض وطرك و اغضض بصرك

٧٢٨ إذا قعدت عند سلطان فليكن بينك و بينه مقعد رجل فلعله أن يأتيه من هو آثر عنده منك فيريد أن تتنحى عن مجلسك فيكون ذلك نقصا عليك و شينا

٧٢٩ ارحم الفقراء لقلة صبرهم و الأغنياء لقلة شكرهم و ارحم الجميع لطول غفلتهم

٧٣٠ العالم مصباح الله في الأرض فمن أراد الله به خيرا اقتبس منه

٧٣١ لا يهونن عليك من قبح منظره و رث لباسه فإن الله تعالى ينظر إلى القلوب و يجازي بالأعمال

٧٣٢ من كذب ذهب بماء وجهه و من ساء خلقه كثر غمه و نقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لا يفهم

٧٣٣ كنت في أيام رسول الله ص كجزء من رسول الله ص ينظر إلي الناس كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء ثم غض الدهر مني فقرن بي فلان و فلان ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان فقلت وا ذفراه ثم لم يرض الدهر لي بذلك حتى أرذلني فجعلني نظيرا لابن هند و ابن النابغة لقد استنت الفصال حتى القرعى

٧٣٤ أما و الذي فلق الحبة و برأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أن الأمة ستغدر بك من بعدي

٧٣٥ لامته فاطمة على قعوده و أطالت تعنيفه و هو ساكت حتى أذن المؤذن فلما بلغ إلى قوله أشهد أن محمدا رسول الله قال لها أ تحبين أن تزول هذه الدعوة من الدنيا قالت لا قال فهو ما أقول لك

٧٣٦ قال لي رسول الله ص إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك و إلا فألصق كلكلك بالأرض فلما تفرقوا عني جررت على المكروه ذيلي و أغضيت على القذى جفني و ألصقت بالأرض كلكلي

٧٣٧ الدنيا حلم و الآخرة يقظة و نحن بينهما أضغاث أحلام

٧٣٨ لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا و يرفع حقيرا و ليس بفاعل

٧٣٩ لو تميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن و الصدق مع الشجاعة و الراحة مع اليأس و التعب مع الطمع و الحرمان مع الحرص و الذل مع الدين

٧٤٠ المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة

٧٤١ كثرة مال الميت تسلي ورثته عنه

٧٤٢ من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله

٧٤٣ من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه

٧٤٤ كثرة الدين تضطر الصادق إلى الكذب و الواعد إلى الإخلاف

٧٤٥ عار النصيحة يكدر لذتها

٧٤٦ أول الغضب جنون و آخره ندم

٧٤٧ انفرد بسرك و لا تودعه حازما فيزل و لا جاهلا فيخون

٧٤٨ لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه و لا تتبعه بعد القطيعة وقيعة فيه فتسد طريقه عن الرجوع إليك و لعل التجارب أن ترده عليك و تصلحه لك

٧٤٩ من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب بخل

٧٥٠ الجاهل صغير و إن كان شيخا و العالم كبير و إن كان حدثا

٧٥١ الميت يقل الحسد له و يكثر الكذب عليه

٧٥٢ إذا نزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر

٧٥٣ الحرص ينقص من قدر الإنسان و لا يزيد في حظه

٧٥٤ الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود

٧٥٥ أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه

٧٥٦ لا تتبع الذنب العقوبة و اجعل بينهما وقتا للاعتذار

٧٥٧ اذكر عند الظلم عدل الله فيك و عند القدرة قدرة الله عليك

٧٥٨ لا يحملنك الحنق على اقتراف الإثم فتشفي غيظك و تسقم دينك

٧٥٩ الملك بالدين يبقى و الدين بالملك يقوى

٧٦٠ كأن الحاسد إنما خلق ليغتاظ

٧٦١ عقل الكاتب في قلمه

٧٦٢ اقتصر من شهوة خالفت عقلك بالخلاف عليها

٧٦٣ اللهم صن وجهي باليسار و لا تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق طالبي رزقك و أستعطف شرار خلقك و أبتلى بحمد من أعطاني و أفتتن بذم من منعني و أنت من وراء ذلك ولي الإعطاء و المنع إنك على كل شيء قدير

٧٦٤ كل حقد حقدته قريش على رسول الله ص أظهرته في و ستظهره في ولدي من بعدي ما لي و لقريش إنما وترتهم بأمر الله و أمر رسوله أ فهذا جزاء من أطاع الله و رسوله إن كانوا مسلمين

٧٦٥ عجبا لسعد و ابن عمر يزعمان أني أحارب على الدنيا أ فكان رسول الله ص يحارب على الدنيا فإن زعما أن رسول الله ص حارب لتكسير الأصنام و عبادة الرحمن فإنما حاربت لدفع الضلال و النهي عن

الفحشاء و الفساد أ فمثلي يزن بحب الدنيا و الله لو تمثلت لي بشرا سويا لضربتها بالسيف

٧٦٦ اللهم أنت خلقتني كما شئت فارحمني كيف شئت و وفقني لطاعتك حتى تكون ثقتي كلها بك و خوفي كله منك

٧٦٧ لا تسبن إبليس في العلانية و أنت صديقه في السر

٧٦٨ من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما وقرها

٧٦٩ لا تطمع في كل ما تسمع

٧٧٠ من عاتب و وبخ فقد استوفى حقه

٧٧١ الجود الذي يستطاع أن يتناول به كل أحد هو أن ينوي الخير لكل أحد

٧٧٢ من صحب السلطان بالصحة و النصيحة كان أكثر عدوا ممن صحبه بالغش و الخيانة

٧٧٣ من عاب سفلة فقد رفعه و من عاب كريما فقد وضع نفسه

٧٧٤ الموالي ينصرون و بنو العم يحسدون

٧٧٥ الصدق عز و الكذب مذلة و من عرف بالصدق جاز كذبه و من عرف بالكذب لم يجز صدقه

٧٧٦ إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها فإنها تتخطاك

٧٧٧ نحن نريد ألا نموت حتى نتوب و نحن لا نتوب حتى نموت

٧٧٨ أنزل الصديق منزلة العدو في رفع المئونة عنه و أنزل العدو منزلة الصديق في تحمل المئونة له

٧٧٩ أول عقوبة الكاذب أن صدقه يرد عليه

٧٨٠ الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة

٧٨١ إياكم و حمية الأوغاد فإنهم يرون العفو ضيما

٧٨٢ الكريم لا يستقصي في محاقة المعتذر خوفا أن يجزي من لا يجد مخرجا من ذنبه

٧٨٣ العفو عن المقر لا عن المصر

٧٨٤ ما استغنى أحد بالله إلا افتقر الناس إليه

٧٨٥ من جاد بماله فقد جاد بنفسه فإن لم يكن جاد بها بعينها فقد جاد بقوامها

٧٨٦ الدين ميسم الكرام و طالما وقر الكرام بالدين

٧٨٧ الماضي قبلك هو الباقي بعدك و التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية بعاجل المصاب

٧٨٨ مما تكتسب به المحبة أن تكون عالما كجاهل و واعظا كموعوظ

٧٨٩ لا تحمدن الصبي إذا كان سخيا فإنه لا يعرف فضيلة السخاء و إنما يعطي ما في يده ضعفا

٧٩٠ خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك في المودة و إن احتجت إليه لم ينقصك منها

٧٩١ عجبا للسلطان كيف يحسن و هو إذا أساء وجد من يزكيه و يمدحه

٧٩٢ إذا صادقت إنسانا وجب عليك أن تكون صديق صديقه و ليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه لأن هذا إنما يجب على خادمه و ليس يجب على مماثل له

٧٩٣ ليس تكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقا لمتعاديين

٧٩٤ من سعادة الحدث ألا يتم له فضيلة في رذيلة

٧٩٥ إذا منعت من شيء قد التمسته فليكن غيظك منه على نفسك في المسألة أكثر من غيظك على من منعك

٧٩٦ الأسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت و البخلاء يشمتون بالأسخياء عند الفقر

٧٩٧ ليس يضبط العدد الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة

٧٩٨ إذا أحسن أحد من أصحابك فلا تخرج إليه بغاية برك و لكن اترك منه شيئا تزيده إياه عند تبينك منه الزيادة في نصيحته

٧٩٩ الوقوع في المكروه أسهل من توقع المكروه

٨٠٠ الحسود ظالم ضعفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه فلما قصر عليك بعث إليك تأسفه

٨٠١ أعم الأشياء نفعا موت الأشرار

٨٠٢ الشيء المعزي للناس عن مصائبهم علم العلماء أنها نقعاء اضطرارية و تأسي العامة بعضها ببعض

٨٠٣ العقل الإصابة بالظن و معرفة ما لم يكن بما كان

٨٠٤ يا عجبا للناس قد مكنهم الله من الاقتداء به فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم

٨٠٥ سلوا القلوب عن المودات فإنها شهود لا تقبل الرشا

٨٠٦ إنما يحزن الحسدة أبدا لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط بل و لما ينال الناس من الخير

٨٠٧ العشق جهد عارض صادف قلبا فارغا

٨٠٨ تعرف خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه و إخباره عما لا يسأل عنه

٨٠٩ لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد فإنك لا تعرف ما يعرض في غد

٨١٠ إن تتعب في البر فإن التعب يزول و البر يبقى

٨١١ أجهل الجهال من عثر بحجر مرتين

٨١٢ كفاك موبخا على الكذب علمك بأنك كاذب و كفاك ناهيا عنه خوفك من تكذيبك حال إخبارك

٨١٣ العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا و الجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما

٨١٤ لا تتكلوا على البخت فربما لم يكن و ربما كان و زال و لا على الحسب فطالما كان بلاء على أهله يقال للناقص هذا ابن فلان الفاضل فيتضاعف غمه و عاره و لكن عليكم بالعلم و الأدب فإن العالم يكرم و إن لم ينتسب و يكرم و إن كان فقيرا و يكرم و إن كان حدثا

٨١٥ خير ما عوشر به الملك قلة الخلاف و تخفيف المئونة و أصعب الأشياء على الإنسان أن يعرف نفسه و أن يكتم سره

٨١٦ العدل أفضل من الشجاعة لأن الناس لو استعملوا العدل عموما في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعة

٨١٧ أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث الأشياء التي إذا صاروا رجالا احتاجوا إليها

٨١٨ لا ترغب في اقتناء الأموال و كيف ترغب فيما ينال بالبخت لا بالاستحقاق و يأمر البخل و الشره بحفظه و الجود و الزهد بإخراجه

٨١٩ إذا عاتبت الحدث فاترك له موضعا من ذنبه لئلا يحمله الإخراج على المكابرة

٨٢٠ ما انتقم الإنسان من عدوه بأعظم من أن يزداد من الفضائل

٨٢١ إنما لم تجتمع الحكمة و المال لعزة وجود الكمال

٨٢٢ يمنع الجاهل أن يجد ألم الحمق المستقر في قلبه ما يمنع السكران أن يجد مس الشوكة في يده

٨٢٣ القنية مخدومة و من خدم غير نفسه فليس بحر

٨٢٤ لا تطلب الحياة لتأكل بل اطلب الأكل لتحيا

٨٢٥ إذا رأت العامة منازل الخاصة من السلطان حسدتها عليها و تمنت أمثالها فإذا رأت مصارعها بدا لها

٨٢٦ الشيء الذي لا يستغني عنه أحد هو التوفيق

٨٢٧ ليس ينبغي أن يقع التصديق إلا بما يصح و لا العمل إلا بما يحل و لا الابتداء إلا بما تحسن فيه العاقبة

٨٢٨ الوحدة خير من رفيق السوء

٨٢٩ لكل شيء صناعة و حسن الاختبار صناعة العقل

٨٣٠ من حسدك لم يشكرك على إحسانك إليه

٨٣١ البغي آخر مدة الملوك

٨٣٢ لأن يكون الحر عبدا لعبيده خير من أن يكون عبدا لشهواته

٨٣٣ من أمضى يومه في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد بناه أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه

٨٣٤ أرسل إليه عمرو بن العاص يعيبه بأشياء منها أنه يسمي حسنا و حسينا ولدي رسول الله ص فقال لرسوله قل للشانئ ابن الشانئ لو لم يكونا ولديه لكان أبتر كما زعمه أبوك

٨٣٥ قال معاوية لما قتل عمار و اضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم تقتله الفئة الباغية إنما قتله من أخرجه إلى الحرب و عرضه للقتل فقال أمير المؤمنين ع فرسول الله ص إذن قاتل حمزة

٨٣٦ هذا يدي يعني مُحَمَّد بن الحنفية و هذان عيناي يعني حسنا و حسينا و ما زال الإنسان يذب بيده عن عينيه قالها لمن قال له إنك تعرض مُحَمَّدا للقتل و تقذف به في نحور الأعداء دون أخويه

٨٣٧ شكرت الواهب و بورك لك في الموهوب و رزقت خيره و بره خذ إليك أبا الأملاك قالها لعبد الله بن العباس لما ولد ابنه علي بن عبد الله

٨٣٨ ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لأني أكره عادة العجز

٨٣٩ اجتماع المال عند الأسخياء أحد الخصبين و اجتماع المال عند البخلاء أحد الجدبين

٨٤٠ من عمل عمل أبيه كفي نصف التعب

٨٤١ المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تبرا و قرط الكلب درا و ألبس الحمار وشيا و ألقم الأفعى شهدا

٨٤٢ الحازم إذا أشكل عليه الرأي بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها و لذلك الحازم يجمع وجوه الرأي في الأمر المشكل ثم يضرب بعضه ببعض حتى يخلص إليه الصواب

٨٤٣ الأشراف يعاقبون بالهجران لا بالحرمان

٨٤٤ الشح أضر على الإنسان من الفقر لأن الفقير إذا وجد اتسع و الشحيح لا يتسع و إن وجد

٨٤٥ أحب الناس إلى العاقل أن يكون عاقلا عدوه لأنه إذا كان عاقلا كان منه في عافية

٨٤٦ عليك بمجالسة أصحاب التجارب فإنها تقوم عليهم بأغلى الغلاء و تأخذها منهم بأرخص الرخص

٨٤٧ من لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك على جميل العطية

٨٤٨ لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن و لا لأموالهن

فعسى أموالهن أن تطغيهن و انكحوهن على الدين و لأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل

٨٤٩ أفضل العبادة الإمساك عن المعصية و الوقوف عند الشبهة

٨٥٠ ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر

٨٥١ من عدم فضيلة الصدق في منطقه فقد فجع بأكرم أخلاقه

٨٥٢ ليس يضرك أن ترى صديقك عند عدوك فإنه إن لم ينفعك لم يضرك

٨٥٣ قل أن ترى أحدا تكبر على من دونه إلا و بذلك المقدار يجود بالذل لمن فوقه

٨٥٤ من عظمت عليه مصيبة فليذكر الموت فإنها تهون عليه و من ضاق به أمر فليذكر القبر فإنه يتسع

٨٥٥ خير الشعر ما كان مثلا و خير الأمثال ما لم يكن شعرا

٨٥٦ الق الناس عند حاجتهم إليك بالبشر و التواضع فإن نابتك نائبة و حالت بك حال لقيتهم و قد أمنت ذلة التنصل إليهم و التواضع

٨٥٧ إن الله يحب أن يعفى عن زلة السري

٨٥٨ من طال لسانه و حسن بيانه فليترك التحدث بغرائب ما سمع فإن الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس على تكذيبه و من عرف أسرار الأمور الإلهية فليترك الخوض فيها و إلا حملتهم المنافسة على تكفيره

٨٥٩ ليس كل مكتوم يسوغ إظهاره لك و لا كل معلوم يجوز أن تعلمه غيرك

٨٦٠ ليس يفهم كلامك من كان كلامه لك أحب إليه من الاستماع منك و لا يعلم نصيحتك من غلب هواه على رأيك و لا يسلم لك من اعتقد أنه أتم معرفة بما أشرت عليه به منك

٨٦١ خف الضعيف إذا كان تحت راية الإنصاف أكثر من خوفك القوي تحت راية الجور فإن النصر يأتيه من حيث لا يشعر و جرحه لا يندمل

٨٦٢ إخافة العبيد و التضييق عليهم يزيد في عبوديتهم و صيانتهم و إظهار الثقة بهم يكسبهم أنفة و جبرية

٨٦٣ أضر الأشياء عليك أن تعلم رئيسك أنك أعرف بالرئاسة منه

٨٦٤ عداوة العاقلين أشد العداوات و أنكاها فإنها لا تقع إلا بعد الإعذار و الإنذار و بعد أن يئس إصلاح ما بينهما

٨٦٥ لا تخدمن رئيسا كنت تعرفه بالخمول وسمت به الحال و يعرف منك أنك تعرف قديمه فإنه و أن سر بمكانك من خدمته إلا إنه يعلم العين التي تراه بها فينقبض عنك بحسب ذلك

٨٦٦ إذا احتجت إلى المشورة في أمر قد طرأ عليك فاستبده ببداية الشبان فإنهم أحد أذهانا و أسرع حدسا ثم رده بعد ذلك إلى رأي الكهول و الشيوخ ليستعقبوه و يحسنوا الاختيار له فإن تجربتهم أكثر

٨٦٧ الإنسان في سعيه و تصرفاته كالعائم في اللجة فهو يكافح الجرية في إدباره و يجري معها في إقباله

٨٦٨ ينبغي للعاقل أن يستعمل فيما يلتمسه الرفق و مجانبة الهذر

فإن العلقة تأخذ بهدوئها من الدم ما لا تأخذه البعوضة باضطرابها و فرط صياحها

٨٦٩ أقوى ما يكون التصنع في أوائله و أقوى ما يكون التطبع في أواخره

٨٧٠ غاية المروءة أن يستحيي الإنسان من نفسه و ذلك أنه ليس العلة في الحياء من الشيخ كبر سنه و لا بياض لحيته و إنما علة الحياء منه عقله فينبغي إن كان هذا الجوهر فينا أن نستحيي منه و لا نحضره قبيحا

٨٧١ من ساس رعية حرم عليه السكر عقلا لأنه قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه

٨٧٢ لا تبتاعن مملوكا قوي الشهوة فإن له مولى غيرك و لا غضوبا فإنه يؤذيك في استخدامك له و لا قوي الرأي فإنه يستعمل الحيلة عليك لكن اطلب من العبيد من كان قوي الجسم حسن الطاعة شديد الحياء

٨٧٣ لا تعادوا الدول المقبلة و تشربوا قلوبكم بغضها فتدبروا بإقبالها

٨٧٤ الغريب كالفرس الذي زايل شربه و فارق أرضه فهو ذاو لا يتقد و ذابل لا يثمر

٨٧٥ السفر قطعة من العذاب و الرفيق السوء قطعة من النار

٨٧٦ كل خلق من الأخلاق فإنه يكسد عند قوم من الناس إلا الأمانة فإنها نافقة عند أصناف الناس يفضل بها من كانت فيه حتى أن الآنية إذا لم تنشف

و بقي ما يودع فيها على حاله لم ينقص كانت أكثر ثناء من غيرها مما يرشح أو ينشف

٨٧٧ اصبر على سلطانك في حاجاتك فلست أكبر شغله و لا بك قوام أمره

٨٧٨ قوة الاستشعار من ضعف اليقين

٨٧٩ إذا أحسست من رأيك بإكداد و من تصورك بفساد فاتهم نفسك بمجالستك لعامي الطبع أو لسيئ الفكر و تدارك إصلاح مزاج تخيلك بمكاثرة أهل الحكمة و مجالسة ذوي السداد فإن مفاوضتهم تريح الرأي المكدود و ترد ضالة الصواب المفقود

٨٨٠ من جلس في ظل الملق لم يستقر به موضعه لكثرة تنقله و تصرفه مع الطباع و عرفه الناس بالخديعة

٨٨١ كثير من الحاجات تقضى برما لا كرما

٨٨٢ أصحاب السلطان في المثل كقوم رقوا جبلا ثم سقطوا منه فأقربهم إلى الهلكة و التلف أبعدهم كان في المرتقى

٨٨٣ لا تضع سرك عند من لا سر له عندك

٨٨٤ سعة الأخلاق كيمياء الأرزاق

٨٨٥ العلم أفضل الكنوز و أجملها خفيف المحمل عظيم الجدوى في الملإ جمال و في الوحدة أنس

٨٨٦ السباب مزاح النوكى و لا بأس بالمفاكهة يروح بها الإنسان عن نفسه و يخرج عن حد العبوس

٨٨٧ ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الهدية و الرسول و الكتاب

٨٨٨ التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة و التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة

٨٨٩ أنت مخير في الإحسان إلى من تحسن إليه و مرتهن بدوام الإحسان إلى من أحسنت إليه لأنك إن قطعته فقد أهدرته و إن أهدرته فلم فعلته

٨٩٠ الناس من خوف الذل في ذل

٨٩١ إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا و إذا كان الإيجاز مقصرا كان الإكثار واجبا

٨٩٢ بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد

٨٩٣ الخلق عيال الله و أحب الناس إلى الله أشفقهم على عياله

٨٩٤ تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك

٨٩٥ العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السفهاء

٨٩٦ الانقباض بين المنبسطين ثقل و الانبساط بين المنقبضين سخف

٨٩٧ السخاء و الجود بالطعام لا بالمال و من وهب ألفا و شح بصحفة طعام فليس بجواد

٨٩٨ إن بقيت لم يبق الهم

٨٩٩ لا يقوم عز الغضب بذلة الاعتذار

٩٠٠ الشفيع جناح الطالب

٩٠١ الأمل رفيق مؤنس إن لم يبلغك فقد استمتعت به

٩٠٢ إعادة الاعتذار تذكير بالذنب

٩٠٣ الصبر في العواقب شاف أو مريح

٩٠٤ من طال عمره رأى في أعدائه ما يسره

٩٠٥ لا نعمة في الدنيا أعظم من طول العمر و صحة الجسد

٩٠٦ الناس رجلان أما مؤجل بفقد أحبابه أو معجل بفقد نفسه

٩٠٧ العقل غريزة تربيها التجارب

٩٠٨ النصح بين الملأ تقريع

٩٠٩ لا تنكح خاطب سرك

٩١٠ من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع الغنم الكثير

٩١١ الدار الضيقة العمى الأصغر

٩١٢ النمام جسر الشر

٩١٣ لا تشن وجه العفو بالتقريع

٩١٤ كثرة النصح تهجم بك على كثرة الظنة

٩١٥ لكل ساقطة لاقطة

٩١٦ ستساق إلى ما أنت لاق

٩١٧ عاداك من لاحاك

٩١٨ جدك لا كدك

٩١٩ تذكر قبل الورد الصدر و الحذر لا يغني من القدر و الصبر من أسباب الظفر

٩٢٠ عار النساء باق يلحق الأبناء بعد الآباء

٩٢١ أعجل العقوبة عقوبة البغي و الغدر و اليمين الكاذبة و من إذا تضرع إليه و سئل العفو لم يغفر

٩٢٢ لا ترد بأس العدو القوي و غضبه بمثل الخضوع و الذل كسلامة الحشيش من الريح العاصف بانثنائه معها كيفما مالت

٩٢٣ قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك و لا تفرط في مقاربته فتذل نفسك و ناصرك و تأمل حال الخشبة المنصوبة في الشمس التي إن أملتها زاد ظلها و إن أفرطت في الإمالة نقص الظل

٩٢٤ إذا زال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شيء

٩٢٥ العجز نائم و الحزم يقظان

٩٢٦ من تجرأ لك تجرأ عليك

٩٢٧ ما عفا عن الذنب من قرع به

٩٢٨ عبد الشهوة أذل من عبد الرق

٩٢٩ ليس ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره و طاعة نفسه عليه ممتنعة

٩٣٠ الناس رجلان واجد لا يكتفي و طالب لا يجد

٩٣١ كلما كثر خزان الأسرار زادت ضياعا

٩٣٢ كثرة الآراء مفسدة كالقدر لا تطيب إذ كثر طباخوها

٩٣٣ من اشتاق خدم و من خدم اتصل و من اتصل وصل و من وصل عرف

٩٣٤ عجبا لمن يخرج إلى البساتين للفرجة على القدرة و هلا شغلته رؤية القادر عن رؤية القدرة

٩٣٥ كل الناس أمروا بأن يقولوا لا إله إلا الله إلا رسول الله فإنه رفع قدره عن ذلك و قيل له فاعلم أنه لا إله إلا الله فأمر بالعلم لا بالقول

٩٣٦ كل مصطنع عارفة فإنما يصنع إلى نفسه فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك و تممت به لذتك و وقيت به عرضك

٩٣٧ ولدك ريحانتك سبعا و خادمك سبعا ثم هو عدوك أو صديقك

٩٣٨ من قبل معروفك فقد باعك مروءته

٩٣٩ إلى الله أشكو بلادة الأمين و يقظة الخائن

٩٤٠ من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا و عند الخطإ عاذرا

٩٤١ من كثر حقده قل عتابه

٩٤٢ الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة و الهم بالحادثة عن الحيلة لدفعها

٩٤٣ كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا فيها

٩٤٤ من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم و لو لا من يقبل الجود لم يكن من يجود

٩٤٥ إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا

٩٤٦ زلة العالم كانكسار السفينة تغرق و يغرق معها خلق

٩٤٧ أهون الأعداء كيدا أظهرهم لعداوته

٩٤٨ أبق لرضاك من غضبك و إذا طرت فقع قريبا

٩٤٩ لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه فإن البحر لا يكاد يسلم صاحبه في حال سكونه فكيف يسلم مع اختلاف رياحه و اضطراب أمواجه

٩٥٠ إذا خلي عنان العقل و لم يحبس على هوى نفس أو عادة دين أو عصبية لسلف ورد بصاحبه على النجاة

٩٥١ إذا زادك الملك تأنيسا فزده إجلالا

٩٥٢ من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه

٩٥٣ قليل يترقى منه إلى كثير خير من كثير ينحط عنه إلى قليل

٩٥٤ جنبوا موتاكم في مدافنهم جار السوء فإن الجار الصالح ينفع في الآخرة كما ينفع في الدنيا

٩٥٥ زر القبور تذكر بها الآخرة و غسل الموتى يتحرك قلبك فإن الجسد الخاوي عظة بليغة و صل على الجنائز لعله يحزنك فإن الحزين قريب من الله

٩٥٦ الموت خير للمؤمن و الكافر أما المؤمن فيتعجل له النعيم و أما الكافر فيقل عذابه و آية ذلك من كتاب الله تعالى (وَ ما عِنْدَ اَللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ)، (وَ لا يَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً)

٩٥٧ جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك و صبرك في مصيبتك أحسن من جزعك

٩٥٨ من خاف إساءتك اعتقد مساءتك و من رهب صولتك ناصب دولتك

٩٥٩ من فعل ما شاء لقي ما شاء

٩٦٠ يسرني من القرآن كلمة أرجوها لمن أسرف على نفسه (قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) فجعل الرحمة عموما و العذاب خصوصا

٩٦١ الاستئثار يوجب الحسد و الحسد يوجب البغضة و البغضة توجب الاختلاف و الاختلاف يوجب الفرقة و الفرقة توجب الضعف و الضعف يوجب الذل و الذل يوجب زوال الدولة و ذهاب النعمة

٩٦٢ لا يكاد يصح رؤيا الكذاب لأنه يخبر في اليقظة بما لم يكن فأحر به أن يرى في المنام ما لا يكون

٩٦٣ يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له

٩٦٤ لا تكاد الظنون تزدحم على أمر مستور إلا كشفته

٩٦٥ المشورة راحة لك و تعب على غيرك

٩٦٦ حق كل سر أن يصان و أحق الأسرار بالصيانة سرك مع مولاك و سره معك و اعلم أن من فضح فضح و من باح فلدمه أباح

٩٦٧ يا من ألم بجناب الجلال احفظ ما عرفت و اكتم ما استودعت و اعلم أنك قد رشحت لأمر فافطن له و لا ترض لنفسك أن تكون خائنا فمن يؤد الأمانة فيما استودع أخلق الناس بسمة الخيانة و أجدر الناس بالإبعاد و الإهانة

٩٦٨ لا تعامل العامة فيما أنعم به عليك من العلم كما تعامل الخاصة و اعلم أن لله سبحانه رجالا أودعهم أسرارا خفية و منعهم عن إشاعتها و اذكر قول العبد الصالح لموسى و قد قال له هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا و كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا

٩٦٩ لكل دار باب و باب دار الآخرة الموت

٩٧٠ إن لك فيمن مضى من آبائك و إخوانك لعبرة و إن ملك الموت دخل

على داود النبي فقال من أنت قال من لا يهاب الملوك و لا تمنع منه القصور و لا يقبل الرشا قال فإذن أنت ملك الموت جئت و لم أستعد بعد فقال فأين فلان جارك أين فلان نسيبك قال ماتوا قال أ لم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعد

٩٧١ ما أخسر صفقة الملوك إلا من عصم الله باعوا الآخرة بنومة

٩٧٢ إن هذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا فما لكم لا تلتمسون نعيما لا موت بعده

٩٧٣ انظر العمل الذي يسرك أن يأتيك الموت و أنت عليه فافعله الآن فلست تأمن أن تموت الآن

٩٧٤ لا تستبطئ القيامة فتسكن إلى طول المدة الآتية عليك بعد الموت فإنك لا تفرق بعد عودك بين ألف سنة و بين ساعة واحدة ثم قرأ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ اَلنَّهارِ...﴾ الآية

٩٧٥ لا بد لك من رفيق في قبرك فاجعله حسن الوجه طيب الريح و هو العمل الصالح

٩٧٦ رب مرتاح إلى بلد و هو لا يدري أن حمامه في ذلك البلد

٩٧٧ الموت قانص يصمي و لا يشوي

٩٧٨ ما من يوم إلا يتصفح ملك الموت فيه وجوه الخلائق فمن رآه على معصية أو لهو أو رآه ضاحكا فرحا قال له يا مسكين ما أغفلك عما يراد بك اعمل ما شئت فإن لي فيك غمرة أقطع بها وتينك

٩٧٩ إذا وضع الميت في قبره اعتورته نيران أربع فتجيء الصلاة فتطفئ واحدة و يجيء الصوم فيطفئ واحدة و تجيء الصدقة فتطفئ واحدة و يجيء العلم فيطفئ الرابعة و يقول لو أدركتهن لأطفأتهن كلهن فقر عينا فأنا معك و لن ترى بؤسا

٩٨٠ استجيروا بالله تعالى و استخيروه في أموركم فإنه لا يسلم مستجيرا و لا يحرم مستخيرا

٩٨١ أ لا أدلكم على ثمرة الجنة لا إله إلا الله بشرط الإخلاص

٩٨٢ من شرف هذه الكلمة و هي الحمد لله أن الله تعالى جعلها فاتحة كتابه و جعلها خاتمة دعوى أهل جنته فقال و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

٩٨٣ ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم و كالدار العامرة بين الربوع الخربة

٩٨٤ أفضل الأعمال أن تموت و لسانك رطب بذكر الله سبحانه

٩٨٥ الذكر ذكران أحدهما ذكر الله و تحميده فما أحسنه و أعظم أجره و الثاني ذكر الله عند ما حرم الله و هو أفضل من الأول

٩٨٦ ما أضيق الطريق على من لم يكن الحق تعالى دليله و ما أوحشها على من لم يكن أنيسه و من اعتز بغير عز الله ذل و من تكثر بغير الله قل

٩٨٧ اللهم إن فههت عن مسألتي أو عمهت عن طلبتي فدلني على مصالحي و خذ بناصيتي إلى مراشدي اللهم احملني على عفوك و لا تحملني على عدلك

٩٨٨ مخ الإيمان التقوى و الورع و هما من أفعال القلوب و أحسن أفعال الجوارح ألا تزال مالئا فاك بذكر الله سبحانه

٩٨٩ اللهم فرغني لما خلقتني له و لا تشغلني بما تكفلت لي به و لا تحرمني و أنا أسألك و لا تعذبني و أنا أستغفرك

٩٩٠ سبحان من ندعوه لحظنا فيسرع و يدعونا لحظنا فنبطئ خيره إلينا نازل و شرنا إليه صاعد و هو مالك قادر

٩٩١ اللهم إنا نعوذ بك من بيات غفلة و صباح ندامة

٩٩٢ اللهم إني أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه و أستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك و أستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك

٩٩٣ اللهم إني أعوذ بك أن أقول حقا ليس فيه رضاك ألتمس به أحدا سواك و أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك و أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك و أعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني

٩٩٤ يا من ليس إلا هو يا من لا يعلم ما هو إلا هو اعف عني

٩٩٥ اللهم إن الآمال منوطة بكرمك فلا تقطع علائقها بسخطك اللهم إني أبرأ من الحول و القوة إلا بك و أدرأ بنفسي عن التوكل على غيرك

٩٩٦ اللهم صل على مُحَمَّد و آل مُحَمَّد كلما ذكره الذاكرون و صل على مُحَمَّد و آل مُحَمَّد كلما غفل عن ذكره الغافلون اللهم صل على مُحَمَّد و آل مُحَمَّد عدد كلماتك و عدد معلوماتك صلاة لا نهاية لها و لا غاية لأمدها

٩٩٧ سبحان الواحد الذي ليس غيره سبحان الدائم الذي لا نفاد له سبحان القديم الذي لا ابتداء له سبحان الغني عن كل شيء و لا شيء من الأشياء يغني عنه

٩٩٨ يا الله يا رحمان يا رحيم يا حي يا قيوم يا بديع السماوات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام اعف عني و هذا حين انتهاء قولنا في شرح نهج البلاغة و لم ندرك ما أدركناه منه بقوتنا و حولنا فإنا عاجزون عما هو دونه و لقد شرعنا فيه و إنه لفي أنفسنا كالطود الأملس تزل الوعول العصم عن قذفاته بل كالفلك الأطلس لا تبلغ الأوهام و العقول إلى حدود غاياته فما زالت معونة الله سبحانه و تعالى تسهل لنا حزنه و تذلل لنا صعبه حتى أصحب أبيه و أطاع عصيه و فتحت علينا بحسن النية و إخلاص الطوية في تصنيفه أبواب البركات و تيسرت علينا مطالب الخيرات حتى لقد كان الكلام ينثال علينا انثيالا و يؤاتينا بديهة و ارتجالا فتم تصنيفه في مدة قدرها أربع سنين و ثمانية أشهر و أولها غرة شهر رجب من سنة أربع و أربعين و ستمائة و آخرها سلخ صفر من سنة تسع و أربعين و ستمائة و هو مقدار مدة خلافة أمير المؤمنين ع و ما كان في الظن و التقدير أن الفراغ منه يقع في أقل من عشر سنين إلا أن الألطاف الإلهية و العناية السماوية شملتنا بارتفاع العوائق و انتفاء الصوارف و شحذت بصيرتنا فيه و أرهفت همتنا في تشييد مبانيه و تنضيد ألفاظه و معانيه.و كان لسعادة المجلس المولوي المؤيدي الوزيري أجرى الله بالخير أقلامه و أمضى

في طلى الأعداء حسامه في المعونة عليه أوفر قسط و أوفى نصيب و حظ إذ كان مصنوعا لخزانته و موسوما بسمته و لأن همته أعلاها الله ما زالت تتقاضى عنده بإتمامه و تحثه على إنجازه و إبرامه و ناهيك بها من همة راضت الصعب الجامح و خففت العبء الفادح و يسرت الأمر العسير و قطعت المدى الطويل في الزمن القصير.و قد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين و الحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علمي بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم المحسوسات و قولهم الكل و البعض و قولهم الصفات الذاتية و قولهم الجسمانيات و قولهم أما أولا فالحال كذا و نحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب و لكنا استهجنا تبديل ألفاظهم و تغيير عباراتهم فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم و من دخل ظفار حمر.و النسخة التي بني هذا الشرح على نصها أتم نسخة وجدتها بنهج البلاغة فإنها مشتملة على زيادات تخلو عنها أكثر النسخ.و أنا أستغفر الله العظيم من كل ذنب يبعد من رحمته و من كل خاطر يدعو إلى الخروج عن طاعته و أستشفع إليه بمن أنصبت جسدي و أسهرت عيني و أعملت فكري و استغرقت طائفة من عمري في شرح كلامه و التقرب إلى الله بتعظيم منزلته و مقامه أن يعتق رقبتي من النار و ألا يبتليني في الدنيا ببلاء تعجز عنه قوتي و تضعف عنه طاقتي و أن يصون وجهي عن المخلوقين و يكف عني عادية الظالمين إنه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا مُحَمَّد النبي و آله و سلامه!

(آخر أُلجزءِ العشرين تمَّ الكتاب)

(و لله الحمد كما هو أهله حمداً دئما لا انقضاء له و لا نفاد له آمين)

كتاب شرح نهج البلاغة الجزء العشرون ابن ابي الحديد ١

المغيرة بن شعبة ٨

إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة و الرد عليه..... ١٠

عمار بن ياسر و طرف من أخباره..... ٣٥

نكت في مدح العقل و ما قيل فيه ٤١

فصل في الاستغفار و التوبة ٥٧

عبد الله بن الزبير و ذكر طرف من أخباره ١٠٢

فصل في الفخر و ما قيل في النهي عنه.....١٥٠

في مجلس علي بن أبي طالب ١٥٣

اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض.....١٥٥

فصل في ألفاظ الكنايات و ذكر الشواهد عليها ١٨٧

حديث عن إمرئ القيس.....٢١٥

فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة ٢٢١

مختارات مما قيل من الشعر في الشيب و الخضاب.....٢٣٠

نبذ و حكايات حول العفة ٢٣٣

الحكم المنسوبة..... ٢٥٣

الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٢٥٥

الفهرس.....٣٥١